www.quranonlinelibrary.com

جامعة العلوم الإسلامية العالمية
كلية الدراسات العليا
قسم أصول الدين

تعقبات أبي السعود على الأقوال التفسيرية التي أوردها البيضاوي في تفسير سورتي الفاتحة والبقرة

The Criticisms of Abi Al-Saud on the Interpretive sayings Commented by Al-Baydawi in The Interpretation of Suras Al-Fatihah and Al-Baqarah

إعداد
أماني جمال عبد القادر حجير

إشراف
أ. د. جمال محمود أبو حسان

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن
في جامعة العلوم الإسلامية العالمية

تاريخ المناقشة: عمان ١٥/ ٦ / ٢٠٢٢م

www.Quranonlinelibrary.com

جامعة العلوم الإسلامية العالمية
كلية الدراسات العليا
قسم أصول الدين

تعقبات أبي السعود على الأقوال التفسيرية التي أوردها البيضاوي في تفسير سورتي الفاتحة والبقرة

إعداد
أماني جمال عبد القادر حجير

إشراف
أ. د. جمال محمود أبو حسان

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن
في جامعة العلوم الإسلامية العالمية

تاريخ المناقشة: عمان ١٥/ ٦ / ٢٠٢٢م

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تعقبات أبي السعود على الأقوال التفسيرية التي أوردها البيضاوي في تفسير سورتي الفاتحة والبقرة

The Criticisms of Abi Al-Saud on the Interpretive sayings Commented by Al-Baydawi in The Interpretation of Suras Al-Fatihah and Al-Baqarah

إعداد

أماني جمال عبد القادر حجير

إشراف

أ. د. جمال محمود أبو حسان

نوقشت هذه الأطروحة وأجيزت بتاريخ (١٥/ ٦ / ٢٠٢٢م)

أعضاء لجنة المناقشة:

الدكتور	الجامعة	التوقيع
١- الأستاذ الدكتور نزار عطاالله أحمد صالح (رئيساً)	العلوم الإسلامية العالمية	----------
٢- الدكتور محمد خير محمد العيسى (عضواً)	العلوم الإسلامية العالمية	----------
٣- الأستاذ الدكتور جهاد محمد فيصل النصيرات (عضواً خارجياً)	الجامعة الأردنية	----------
٤- الأستاذ الدكتور جمال محمود أحمد أبو حسان (مشرفاً)	العلوم الإسلامية العالمية	----------

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

The World Islamic Science & Education University (wise)

Faculty of Graduate Studies

Department of Fundamentals of Religion

The Criticisms of Abi Al-Saud on the Interpretive sayings Commented by Al-Baydawi in The Interpretation of Suras Al-Fatihah and Al-Baqarah

Prepared By

Amani Jamal Abdel Qader Hajeer

Supervisor

Prof. Dr. Jamal Abu Hassan

"A Dissertation Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy (PH.D) in the Interpretation and the sciences of the Qur'an at The World Islamic Science and Education University"

Amman: 15 / 6 / 2022

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التفويض

أنا الموقعة أدناه أماني جمال عبد القادر حجير، أفوض جامعة العلوم الإسلامية العالمية بتزويد نسخ من أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم بحسب التعليمات النافذة في الجامعة.

الاسم: أماني جمال عبد القادر حجير

التوقيع:

التاريخ: / /٢٠٢٢م

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الإهـــداء

هذا جهدي المتواضع – في ميدان البحث العلمي – لم أتريث في إهدائه

إلى...

من لا يغادر حياتي أبي الحبيب – رحمه الله تعالى – وأمي الحبيبة برّاً وعرفانًا لهما.

إلى...

أساتذتي الفضلاء وكل من تعلَّمتُ على يده ونهلت من علمه ونهجت دربه

إلى...

من كان سببًا في مسيرتي العلمية ودعمني بكل ما لديه من قوة زوجي الغالي وأبنائي قرة عيني

إلى...

أخي الغالي وأخواتي الغاليات

إلى...

كل طالب علم ينوي بعلمه إرضاء الله – عز وجل – والدفاع عن الإسلام عامة وعن القرآن العظيم خاصة

أهدي لهم ثواب هذا الجهد، سائلة المولى – عز وجل – القبول والرضا

الباحثـــة

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد،

يقول الصادق المصدوق – صلوات الله عليه وسلامه: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"(١).

من هنا أتقدم بخالص الشكر والتقدير، والامتنان إلى فضيلة الأستاذ الدكتور: جمال أبو حسان على تفضله بالإشراف على هذه الأطروحة، وبذله الوقت والجهد، والنصح والتوجيه من أجل تقديم الأفضل، فكان له الأثر البالغ في إتمامها على النحو الذي هي عليه، فجزاه الله عني وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

كما أتقدم بكثير شكري وامتناني إلى فضيلة الدكتور أحمد عبد الله أستاذ الحديث الشريف في جامعة العلوم الإسلامية، على ما قدم من جهد عظيم في تخريج أحاديث وروايات هذه الأطروحة، فجزاه الله عني وعن طلبة العلم خير الجزاء.

وأتقدم بوافر الشكر والاحترام إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة، الذين تفضلوا بقبول مناقشة أطروحتي.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى جامعة العلوم الإسلامية العالمية، ممثلة بعطوفة رئيسها، وأساتذتها الكرام، خاصة أساتذة كلية الدعوة وأصول الدين، وأساتذة قسم التفسير وعلوم القرآن، وكافة كوادرها، على حسن المعاملة والتوجيه، وإلى كل من مدّ لي يد العون والمساعدة، لإتمام هذه الأطروحة، نفع الله بها الإسلام والمسلمين.

الباحثة

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، **الأدب المفرد**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، باب من لم يشكر الناس، رقم (٢١٨)، ط٣، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ج١، ص٥٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قائمة المحتويات

قرار لجنة المناقشة ..... ب

الإهـــداء ..... ج

الشكر والتقدير ..... د

قائمة المحتويات ..... ه

الملخص باللغة العربية ..... ط

الملخص باللغة الإنجليزية ..... ي

المقدمة ١

أولًا: مشكلة البحث ٢

ثانيًا: أهداف الدراسة ٢

ثالثًا: منهجية البحث ٣

رابعًا: الدراسات السابقة ٣

خامسًا: حدود الدراسة ٤

سادسًا: صعوبات الدراسة ٤

سابعًا: خطة الدراسة ٥

التمهيـــد ٨

أولا: التعريف بالإمام البيضاوي وتفسيره ٩

أ) التعريف بالإمام البيضاوي ٩

ب) التعريف بتفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ١٥

ثانيًا: التعريف بالإمام أبي السعود وتفسيره ١٧

أ) التعريف بالإمام أبي السعود ١٧

ب) التعريف بتفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ٢٥

ثالثًا: تعريف التعقبات في اللغة، والاصطلاح، وبيان نشأة هذه الظاهرة ٢٧

أ) تعريف التعقبات في اللغة ٢٧

ب) تعريف التعقبات في اصطلاح المفسرين ٢٨

جـ) نشأة ظاهرة التعقبات ٢٩

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصل الأول: تعقبات أبي السعود على أقوال البيضاوي التفسيرية من الآية (١) من سورة الفاتحة إلى الآية (٦٠) من سورة البقرة..... ٣٣

المبحث الأول: التعقبات من الآية (١) من سورة الفاتحة إلى الآية (١١) من سورة البقرة.... ٣٤

المطلب الأول: التعقب في الآية (٧) من سورة الفاتحة ٣٤

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٢) من سورة البقرة..... ٤١

المطلب الثالث: التعقب في الآية (١١) من سورة البقرة ٤٨

المبحث الثاني: التعقبات من الآية (١٤) إلى الآية (٣٠) من سورة البقرة..... ٥٦

المطلب الأول: التعقب في الآية (١٤) من سورة البقرة..... ٥٦

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٢٢) من سورة البقرة..... ٦١

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٣٠) من سورة البقرة ٦٥

المبحث الثالث: التعقبات من الآية (٣١) إلى الآية (٦٠) من سورة البقرة ٧٢

المطلب الأول: التعقب في الآية (٣١) من سورة البقرة..... ٧٢

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٣٨) من سورة البقرة..... ٧٥

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٦٠) من سورة البقرة ٨٠

المطلب الرابع: التعقب في الآية (٦٠) من سورة البقرة ٨٤

الفصل الثاني: تعقبات أبي السعود على أقوال البيضاوي التفسيرية من الآية (٦٢) إلى الآية (١٠٢) من سورة البقرة..... ٨٧

المبحث الأول: التعقبات من الآية (٦٢) إلى الآية (٧٦) من سورة البقرة..... ٨٨

المطلب الأول: التعقب في الآية (٦٢) من سورة البقرة..... ٨٨

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٧٥) من سورة البقرة..... ٩٣

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٧٦) من سورة البقرة ٩٧

المطلب الرابع: التعقب في الآية (٧٦) من سورة البقرة ١٠٠

المبحث الثاني: التعقبات من الآية (٧٨) إلى الآية (٨١) من سورة البقرة..... ١٠٤

المطلب الأول: التعقب في الآية (٧٨) من سورة البقرة..... ١٠٤

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٧٨) من سورة البقرة..... ١٠٦

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٨١) من سورة البقرة ١١٠

المبحث الثالث: التعقبات من الآية (٨٤) إلى الآية (١٠٢) من سورة البقرة ١١٤

المطلب الأول: التعقب في الآية (٨٤) من سورة البقرة..... ١١٤

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٩٠) من سورة البقرة..... ١١٨

المطلب الثالث: التعقب في الآية (١٠٢) من سورة البقرة ١٢٢

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصل الثالث: تعقبات أبي السعود على أقوال البيضاوي التفسيرية من الآية (١٠٥) إلى نهاية سورة البقرة ١٢٨

المبحث الأول: التعقبات من الآية (١٠٥) إلى الآية (١٢٠) من سورة البقرة..... ١٢٩

المطلب الأول: التعقب في الآية (١٠٥) من سورة البقرة..... ١٢٩

المطلب الثاني: التعقب في الآية (١١٩) من سورة البقرة..... ١٣٢

المطلب الثالث: التعقب في الآية (١٢٠) من سورة البقرة ١٣٦

المبحث الثاني: التعقبات من الآية (١٢٤) إلى الآية (١٣٧) من سورة البقرة ١٤٠

المطلب الأول: التعقب في الآية (١٢٤) من سورة البقرة..... ١٤٠

المطلب الثاني: التعقب في الآية (١٣٤) من سورة البقرة..... ١٤٣

المطلب الثالث: التعقب في الآية (١٣٧) من سورة البقرة ١٤٧

المبحث الثالث: التعقبات من الآية (٢٤٩) إلى نهاية سورة البقرة ١٥٢

المطلب الأول: التعقب في الآية (٢٤٩) من سورة البقرة..... ١٥٢

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٢٥٩) من سورة البقرة..... ١٥٥

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٢٦٢) من سورة البقرة ١٥٩

المطلب الرابع: التعقب في الآية (٢٨٥) من سورة البقرة ١٦١

الخاتمـــة..... ١٦٦

أولاً: نتائج الدراسة ١٦٦

ثانيًا: التوصيات ١٦٧

فهرس المصادر والمراجع ١٦٨

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الملخص

تعقبات أبي السعود على الأقوال التفسيرية التي أوردها البيضاوي في تفسير سورتي الفاتحة والبقرة

إعداد
أماني جمال عبد القادر حجير
إشراف
الأستاذ الدكتور: جمال محمود أبو حسان

تاريخ المناقشة: ١٥ / ٦ / ٢٠٢٢م

تهدف هذه الدراسة الإجابة عن عدة أسئلة، أهمها: ما التعقبات التي تعقبها الإمام أبو السعود في تفسيره إرشاد العقل السليم على أقوال الإمام البيضاوي التفسيرية التي أوردها في سورتي الفاتحة والبقرة في تفسيره أنوار التنزيل؟ كما تهدف إلى تتبّع هذه التعقبات، وبيان مدى دقتها، والراجح منها، مستخدمة في ذلك كل من المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، والمنهج النقدي.

وتناولت الدراسة هذا الموضوع من جانبين: الأول: الجانب النظري والذي تم من خلاله التعريف بالإمامَيْن الجليلين، وبتفسيرهما، والتعريف بمحددات الدراسة، والثاني: الجانب التطبيقي، وقد تضَمّن دراسة جادة لتعقبات أبي السعود، وذلك بتحليل الآيات القرآنية، ومناقشة أقوال المفسرين، واستنتاج الرأي الراجح منها مع الدليل.

وخَلُصت الدراسة إلى أن عدد تعقبات الإمام أبي السعود الصريحة على البيضاوي في سورتي الفاتحة والبقرة بلغت ثلاثين موضعًا، والتي تركزت موضوعاتها في المباحث المتعلقة بالنحو والبلاغة من جهة اللغة، وفي المباحث المتعلقة بالمعنى والسياق من جهة التفسير. وتبين الدراسة أن كل من قرينتي المقام والنظم هما بمعنى السياق عند أبي السعود، كما تبين مدى اهتمام أبي السعود بجانب المعنى، واعتماده عليه في قبول أي وجه من الأوجه اللغوية، أو التفسيرية التي تناسبه، والتي تساعد على ثرائه، ومدى دقته -رحمه الله- في موازنة الأقوال، وترجيحه للرأي الأقوى بالدليل، فهو إمام مجتهد يستند إلى النظر والتحقيق.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

Abstract

The Criticisms of Abi Al-Saud on the Interpretive sayings Commented by Al-Baydawi in The Interpretation of Suras Al-Fatihah and Al-Baqarah

Prepared By
Amani Jamal Hajeer

Supervisor
Prof. Dr. Jamal Abo-Hassan

Date of discussion: 15 / 6 / 2022

This study aims to answer several questions, the most important one: What are the traces that Imam Abu Al-Saud comments in his interpretation of "Irshad Alqal Alsaleem "in the interpretive sayings of Imam Al-Baydawi that he mentioned in the Al-Fatihah and Al-Baqarah surahs in his interpretation of" Anwar Al-Tanzil"? It also aims to track these traces, and indicate their accuracy, the most likely ones, using the inductive, the analytical, and the critical method.

The study dealt with this topic from two sides: the first: the theoretical side, through which the two venerable imams were introduced, their interpretation, and definitions of the study's limitations, and the second: the practical side, which included a serious study of Abu Al-Saud's tracks, by analyzing the Qur'anic verses, discussing the sayings of the commentators, and deducing the most correct opinion them with the guide.

The study concluded that the number of Imam Abu Al-Saud's traces on Al-Baydawi in Suras Al-Fatihah and Al-Baqarah in thirty places.

focused on topics related to grammar and rhetoric from the side of language, and in topics related to meaning and context from the point of view of interpretation.

The study shows that both contents of "Maqam" and "Nazm" are in the sense of context according to Abu Al-Saud. In balancing words, and giving preference to the strongest opinion with evidence, he is a hard working imam dealing interpretation with consideration and investigation.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل العلوم والمعارف مِنَحًا منه وفضلًا، وجعل عباده يتفاوتون فيها منزلةً وقدرًا، وصلاةً وسلامًا على النبي المجتبى، والشفيع المرتجى، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه حماة الدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين. وبعد،

إذا كانت العلوم والمعارف – مع تعددها وتنوعها – ذات قدر جليل وشأن عظيم، فإن علم التفسير أعظمها قدرًا، وأعلاها شأنًا، وأجلها نفعًا، وأخصبها مادةً، لذلك اعتنى علماء الإسلام بتفسير كتاب الله على مر العصور، فتعددت طرق التفسير، وتنوعت أساليب المفسرين بحسب ثقافتهم، حتى تركوا لنا تراثًا تفسيريًا زاخرًا، فمنهم من نقل كلام غيره دون تمحيص، ومنهم من حرّر الأقوال، وحقق الكلام، مما نتج عن ذلك كله ظهور مناهج تفسيرية مختلفة، حتى أصبح لكل مفسر سمة ورؤية، تميزه به عن غيره من المفسرين.

وإنّ من أهمّ الوسائل التي تُجلّي الحقّ وتُظهره، وتكشف الزلل وتدحضه، تلك التجاذبات العلمية، والنّقاشات المعرفية، التي تقع بين أهل العلم في شتّى العلوم، ومختلف الفنون؛ لما في ذلك من تلاقحٍ للأفكار، وتحريرٍ للمسائل، وسردٍ للأدلة، والردّ عليها...إلخ وعليه، فإنّ علم التفسير من أهمّ العلوم التي تجلّت فيها هذه التجاذبات، لوقوع الاختلاف بين أهله، بسبب تفاوت الأفهام والأدوات والملَكات البشرية، والذي نتج عنه تتبع اللاحق للسابق، وقد اصطلح العلماء على هذا التتبع بالتعقبات أو الاستدراكات، والمتتّبع لمثل هذه التّعقبات، يجد أنّها تعود لأوّل عهد المسلمين بالتّفسير؛ فقد تعقّب مفسرو الصّحابة بعضَهم بعضًا، وكذلك صنع التّابعون، ومَن بعدهم من الأئمة والمفسرين، واستمرّ الأمر إلى يومنا هذا. ومن أبرز هؤلاء المتعقبين، الإمام العلّامة أبو السعود العمادي، الذي أظهر عناية خاصة بهذا الجانب في تفسيره إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، فقد قام بتعقب من سبقه من المفسرين، وبيّن مواطن الخلل - من وجهة نظره – في تفاسيرهم.

وأمام هذا التراكم من نتاج المفسرين، والتنوع في آرائهم، فقد آثرْتُ دراسة تعقبات الإمام في مرحلة الدكتوراه، واخترت أطروحة بعنوان: **تعقبات أبي السعود على الأقوال التفسيرية التي أوردها البيضاوي في تفسير سورتي الفاتحة والبقرة**، مراعيةً لحجم الأطروحة، والوقت المتاح لإنجازها، ومن هنا فإني أقوم بفتح المجال أمام طلبة الدراسات العليا - في تخصص التفسير – لاستكمال هذه الدراسة فيما بقي من تفسيره، لمن وجد في نفسه القدرة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وقبل البدء في مضمون الرسالة، أعرج على خطة البحث من خلال العناصر الآتية:

أولًا: مشكلة البحث

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الآتي:

ما التعقبات التي تعقبها الإمام أبو السعود في تفسيره إرشاد العقل السليم على أقوال الإمام البيضاوي التفسيرية التي أوردها في سورتي الفاتحة والبقرة في تفسيره أنوار التنزيل؟

ومنها تتفرع الأسئلة الآتية:

١) ما الجوانب التي اهتم بها أبو السعود عند تعقبه للإمام البيضاوي؟
٢) ما مدى دقة التعقبات التي تعقبها أبو السعود للبيضاوي؟
٣) ما الرأي الراجح في الأقوال؟ وما دليلها؟
٤) ما الأثر الذي تركه أهل اللغة والتفسير عند أبي السعود؟ وما أثر أبي السعود فيمن لحقه من المفسرين؟
٥) ما القرائن التي اعتمد عليها أبو السعود في الترجيح؟

ثانيًا: أهداف الدراسة

تحقق هذه الدراسة مجموعة من الأهداف، يمكن تلخيصها فيما يأتي:

١) بيان المواضع التي تعقبها الإمام أبو السعود في تفسيره، على الآراء التفسيرية التي أوردها الإمام البيضاوي في مباحث اللغة، ومباحث التفسير بما يتعلق بسورتي الفاتحة والبقرة.
٢) دراسة هذه التعقبات ومقارنتها بأقوال المفسرين وأهل اللغة، للوصول إلى أدق المعاني وأسلمها.
٣) بيان الراجح بين أقوال المفسرَيْن العلمَيْن بحسب الدليل.
٤) بيان تأثر الإمام أبي السعود بمن سبقه، وأثره في المفسرين من بعده.
٥) بيان القرائن التي اعتمد عليها أبو السعود في الترجيح.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثالثًا: منهجية البحث

استخدمت الباحثة في دراستها المناهج الآتية:

١) المنهج الاستقرائي: حيث قمت بجمع تعقبات الإمام أبي السعود على الإمام البيضاوي في سورتي الفاتحة والبقرة. ومن المفيد هنا، بيان أني قد اكتفت بما صرح به أبو السعود، ولم أتعرض لما لم يصرح به في تفسيره.

٢) المنهج التحليلي: حيث قمت باستنباط هذه التعقبات، وتحليلها ومناقشتها.

٣) المنهج النقدي: حيث قمت بالموازنة بين آراء المفسرين، للوصول إلى نقد بناء يقودني إلى أدق المعاني لآيات الذكر الحكيم، بالدليل الراجح.

رابعًا: الدراسات السابقة

حظي الإمام أبو السعود بدراسات عديدة في تفسيره، سواء ما تعلق منها بالاتجاه اللغوي، أو البلاغي، أو التفسيري، لكن لم أجد أي رسالة تبحث في تعقبات الإمام أبي السعود – أثناء تقديمي للخطة - سوى هذه الرسالة:

- **"استدراكات الإمام أبي السعود في تفسيره على الإمامين الزمخشري والبيضاوي في تفسيريهما من أول سورة الأنبياء إلى آخر سورة الناس (جمع ودراسة)"**، للباحث محمود ربيع أحمد السيد، من كلية أصول الدين، جامعة الأزهر في القاهرة، عام 2018 م، وهي رسالة دكتوراه مختصة بسورة الأنبياء إلى نهاية القرآن، ولم تتعرض لسورتي الفاتحة والبقرة، فالاختلاف ظاهر بينها وبين الرسالة المذكورة آنفًا.

وبعد قبول الخطة في الدراسات العليا، الفصل الأول/عام ٢٠١٩م، أُجيزت الرسالتان الآتيتان:

- **"تعقبات أبي السعود العمادي على من سبقه من المفسرين في ضوء دلالة السياق القرآني من بداية الجزء السادس إلى نهاية الجزء العاشر من القرآن الكريم: جمعًا ودراسة"**، للباحث منير حسين أحمد مقشر، من كلية الدراسات العليا، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، عام ٢٠١٩م، وهي رسالة دكتوراه مختصة ببداية الجزء السادس إلى نهاية القرآن، ولم تتعرض إلى سورتي الفاتحة، والبقرة، فالاختلاف ظاهر بينها وبين الرسالة المذكورة آنفًا.

- **"استدراكات الإمام أبي السعود على من سبقه حزب المفصل أنموذجًا دراسة تحليلية نقدية"**، للباحثة حمدة بنت خليفة بن سلطان العسيري المعاضيد، من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

جامعة قطر، ٢٠٢١م، وهي رسالة ماجستير مختصة بحزب المفصل، ولم تتعرض إلى سورتي الفاتحة، والبقرة، فالاختلاف ظاهر بينها وبين الرسالة المذكورة آنفًا.

خامسًا: حدود الدراسة

١) نقل الإمام البيضاوي آراءه التفسيرية عن الإمام الزمخشري، وبما أنه تبناها فهي إذًا محسوبة عليه، وإن كانت بصيغة التضعيف.
٢) تعد آراء البيضاوي التي تعقبها أبو السعود احتمالًا من الاحتمالات التفسيرية، وربما لم تكن هي الراجحة عنده.
٣) اقتصار هذه الدراسة على النقولات الحرفية التي نقلها الإمام أبو السعود عن الإمام البيضاوي، والتي تعقبها بصيغٍ مختلفة، منها: (لا سبيل إلى، فيأباه، مما لا وجه له، لا فائدة، لكنه بمعزل من ترجيحه، فمما لا يساعده سياق النظم الكريم، فغير حقيق بجلالة شأن النظم الكريم، مخل بجزالة النظم الكريم، فليس مما يقتضيه المقام، مما لا يليق بشأن التنزيل، فغير خليق بجزالة التنزيل، وغيرها).

سادسًا: صعوبات الدراسة

لا بد لي أن أذكر ما واجهني من صعوبات، عند دراستي لهذا الموضوع:

الأولى: صعوبة التعامل مع بعض الحواشي، وذلك لعدم ترتيبها وفهرستها، وعدم كتابة الآيات المدروسة بشكل واضح، مما يكلف الباحث الوقت الطويل، والجهد الكثير، حتى يصل إلى المعلومة.

الثانية: صعوبة تقسيم تعقبات الدراسة تقسيمًا موضوعيًا بحسب المنهجية العلمية للرسائل الجامعية، لما بينها من تداخل شديد، وترابط قريب، فهناك بعض المواضع يمكن وضعها تحت أكثر من عنوان، لذلك رتبتها بحسب ترتيب الآيات في المصحف الشريف.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

سابعًا: خطة الدراسة

قمت بتقسيم هذه الدراسة إلى: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، على النحو الآتي:

التمهيد: ويشمل: التعريف بمحددات الدراسة

أولا: التعريف بالإمام البيضاوي وتفسيره

أ) التعريف بالإمام البيضاوي

ب) التعريف بتفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)

ثانيًا: التعريف بالإمام أبي السعود وتفسيره

أ)التعريف بالإمام أبي السعود

ب)التعريف بتفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)

ثالثًا: تعريف التعقبات في اللغة، والاصطلاح، وبيان نشأة هذه الظاهرة

أ) تعريف التعقبات في اللغة

ب) تعريف التعقبات في اصطلاح المفسرين

جـ) نشأة ظاهرة التعقبات

الفصل الأول: تعقبات أبي السعود على أقوال البيضاوي التفسيرية من الآية (١) من سورة الفاتحة إلى الآية (٦٠) من سورة البقرة

المبحث الأول: التعقبات من الآية (١) من سورة الفاتحة إلى الآية (١١) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (٧) من سورة الفاتحة

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٢) من سورة البقرة

المطلب الثالث: التعقب في الآية (١١) من سورة البقرة

المبحث الثاني: التعقبات من الآية (١٤) إلى الآية (٣٠) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (١٤) من سورة البقرة

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٢٢) من سورة البقرة

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٣٠) من سورة البقرة

المبحث الثالث: التعقبات من الآية (٣١) إلى الآية (٦٠) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (٣١) من سورة البقرة

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٣٨) من سورة البقرة

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٦٠) من سورة البقرة

المطلب الرابع: التعقب في الآية (٦٠) من سورة البقرة

الفصل الثاني: تعقبات أبي السعود على أقوال البيضاوي التفسيرية من الآية (٦٢) إلى الآية (١٠٢) من سورة البقرة

المبحث الأول: التعقبات من الآية (٦٢) إلى الآية (٧٦) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (٦٢) من سورة البقرة

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٧٥) من سورة البقرة

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٧٦) من سورة البقرة

المطلب الرابع: التعقب في الآية (٧٦) من سورة البقرة

المبحث الثاني: التعقبات من الآية (٧٨) إلى الآية (٨١) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (٧٨) من سورة البقرة

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٧٨) من سورة البقرة

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٨١) من سورة البقرة

المبحث الثالث: التعقبات من الآية (٨٤) إلى الآية (١٠٢) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (٨٤) من سورة البقرة

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٩٠) من سورة البقرة

المطلب الثالث: التعقب في الآية (١٠٢) من سورة البقرة

الفصل الثالث: تعقبات أبي السعود على أقوال البيضاوي التفسيرية من الآية (١٠٥) إلى نهاية سورة البقرة

المبحث الأول: التعقبات من الآية (١٠٥) إلى الآية (١٢٠) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (١٠٥) من سورة البقرة

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثاني: التعقب في الآية (١١٩) من سورة البقرة

المطلب الثالث: التعقب في الآية (١٢٠) من سورة البقرة

المبحث الثاني: التعقبات من الآية (١٢٤) إلى الآية (١٣٧) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (١٢٤) من سورة البقرة

المطلب الثاني: التعقب في الآية (١٣٤) من سورة البقرة

المطلب الثالث: التعقب في الآية (١٣٧) من سورة البقرة

المبحث الثالث: التعقبات من الآية (٢٤٩) إلى نهاية سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (٢٤٩) من سورة البقرة

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٢٥٩) من سورة البقرة

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٢٦٢) من سورة البقرة

المطلب الرابع: التعقب في الآية (٢٨٥) من سورة البقرة

الخاتمة، وتشمل:

أولًا: نتائج الدراسة

ثانيًا: التوصيات

وبعد هذا كله فما بذلته من جهد في بحثي هذا، إنما هو جهد المقل، فما وُفقت فيه، فهو بفضلِ الله ومنته، وما كان من خطأ أو عيب فمني، فمن وجده فليعذرني، وليصلحه لي متفضّلًا.

هذا والله أسأل أن ينفعني بما علمني، وأن يعلمني ما ينفعني، وأن يقبل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، وصلى اللهم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التمهيـــد

ويشمل: التعريف بمحددات الدراسة

أولا: التعريف بالإمام البيضاوي وتفسيره

أ) التعريف بالإمام البيضاوي

ب) التعريف بتفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)

ثانيًا: التعريف بالإمام أبي السعود وتفسيره

أ) التعريف بالإمام أبي السعود

ب) التعريف بتفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)

ثالثًا: تعريف التعقبات في اللغة، والاصطلاح، وبيان نشأة هذه الظاهرة

أ) تعريف التعقبات في اللغة

ب) تعريف التعقبات في اصطلاح المفسرين

جـ) نشأة ظاهرة التعقبات

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أولا: التعريف بالإمام البيضاوي وتفسيره

أ) التعريف بالإمام البيضاوي

١) اسمه:

هو عبد الله بن أبي القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن البيضاوي مولدًا، الشيرازي نشأة، التبريزي وفاة، الشافعي مذهبًا، الأشعري عقيدة[١].

٢) كنيته:

يكنى بأبي الخير، وبأبي سعيد، وبأبي محمد[٢].

٣) لقبه:

يلقب بناصر الدين، ويعرف بالقاضي، وقاضي القضاة[٣].

٤) نسبه:

ينسب البيضاوي إلى المدينة البَيضاء، وهي مدينة مشهورة قرب شيراز في وسط بلاد فارس، وسميت بالبيضاء؛ لأن لها قلعة بارزة يُرى بياضها من بعد[٤].

٥) مولده:

ولد القاضي البيضاوي في بلدة البيضاء، القريبة من شيراز والتابعة إليها، ولم يعلم المؤرخون سنة ولادته تحديدًا، والغالب أن تكون في أوائل القرن السابع الهجري[٥].

٦) نشأته وحياته:

نشأ ناصر الدين البيضاوي في بيت مسلسل بالعلماء الجهابذة، حيث نهل العلم من والده مولى الموالي، وإمام الملة والدين أبي القاسم عمر، وهو عن والده قاضي القضاة السعيد فخر الدين محمد، وهوعن والده صدر الدين أبي الحسن، وهو عن والده العلامة مجير الدين[٦]، فتربى في مهد العلم، وتدّرج به إلى أن وصل إلى قمته السامية، رحل القاضي مع والده إلى شيراز، عاصمة فارس، وملجأ العلماء الآمن، في وقت اشتكى منه العالم الإسلامي من هجمات المغول والتتار،

---

(١) ينظر: السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد، ط٢، هجر للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ، ج٨، ص١٥٧. ينظر: اليافعي، عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ، بيروت، ج٤، ص١٦٥. ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ، ج١٣، ص٣٦٣.

(٢) ينظر: المراجع السابقة.

(٣) ينظر: المراجع السابقة.

(٤) ينظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، **معجم البلدان**، ط٢، دار سلطان، ١٩٩٥م، بيروت، ج١، ص٥٢٩.

(٥) ينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٣، ص٣٦٣.

(٦) ينظر: البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد، **الغاية القصوى في دراية الفتوى**، تحقيق: علي محي الدين القره داغي، ط١، دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٩، ج١، ص١٤٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قضى فيها البيضاوي أغلب حياته، ولم يرتحل منها لطلب العلم، إذ جمعت شيراز كبار العلماء والفقهاء في ذلك الوقت، فارتقى في العلم حتى صار أستاذًا فيها، ثم تولى منصب قاضي القضاة، والسبب في ترقيته لهذا المنصب؛ تفسيره للقرآن العظيم في كتابه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل). إلا أنه عليه رحمة الله لم يمكث طويلًا فيه؛ لشدته في طلب الحق، فرحل إلى تبريز طلبًا لذات المنصب، وحضر مجلس علم لأحد الفضلاء، وأجاب فيه على نكتة زعم المدرس أن لا قدرة للحاضرين على جوابها، وكان الوزير في المجلس فسأله من يكون، ولما عرّفه على نفسه، أقامه في مجلسه، وقضى بقية عمره في الزهد والعبادة، والتدريس والتأليف[١].

٧) صفاته:

كان إمامًا علامةً، بارعًا مصنفًا، فريد عصره، ووحيد دهره، أثنى على علمه وفضله الكثير من العلماء، عارفًا بالفقه والتفسير والأصلين، وكان مبرزًا نظارًا، صالحًا متعبدًا زاهدًا محدثًا، أديبًا نحويًا، مفتيًا قاضيًا عادلًا، جمع القرآن الكريم وعلومه، والفقه وأصوله، واللغة العربية وعلومها، وتميز في علم المنطق والكلام والجدل، وفي الفلسفة والتاريخ، قاضي القضاة في عصره، وعالم آذربيجان آنذاك، وشيخ تلك الناحية[٢].

٨) مذهبه العقدي:

كان البيضاوي متكلمًا أشعريًا متصوفًا، وقد سار في منهجه في تقرير مسائل العقيدة على منهج المتكلمين بصفة عامة، وعلى منهج الأشاعرة بصفة خاصة[٣]، ظهر ذلك جليًا من خلال مؤلفاته في التفسير والعقيدة والمنطق.

٩) مذهبه الفقهي:

هو فقيه وأصولي شافعي المذهب، وقد صنفه السبكي ضمن فقهاء الشافعية[٤].

١٠) شيوخه:

تلقى البيضاوي العلم على الكثير من علماء عصره، فنهل من شتى الفنون، ودرس اللغة والمنطق والتفسير والفقه والقراءات وغيرها، ومن أشهر شيوخه رحمهم الله:

---

(١) ينظر: الخوانساري، محمد باقر الموسَوي، **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**، ط١، الدار الإسلامية، ١٤١١هـ، بيروت، ج٥، ص١٢٧-١٢٨. ينظر: السبكي، **طبقات الشافعية**، ج٨، ص١٥٨. ينظر: الأدنه وي، أحمد بن محمد، **طبقات المفسرين**، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧هـ، السعودية، ج١، ص٢٥٤-٢٥٥.

(٢) ينظر: المراغي، عبد الله مصطفى، **الفتح المبين في طبقات الأصوليين**، مطبعة أنصار السنة المحمدية، ١٩٤٧م، مصر، ج٢، ص٩١. ينظر: ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، **طبقات الشافعية**، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، ١٤٠٧هـ، بيروت، ج٨، ص١٥٨.

(٣) ينظر: المالكي، شريفة أحمد، **البيضاوي آراؤه الاعتقادية عرض ونقد من خلال تفسيره**، رسالة ماجستير مقدمة في قسم العقيدة، إشراف: ابتسام جمال، جامعة أم القرى، ١٤٣٠هـ، المملكة العربية السعودية، ص٤٧.

(٤) ينظر: السبكي، **طبقات الشافعية**، ج٨، ص١٥٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١- والده أبو القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن البيضاوي

نشأ البيضاوي في بيت علم ومعرفة، وتفقه رحمه الله على يد والده[١] العالم الجليل، والإمام المتبحر، مقتدى عصره، وأوحد دهره، الذي جمع بين العلم والتقوى، قاضي شيراز في ذلك الوقت، ومحدث عصره آنذاك، روى عن شيخه عبد الرحيم بن عبد الرحمن السروستاني، توفي في سنة (٦٧٥) للهجرة، ودفن بالضفة الجنوبية من المدرسة الغربية بالسوق الكبير[٢].

٢- محمد بن محمد الكتحتائي

صحب البيضاوي شيخه مقتديًا به في الزهد والعبادة، واستفاد من إرشاده وتوجيهه رحمه الله، وقد ذُكِر أن البيضاوي عندما صرف عن قضاء شيراز، وارتحل إلى تبريز، وأقام فيها، استشفع بشيخه محمد الكتحتائي للأمير في طلب القضاء، فلما أتاه ذكر أن هذا الرجل عالم فاضل يريد الاشتراك مع الأمير في السعير، فتأثر البيضاوي من كلامه، وترك المناصب الدنيوية، ولازم الشيخ إلى أن مات، وصنف التفسير بإشارة شيخه، ولما مات دفن عند قبره[٣].

٣- عمر بن الزكي البوشكاني

أستاذ العلماء، ومرجع الفضلاء، صاحب الكرامات الكثيرة، والعبارات البليغة، وجامع أقسام العلوم من المعقول والمنقول، تأدب به البيضاوي، وتخرّج لديه، وكان عين تلامذته، وقد ذُكِر أن أصول تصانيف القاضي كلها كانت في أجزاء مسوداته، وقد تصرف فيها البيضاوي ونقلها إلى البياض، توفي سنة (٦٨٠) للهجرة، ودفن في الصّفّة الجنوبية، ورثاه البيضاوي بقصيدة طويلة[٤].

٤- نصير الدين الطوسي

هو محمد بن عبد الله الطوسي، وكان يقال له المولى نصير الدين، ويقال الخواجا نصير الدين، تتلمذ البيضاوي على يده، كان رأسًا في العلوم العقلية، أخذ منه علم الفلك، فقد كان علامة بالأرصاد والرياضيات، وكان عاقلًا فاضلًا كريم الأخلاق، حصّل علم الأوائل جيدًا، وصنف في علم الكلام، وشرح كتاب (الإشارات والتنبيهات) لابن سينا، توفي في بغداد سنة (٦٧٢) للهجرة[٥].

---

(١) ينظر: اليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ج٤، ص١٦٥ و ص٢٤٧.

(٢) ينظر: شيرازي، معين الدين أبو القاسم جنيد، **شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار**، تصحيح: محمد قزويني وعباس إقبال، طهران، ج١، ص٢٩٤-٢٩٥.

(٣) ينظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مكتبة المثنى، ١٩٤١م، بغداد، ج١، ص١٨٦. ينظر: الخوانساري، **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**، ج٥، ص١٢٨.

(٤) ينظر: شيرازي، **شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار**، ج١، ص٢٩٧-٢٩٩.

(٥) ينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٣، ص٢٦٧. ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، **الأعلام**، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، ج٧، ص٣٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٥- شهاب الدين السهروردي

هو عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن حمويه، شهاب الدين أبو حفص السهروردي، شيخ الصوفية ببغداد، صاحب كتاب (عوارف المعارف)، كان من كبار الصالحين، وسادات المسلمين، وكان يغيث الملهوفين، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقد صحبه البيضاوي هو والخواجا نصير الدين، توفي رحمه الله سنة (٦٣٠) للهجرة[١].

١١) تلاميذه:

كان البيضاوي وجهةً يتجه إليها طلاب العلم ومريدوه، فكان رحمه الله يعقد حلقات خاصة للتدريس، في شتى العلوم، ولا سيما العلوم الشرعية، حتى التف حوله عدد كبير من التلاميذ، غفل التاريخ عن ذِكْرِ جزء لا بأس به منهم، وذكر أشهرهم، وهم:

١- جمال الدين الكسائي

هو جمال الدين محمد بن أبي بكر بن محمد المقرئ الكسائي، نُسب إليه هذا اللقب؛ لأنه كان يقرأ القرآن العظيم بقراءة الكسائي، كان من علماء المشايخ بشيراز، تتلمذ على يد البيضاوي، وكان يعظ الناس، ويدرّس الكتب، له عدة مصنفات، منها: كتاب (نور الهدى في شرح مصابيح الدجى)، وغيره[٢].

٢- روح الدين الطيار

هو روح الدين بن جلال الدين الطيار، أخذ العلم عن البيضاوي، وشرح كتابه (المصباح) شرحًا وافيًا، توفي سنة نيف وسبعمائة، ودفن بجانب والده العالم جلال الدين، رحمهما الله[٣].

٣- زين الدين الخنجي

هو القاضي زين الدين علي بن روزبهان بن محمد الخنجي، قدوة أصحاب العلم والتقوى، وأسوة أرباب الدرس والفتوى، جمع بين المشروع والمعقول، وصنف في الأصول والفروع، وله عدة مصنفات منها كتاب (المعتبر في شرح المختصر) لابن الحاجب، وكتاب (النهاية في شرح الغاية)، وكتاب (شرح المنهاج) للبيضاوي، وغيرهم، توفي سنة (٧٠٧) للهجرة، ودفن بقبته العالية في مدرسته السامية[٤].

٤- فخر الدين الجاربردي

هو أحمد بن الحسن الجاربردي، نزيل تبريز، شافعي المذهب، كان عالمًا فاضلًا دينًا متفننًا، مواظبًا على الشغل بالعلم، وإفادة طلابه، بارعًا في العلوم العقلية. شرح منهاج البيضاوي في

---

(١) ينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٣، ص٣٦٣.
(٢) ينظر: شيرازي، **شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار**، ج١، ص١١٧-١١٨.
(٣) ينظر: المرجع السابق، ج١، ص٢١١.
(٤) ينظر: شيرازي، **شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار**، ج١، ص٢١٢-٢١٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أصول الفقه، وتصريف ابن الحاجب، وقطعة من (الحاوي)، وله على (الكشاف) حواش مشهورة، وقد اجتمع بالقاضي ناصر الدين البيضاوي وأخذ عنه، توفي في تبريز سنة (٧٤٦) للهجرة[١].

٥- كمال الدين المراغي

هو عمر بن إلياس بن يونس المراغي، أبو القاسم الصوفي، كمال الدين، وُلد بأذربيجان، تنقل بين دمشق ومصر والقدس، كان رحمه الله شيخًا حسنًا صالحًا خيّرًا، له حظ من الاشتغال قديمًا وحديثًا، ولم تحدد المصادر تاريخ وفاته[٢].

أما تلاميذه بالمعنى العام، فللإمام البيضاوي تلاميذ كثيرون، لا يمكن للباحثة الوقوف عندهم جميعًا، خاصة أصحاب الحواشي على تفسيره، فقد أبلوا بلاءً حسنًا، وخدموا تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، وقدموا للمسلمين الفوائد العديدة، والفرائد الثمينة، رحمهم الله جميعًا.

١٢) أشهر مصنفاته:

قدم البيضاوي للإسلام والمسلمين مؤلفات عديدة في مختلف المجالات، وترك آثارًا كثيرة، وميراثًا نافعًا، مما يشهد له برسوخ القدم، وعلو المكانة، وعمق العلم والمعرفة، ومن أشهر مصنفاته:

١- كتاب (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) في تفسير القرآن العظيم، وسُمِّي (مختصر الكشاف)، وهو ما نحن بصدده في هذا البحث.

٢- كتاب (منهاج الوصول إلى علم الأصول) [٣]، مختصر من (الحاصل) و(المصباح)، وشرحه في أصول الفقه.

٣- كتاب (طوالع الأنوار في مطالع الأنظار)، في أصول الدين والتوحيد، قال السبكي عنه: "وهو أجل مختصر ألف في علم الكلام"[٤].

٤- كتاب (مصباح الأرواح)، في أصول الدين[٥].

---

(١) ينظر: السبكي، **طبقات الشافعية**، ج٩، ص٨-٩. ينظر: ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ، الهند، ج١، ص١٤٢-١٤٣.

(٢) ينظر: ابن حجر، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ج٤، ص١٨٤.

(٣) ينظر: ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج٢، ص١٧٣. ينظر: اليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ج٤، س١٦٥. وهذا الكتاب مطبوع.

(٤) ينظر: اليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ج٤، س١٦٥. ينظر: ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج٢، ص١٧٣. وهذا الكتاب مطبوع.

(٥) ينظر: ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج٢، ص١٧٣. ينظر: اليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ج٤، س١٦٥. ينظر: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج٢، ص١٧٠٤. وهذا الكتاب مفقود.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٥- كتاب (الغاية القصوى في دراية الفتوى) [١]، في فروع الفقه الشافعي، اختصر فيه كتاب (الوسيط) في المذهب الشافعي.

٦- كتاب (لب الألباب في علم الإعراب) [٢]، اختصر فيه الكافية لابن الحاجب.

٧- كتاب (شرح المطالع) [٣]، شرح فيه كتاب سراج الدين الأرموي (مطالع الأنوار في العلم والمنطق)، في علم المنطق.

٨- كتاب (تهذيب الأخلاق) [٤]، في التصوف.

٩- كتاب (نظام التواريخ) [٥]، ألفه باللغة الفارسية، تناول فيه تاريخ الدولة الفارسية منذ عهد أبينا آدم عليه السلام إلى عهد البيضاوي، رحمه الله.

١٠- كتاب (منتهى المنى في شرح أسماء الله الحسنى) [٦]، المذكور في أواخر تفسير سورة الحشر من تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل).

١١- كتاب (شرح المصابيح) [٧]، أي: مصابيح السنة للبغوي في الحديث، وسماه (تحفة الأبرار).

١٢- كتاب (شرح المنتخب) [٨]، في الأصول للإمام فخر الدين الرازي.

١٣- كتاب (شرح الكافية في النحو) [٩]، لابن الحاجب.

وغير ذلك من الشروح العديدة، التي يطول ذكرها هنا، فله الكثير من المؤلفات باللغتين العربية والفارسية، والتي برزت في شتى علوم العربية والفقه والفلسفة والمنطق والكلام وغيرها.

---

(١) ينظر: ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج٢، ص١٧٣. ينظر: اليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ج٤، س١٦٥. ينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٣، ص٣٠٩. وهذا الكتاب مطبوع.

(٢) ينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٣، ص٣٠٩. ينظر: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج٢، ص١٥٤٦. وهذا الكتاب مخطوط.

(٣) ينظر: ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج٢، ص١٧٣. ينظر: اليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ج٤، س١٦٥. ينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٣، ص٣٠٩. وهذا الكتاب مفقود.

(٤) ينظر: ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج٢، ص١٧٣. وهذا الكتاب مفقود.

(٥) ينظر: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج٢، ص١٩٥٩. وهذا الكتاب مطبوع.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ج٢، ص١٨٥٨. وهذا الكتاب مفقود.

(٧) ينظر: المرجع السابق، ج٢، ص١٦٩٨. وهذا الكتاب مفقود.

(٨) ينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٣، ص٣٠٩. ينظر: ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج٢، ص١٧٣. وهذا الكتاب مفقود.

(٩) ينظر: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج٢، ص١٣٧٣. ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ، بيروت، ج١٧، ص٢٠٦. وهذا الكتاب مخطوط.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١٣) وفاته:

توفي رحمه الله في تبريز سنة ٦٨٥هـ[١]، أما قول الشهاب الخفاجي في حاشيته بأنه توفي في شهر جمادى الأول سنة ٧١٩هـ[٢]، فلا يُعول عليه، لأنه هو الوحيد الذي انفرد بذكر هذا التاريخ.

وقد أوصى البيضاوي إلى القطب الشيرازي أن يدفن بجانبه، فدفن إلى جانبه في خرانداب بتبريز[٣].

ب) التعريف بتفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)

يعد تفسير البيضاوي من أجل كتب التفسير وأدقها، جمع فيه صاحبه بين المأثور والتفسير بالرأي والتأويل، وقرر فيه الأدلة على أصول أهل السنة[٤]، كما يظهر ذلك واضحًا من خلال ما ذكره، قائلًا: "لطالما ما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا كتابًا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة، وعلماء التابعين، ومن دونهم من السلف الصالحين، وينطوي على نكات بارعة، ولطائف رائعة، استنبطها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين"[٥].

اعتمد البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، على ثلاثة كتب، أهمها تفسير (الكشاف) للزمخشري، فأخذ منه ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان، ويليه تفسير الرازي (التفسير الكبير)، وأخذ منه ما يتعلق بالحكمة والكلام، كذلك تفسير الراغب الأصفهاني، وأخذ منه ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق بلطائف الإشارات.

لخص البيضاوي تفسير الزمخشري، منتقيًا منه تحريراته البلاغية، ونكاته البيانية، حتى قال السيوطي في حقه: "لخصه فأجاد[٦]، وأتى بكل مستجاد، وماز منه أماكن الاعتزال، وطرح مواضع الدسائس وأزال، وحرر مهمات، واستدرك تتمات، فبرز كأنه سبيكة نُضَار، واشتهر اشتهار الشمس في وسط النهار، وعكف عليه العاكفون، ولهج بذكر محاسنه الواصفون، وذاق طعم دقائقه العارفون، فأكبّ عليه العلماء والفضلاء تدريسًا ومطالعةً، وبادروا إلى تلقيه بالقبول رغبةً فيه ومسارعةً، ومرّوا على ذلك طبقة بعد طبقة، ودرجوا عليه من زمن مصنفه إلى زمن شيوخنا متسقة"[٧].

---

(١) ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج١٧، ص٢٠٦.

(٢) ينظر: الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، **حاشيته على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي**، دار صادر، بيروت، مقدمة الكتاب، ص٣.

(٣) ينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٣، ينظر: الخوانساري، **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**، ج٥، ص١٢٩.

(٤) ينظر: البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي،١٤١٨هـ، بيروت، مقدمة المحقق، ص١٢.

(٥) الكازروني، أبو الفضل القرشي الصديقي، **حاشيته على أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الفكر، بيروت، ج١، ص١٠-١١.

(٦) يقصد تفسير (الكشاف) للزمخشري. ينظر: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج١، ص١٨٦.

(٧) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار**، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، المقدمة، ص١٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

اهتم البيضاوي اهتمامًا كبيرًا وملحوظًا بعلوم اللغة إعرابًا ونحْوًا، ويظهر ذلك جليًا في تفسيره، حيث نقل عن سيبويه والخليل والمبرد والزجاج، ذاكرًا أسماءهم أحيانًا، وأحيانًا ينقل أقوالهم دون ذكر من هو صاحب القول، كما اهتم ببيان معاني المفردات الغريبة، وعلم الوجوه والنظائر، وأصل اشتقاق الكلمات، والاستشهاد بالشواهد الشعرية، واهتم بعلمي البيان والمعاني، وما فيها من دقة فهم، وروعة بيان.

كذلك الأمر في جانب العقيدة، فقد خلّص تفسيره من سقطات الزمخشري الاعتزالية، وردّ على فرق المتكلمين، وناقش المعتزلة في عقيدتهم، داحضًا حججهم، مؤيدًا عقيدة أهل السنة، مرجعًا لأدلتها.

واعتنى كذلك بذكر المباحث الأصولية، والأحكام الفقهية على مذهبي الشافعية والحنفية، لكن ليس بقدر اعتنائه بمباحث اللغة والعقيدة، لذلك تجده الباحثة يمر بها مرورًا، دون الإطالة في ذكر المذاهب وأدلتها، والرد عليها.

كما اعتنى رحمه الله بدراسة القراءات القرآنية المتفق عليها في ذلك الوقت، وما يترتب على اختلافها من وجوهٍ إعرابية، ونكاتٍ بلاغية، ومعانٍ تقديرية، ويذكر كذلك الشاذ من القراءات مع عزو كل قراءة لقارئها.

وأخيرًا فقد جاء تفسيره رحمه الله علمًا بين كتب التفسير بالرأي، حيث أودع فيه الكثير من العلوم المختلفة، النقلية منها، والعقلية؛ كعلم الكلام والمنطق، والعلوم اللغوية والعقدية والفقهية، وغيرها. فإن المطّلع عليه يلمس غزارة فوائده، وكثرة قطافه، وقيمته العلمية، وعظيم منفعته، وعلو منزلته بين التفاسير المتقدمة عليه، والمتأخرة عنه. مما جعل الكثير من العلماء يتزاحمون على دراسته، فعكفوا عليه بالدرس والتعليق والتحشية، وناقشوا الآراء، واستفادوا وأفادوا بإضافات علمية، وأسرار بلاغية. رحم الله علماءنا جميعًا، وجزاهم عما قدموا للإسلام والمسلمين خير الجزاء.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثانيًا: التعريف بالإمام أبي السعود وتفسيره

أ) التعريف بالإمام أبي السعود

١) اسمه:

هو محمد بن محمد المولى، ابن مصطفى العمادي الحنفي، مفتي التخت السلطاني وهو أعظم موالي الروم، وأفضلهم لم يكن له نظير في زمانه في العلم، والرئاسة، والديانة[١]، وقيل اسمه: أحمد، والأول هو المشهور[٢].

٢) كنيته:

يكنى بأبي السعود أفندي[٣].

٣) لقبه:

يلقب بـ (شيخ الإسلام)، و(مفتي التخت السلطاني)، و(مفتي الدهر)، و(مفتي الثقلين) [٤]، والشائع عنه عند الألوسي لقب (المولى أبو السعود)، كما ذكره بلقب آخر، هو (مفتي الديار الرومية) [٥].

٤) نسبه:

هو العمادي، نِسْبَة إلى جده الأعلى عماد الدين، الذي هاجر من تركستان[٦]، وهو الآمدي أيضًا، والإسكلبي، نِسْبَة إِلَى قصبة إسكليب العثمانية، التي تقع قرب القسطنطينية[٧].

---

(١) ينظر: الغزي، محمد بن محمد، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، تحقيق: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، بيروت، ج٣، ص٣١. ينظر: العَيْدَرُوس، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥، بيروت، ج١، ص٢١٥.

(٢) ينظر: البغدادي، إسماعيل باشا، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، دار إحياء التراث، ١٣٨٧، بيروت، ج٢، ص٢٥٣. ينظر: الآيديني، علي بن بالي، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)**، تصحيح: سيد محمد طباطباني بهبهاني، دار الكتاب العربي، ١٣٩٥، بيروت، ج١، ص٤٤٠.

(٣) ينظر: العكري، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، ١٤٠٦، دمشق، ج١٠، ص٥٢٧.

(٤) ينظر: البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج٢، ص٢٥٣. ينظر: الآيديني، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)**، ج١، ص٤٤٠. ينظر: حقي، إسماعيل بن مصطفى الإستانبولي الخلوتي، **روح البيان**، دار الفكر، بيروت، ج١، ص٤.

(٥) ينظر: الألوسي، محمود شهاب الدين أبو الثناء بن عبد الله بن محمود بن عاشور، **روح المعاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١، ص١١٢، ص١٤٨، ص١٥٤، ص١٥٧، ص١٥٩، ص١٦٣، ص١٧٩، ص١٨٠، ص٢٥٤، ص٢٧٢، ص٢٩٩، ص٣٩٦، ص٥٦٣، ص٥٦٤. وفي ج٢، ص٦٧، ص٩٣. وفي ج٦، ص٢٠٥. وفي ج١٤، ص١٤٥، ص١٥١. وفي ج١٥، ص٧٣، ص٨٢، ص٨٨، ص٢٠٣.

(٦) ينظر: شقيرات، أحمد صدقي، **تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني**، ٢٠٠٢م، إربد، الأردن، ج١، ص٣٧٨.

(٧) ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص٥٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٥) مولده:

اختلف المؤرخون في تحديد التاريخ الذي وُلِد فيه أبو السعود، فمنهم من قال في سنة ست وتسعين وثمانمائة للهجرة[١]، ومنهم من قال في سنة ثمان وتسعين وثمانمائة للهجرة[٢]، ومنهم من قال في سنة تسعمائة للهجرة[٣]، أما مكان مولده؛ فقد كان في قرية إسكليب القريبة من القسطنطينية[٤].

٦) نشأته[٥]:

نشأ أبو السعود في بيت علم وأدب وفضل، وتربى في حجر والده محمد بن مصطفى العماد، العالم الجليل، شيخ السلطان الأديب، فدفعه إلى حلقات العلم، وعلمه الفنون الأدبية حتى برع في حياته، وقرأ الكثير من الكتب عليه، مثل: (حاشية التجريد) مع جميع الحواشي المنقولة عنه، و(شرح المواقف)، و(شرح المفتاح)، كلها للشريف الجرجاني، وحفَّظَه (مفتاح العلوم) للسكاكي، فامتاز أبو السعود بحضور الذهن وسرعة البديهة، وفصاحة العرب العرباء.

اشتغل أبو السعود بالتدريس متنقلًا بين المدارس، ثم قُلِّد القضاء بِرَسَّه، وبعدها تولى القضاء في القسطنطينية، ثم ترقى حتى أصبح قاضي العسكر، ودام عليه مدة ثمان سنين، وبعدها أصبح مفتيًا، فقام بأعباء الإفتاء أتمّ قيام، وصار مفتي الدولة العثمانية، وشيخ الدولة الإسلامية، وظل مقربًا من السلطان سليمان الأول، وحصل له من المجد والشرف والإقبال ما لا يشرح بالمقال، واستمر على ذلك ثلاثين سنة، إلى أن مات.

برع أبو السعود في جميع الفنون، وفاق الأقران والظنون، وكان مهيب الجانب، حظيّ المكانة عند السلطان، يؤخذ عليه الميل الزائد إلى أرباب الرئاسة ومداهنتهم.

٧) صفاته:

أبو السعود هو المفسر والشاعر[٦]، المحقق المدقق الفهامة، العلم الراسخ، والطود الشامخ، "كان طويل القامة، خفيف العارضين، غير متكلّف في الطعام واللباس، غير أن فيه نوع اكتراث

---

(١) ينظر: العَيْدَرُوس، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، ج١، ص٣١٩. ينظر: الأدنه وي، **طبقات المفسرين**، ج١، ص٣٩٨. ينظر: الأدنه وي، **طبقات المفسرين**، ج١، ص٣٩٨.

(٢) ينظر: الآيديني، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)**، ج١، ص٤٤٠. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص٥٩.

(٣) ينظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص٢٦١.

(٤) ينظر: العكري، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج١٠، ص٥٨٤. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص٥٩.

(٥) ينظر: العَيْدَرُوس، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، ج١، ص٣١٩. ينظر: الآيديني، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)**، ج١، ص٤٤٠. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص٥٨-٥٩. ينظر: العكري، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج١٠، ص٥٨٤-٥٨٥.

(٦) ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص٥٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

بمداراة الناس والميل الزائد لأرباب الرئاسة، فكان ذا مهابة عظيمة، واسع التقرير، سائغ التحرير، يلفظ الدّرر من كلمه، وينثر الجوهر من حكمه، بحرًا زاخرًا، وطودًا باذخًا"[١].

تفرّد المولى أبو السعود في ميدان فضله فلم يجاره أحد، وانقطع عن القرين والمماثل في كل بلد، وكان عالمًا عاملًا، وإمامًا كاملًا، شديد التحري في فتاويه، وافر الإنصاف ديّنًا، سالمًا مما ابتلي به كثير من موالي الروم من أكل المكيفات[٢]، سالم الفطنة جيد القريحة، لطيف العبارة، حلو النادرة[٣]، حاضر الذهن، سريع البديهة، عالمًا باللغة العربية، والفارسية، والتركية، ينظم الشعر باللغات الثلاث، وكان يجيب على السؤال على منوال ما يسأله السائل من الخطاب، إن شعرًا فشعر، وإن نثرًا فنثر[٤].

تميز أبو السعود بأخلاقه الرفيعة، وتواضعه الجم، وحظي بمكانته المرموقة عند السلاطين والملوك، مما جعلهم يقربونه إليهم، آخذين بآرائه العلمية، وفتاويه الشرعية، حتى صار سلطان المفسرين، مفتي الأنام، مفني البدع والآثام[٥].

٨) مذهبه العقدي:

هو من أهل السنة والجماعة، وهو كغيره من الأتراك، الذين يميلون إلى الأشاعرة، أو الماتريدية عند تأويلهم للصفات[٦].

٩) مذهبه الفقهي:

كان أبو السعود من فقهاء الحنفية، حيث انتهت إليه رياسة الحنفية في زمانه، كان يجتهد في بعض المسائل، ويرجح بعض الدلائل، وله في الأصول والفروع قوة كاملة، وقدرة شاملة، وفضيلة تامة[٧].

١٠) شيوخه:

تلقى أبو السعود العلوم اللغوية والدينية على خيرة علماء عصره، والذين كان لهم باع في تكوين شخصيته العلمية المميزة، منهم:

---

(١) العكري، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج١٠، ص٥٨٥.

(٢) سألت الباحثة مجموعة من الأخوات التركيات عن معنى المكيفات: فأجبن بأنها المخدرات.

(٣) ينظر: الغزي، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، ج٣، ص٣٢.

(٤) ينظر: الآيديني، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)**، ج١، ص٤٤٠.

(٥) ينظر: الأدنه وي، **طبقات المفسرين**، ج١، ص٣٩٨.

(٦) ينظر: مقشر، منير حسين أحمد، **تعقبات أبي السعود العمادي على من سبقه من المفسرين في ضوء دلالة السياق القرآني من بداية الجزء السادس إلى نهاية الجزء العاشر من القرآن جمعًا ودراسةً**، رسالة دكتوراه، بإشراف: الأمير الجزولي، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، ص٢٢.

(٧) ينظر: اللكنوي، محمد عبد الحي، **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، تصحيح: محمد بدر الدين النعاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج١، ص٨١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١- والده محمد بن مصطفى الإسكليبي[١]

أخذ أبو السعود العلم منذ نعومة أظفاره على يد والده العالم الصوفي، الذي جمع بين رياستي العلم والعمل، أحبه السلطان بايزيد خان[٢] محبة عظيمة، وأجلسه على سرير السلطنة وقت ذهابه إلى الحج، حتى اشتهر بين الناس بشيخ السلطان، فبنى له زاوية بمدينة القسطنطينية، وكان الأكابر من الوزراء وقضاة العسكر يذهبون إلى بابه، فحصل له رياسة عظيمة، ومع ذلك لم بتغير حاله، فقد ظل تقيًا زاهدًا يهابه الصالحون لجلالته في العلم. قرأ أبو السعود على والده حاشية التجريد للشريف الجرجاني، من أول الكتاب إلى آخره مع جميع الحواشي المنقولة عنه، كما قرأ عليه شرح المفتاح وشرح المواقف بالتمام والكمال.

٢- عبد الرحمن بن علي بن المؤيد الأماسي، المعروف بمؤيد زادة[٣]

كان رحمه الله ماهرًا في التفسير والحديث، عارفًا في العلوم النقلية، بارعًا في العلوم العقلية، والفنون الأدبية، وشيخًا في العلوم العربية، وكان مهيبًا عظيم الشأن، ماهرًا في البلاغة والبيان، متقنًا للغات العربية والفارسية والتركية، ولد ببلدة أماسيه سنة (٨٦٠هـ)، لكن أخرجه أميرها السلطان بايزيد خان منها، بعدما وشى بعض المفسدين بصاحبه إلى والده السلطان محمد خان وأمر بقتله، فأدخله السلطان بايزيد إلى البلاد الحلبية، وهناك قرأ على بعض علمائها كتاب المفصل في النحو للزمخشري، ثم خرج منها إلى بلاد العجم قاصدًا جلال الدين الدواني[٤] طلبًا للاستزادة من العلم، وقرأ عليه زمانًا كبيرًا من العلوم العقلية والعربية والتفاسير والأحاديث، ثم رجع إلى أماسيه، وبعدها انتقل إلى القسطنطينية وفوضت إليه مناصب التدريس والقضاء.

٣- محمد بن محمد القوجوي الرومي الحنفي[٥]

كان رحمه الله عالمًا بالتفسير، والأصول، وسائر العلوم الشرعية والعقلية، أخذ العلم عن والده، وكان والده من مشاهير العلماء ببلاد الرّوم، وولي التدريس حتى صار قاضي العسكر بولاية أناضولي، ثم صار قاضيًا بمصر، فأقام بها سنة، ثم حجّ وعاد إلى القسطنطينية، وبها مات

---

(١) ينظر: زادة، طاشكيري، **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ويليه العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم**، دار الكتاب العربي، ١٣٩٥، بيروت، ج١، ص ٢٠٦. ينظر: الآيديني، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)**، ج١، ص٤٤٠.

(٢) السلطان بايزيد خان ابن السلطان الفاتح محمد خان. ينظر ترجمته: البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، باب الباء، ج١، ص٢٣٠.

(٣) ينظر: زادة، **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ويليه العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم**، ج١، ص١٧٦-١٧٨.

(٤) هو جلال الدين محمد بن أسعد الدّواني الكازروني الشافعي الصّدّيقي القاضي بإقليم فارس. ينظر ترجمته: العكري، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج١٠، ص٢٢١. وينظر: العَيْدَرُوس، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، ج١، ص١٢٣.

(٥) ينظر: زادة، **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ويليه العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم**، ج١، ص١٨٢. وينظر: العكري، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج١٠، ص٢٥٣. وينظر: الآيديني، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)**، ج١، ص٣٦٢-٣٦٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

سنة (٩٣٠هـ)، وقد ذكره أبو السعود في صورة إجازته لتلميذه الشيخ زادة، وكان له إنشاء بليغ، ذكره أبو السعود بوصف (الأستاذ الماجد الخطير)، ذي القدر الأتم والفخر الأشم.

٤- سعد الله بن عيسى بن أمير خان الحنفي، المعروف بسعدي جلبي[١]

لازم أبو السعود شيخه الذي تولى التدريس والقضاء والإفتاء في مدينة القسطنطينية، فقد كان فائقًا على أقرانه في تدريسه، وفي قضائه، مرضي السيرة، محمود الطريقة، كما كان في إفتائه مقبول الجواب، مهتديًا إلى الصواب، طاهر اللّسان لا يذكر أحدًا إلّا بخير، صحيح العقيدة، محافظًا على الأدب، قضى حياته بالاشتغال بالعلم الشريف، وقد ملك كتبًا كثيرة، كان قوي الحفظ، وله رسائل وتعليقات، وكتب (حواشي) مفيدة على (تفسير البيضاوي)، وله شرح مختصر مفيد للهداية، وبنى دارا للقرّاء بقرب داره بمدينة قسطنطينية، تخرج منها أكابر العلماء، ثم مات في سنة (٩٤٥هـ).

٥- عبد القادر بن محمد المشهور بقادري جلبي[٢]

كان رحمه الله عالمًا فاضلًا من كبار علماء عصره، صاحب فطنة وذكاء، لطيف المحاورة، حسن النادرة، يعرف بالكرم، يعفو عن المسيء، ويتجاوز عن المخطئ، اشتغل في التدريس، ثم تولى القضاء، وبعدها صار مفتيًا في مدينة القسطنطينية، كان له تعليقات ورسائل إلا أنها – للأسف - لم تظهر لابتلائه بسوء المزاج، واختلال البدن، مات في سنة (٩٥٥هـ).

١١)تلاميذه:

تمركز طلاب العلم حول أبي السعود، ليأخذوا من علمه ويستفيدوا من فقهه في القضاء والإفتاء، حتى بلغوا أعلى المناصب السميّة، والمراتب السّنيّة[٣]، منهم:

١- محمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم [٤].

أخذ العلم رحمه الله على أبي السعود، وتنقل بين عدة مدارس، ثم تولى القضاء في كل من حلب ودمشق ومصر، وبعدها صار قاضي العسكر في الأناضول، توفي سنة (٩٥٥هـ).

٢- عبد الرحمن بن جمال الدين المشهور بشيخ زادة[٥].

اهتم رحمه الله في تحصيل العلوم العربية، والفنون الأدبية، وتميز في الحديث والتفسير، وعلوم الوعظ والتذكير والخطابة، ذكره أبو السعود في صورة إجازته، وتوفي سنة (٩٧١هـ).

---

(١) ينظر: زادة، **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ويليه العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم**، ج١، ص٢٦٥. وينظر: العكري، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج١٠، ص٣٧٣.

(٢) ينظر: زادة، **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ويليه العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم**، ج١، ص٢٦٤-٢٦٥.

(٣) ينظر: الآيديني، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)**، ج١، ص٤٤٣.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ج١، ص٣٨٤-٣٨٥.

(٥) ينظر: الآيديني، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)**، ج١، ص٣٦٢-٣٦٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٣- حسن بن سنان[١].

اشتغل في المدارس، خادمًا للمفتي أبي السعود، ثم تولى القضاء، عُرِف بمطالعة الكتب، وجمع المسائل، وكتب الفوائد، وتحرير الرسائل، وكان رجلًا صالحًا دينًا، مشكور السيرة في قضائه بين الناس، وتوفي سنة (٩٧٥هـ).

٤- عطا الله أفندي[٢].

هو معلم السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان، أحرز العلوم والمعارف، وقرأ على العالم أبي السعود وهو مدرس في مدرسة داود باشا، وكان إمامًا ورعًا، صحيح الفكر، أصيل الرأي، له قطع مختارة من الفتاوى، توفي سنة (٩٧٩هـ)، حضر جنازته العلماء والوزراء، وصلّى عليه شيخه أبو السعود أفندي، ودفن بالقسطنطينية.

٥- عبد الكريم محمد بن أبي السعود[٣].

كان رحمه الله مؤدبًا ذا وجاهة من الكرم والحزم والنباهة، مشهورًا بحسن الخط والكتابة، مستحسنًا الزي واللباس، متلطفًا معاملة الناس، تربى في كنف جده أبي السعود، وأسبل عليه ملابس الفضل والجود، وتوفي سنة (٩٨١هـ).

٦- محيي الدين المشهور بنكساري زادة[٤].

جدّ في طلب العلم، وقام بخدمة أبي السعود، وظلّ ملازمًا له حتى زوجه ابنته، اشتغل في التدريس، ألحق نفسه بزمرة الصوفية، وكان يقول الحق، ولا يخاف في الله لومة لائم، توفي سنة (٩٨١هـ).

٧- محمد بن أحمد المشهور بابن بزن[٥].

نشأ على طلب العلم والفضائل، قلّد القضاء في بعض القصبات، لازم أبا السعود ثم اشتغل في عدة مدارس، وبعدها تولى الإفتاء، وتوفي سنة (٩٨٣هـ).

٨- حسن غلام المولى القادري[٦].

لازم المولى أبا السعود أيام قضائه بالعسكر المظفر، وكان في بداية أمره قد اشتغل بالتدريس، وبعدها تولى القضاء في دمشق، ومن ثم مصر، وبعدها مكة، ثم قلّد قضاء القسطنطينية، وبعدها العسكر، ثم أعيد إلى القضاء في القسطنطينية، وتوفي سنة (٩٨٥هـ).

---

(١) ينظر: الآيديني، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)**، ج١، ص٣٩٠-٣٩٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ج١، ص٤٠٧-٤٠٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ج١، ص٤٣٩.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ج١، ص٤٣٨.

(٥) ينظر: الآيديني، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)**، ج١، ص٤٨١-٤٨٢.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ج١، ص٤٨٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٩- أحمد المشهور بالكامي[١].

قرأ على علماء عصره، فحصّل طرفًا من العلوم والمعارف، حتى وصل إلى مجلس المولى أبي السعود، ثم اشتغل بالتدريس، وتولى القضاء في أدرنه، وبعدها عاد إلى القسطنطينية، وتوفي سنة (٩٨٧هـ).

١٠- محمود المشهور بمعلم زادة [٢].

كان رحمه الله خلوقًا، عارفًا بالشعر والكتابة، ذا حظٍ وافرٍ من المعارف والمفاخر، لازم المولى أبا السعود، واشتغل في التدريس في القسطنطينية، ثم صار موقعًا في الديوان العالي، توفي سنة (٩٨٧هـ).

١١- محمد ابن المعروف بصاروكرز أوغلي زادة[٣].

نشأ في مجالس الأفاضل والأكارم، كان أبوه قاضيًا، لازم المولى أبا السعود، ثم اشتغل بالتدريس في عدة مدارس، تولى القضاء في المدينة المنورة، ومن ثم حلب، توفي سنة (٩٨٩هـ).

١٢- عبد الواسع بن محمد بن أبي السعود[٤].

كان رحمه الله ذا عقل سليم، وذهن مستقيم، حسن الأخلاق، طيب الأعراق، اشتغل بالتدريس في عدد من المدارس المعروفة، تشريفًا لجده أبي السعود، توفي سنة (٩٩٠هـ).

١٢) مصنفاته:

صنف أبو السعود عدد من المصنفات في مختلف العلوم الشرعية واللغوية، وتميز أسلوبه بقوة العبارة، ورصانة المعنى، ومن أشهر مصنفاته:

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المشهور بتفسير أبي السعود[٥].

٢- نهاية الأمجاد على كتاب الجهاد من كتاب الهداية[٦].

٣- تهافت الأمجاد في فروع الفقه الحنفي[٧].

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ج١، ص٤٩٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ج١، ص٤٩٥.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ج١، ص٥٠١.

(٤) ينظر: الآيديني، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)**، ج١، ص٤٩٩.

(٥) ينظر: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج١، ص٤٢٧. ينظر: الغزي، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، ج٣، ص٣١. ينظر: الآيديني، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)**، ج١، ص٤٤٤. ينظر: البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج٢، ص٢٥٣. وهذا الكتاب مطبوع.

(٦) ينظر: البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج٢، ص٢٥٤. وهذا الكتاب مخطوط، توجد منه نسخة في المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية في مصر.

(٧) ينظر: كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٣، ص٦٩٣. لم تقف الباحثة على هذا الكتاب، لا مخطوطًا، ولا مطبوعًا.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٤- بضاعة القاضي في الصكوك[١].

٥- قانون المعاملات[٢].

٦- حسم الخلاف في المسح على الخفاف[٣].

٧- ثواقب الأنظار في أوائل منار الأنوار، في الأصول[٤].

٨- رسالة في تسجيل الأوقاف[٥].

٩- غلطات العوام[٦].

١٠- دعا نامه، كتاب أدعية بالتركية[٧].

١١- القصيدة الميمية[٨].

١٢- تعليقة مختصرة على كتاب البيع من كتاب الهداية للمرغيناني[٩].

١٣- تحفة الطلاب في المناظرة[١٠].

١٤- غمزات المليح في أول مباحث قصر العام من التلويح[١١].

١٣) وفاته:

توفي أبو السعود رحمه الله في يوم السبت من جمادى الأولى سنة ٩٨٢هـ، ودفن في مقبرة أبي أيوب الأنصاري بإستانبول[١٢].

---

(١) ينظر: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج١، ص٢٤٧. ينظر: البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج٢، ص٢٥٣. وهو مخطوط، وتوجد منه نسخة في مكتبة الخالدية في القدس، حققت في جامعة مرمرة، اسطنبول.

(٢) ينظر: البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج٢، ص٢٥٤. لم تقف الباحثة على هذا الكتاب، لا مخطوطًا، ولا مطبوعًا.

(٣) ينظر: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج١، ص٦٦٥. ينظر: البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج٢، ص٢٥٤. وهذا الكتاب مخطوط، توجد منه نسخة في المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية في مصر.

(٤) ينظر: البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج٢، ص٢٥٣. وهذا الكتاب مخطوط، توجد منه نسخة في المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية في مصر.

(٥) ينظر: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج١، ص٨٩٨. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص٥٩. وقد رمز له الزركلي بـ (خ) إشارة إلى كونه مخطوطًا، ولم تقف الباحثة عليه.

(٦) ينظر: البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج٢، ص254. وهذا الكتاب مخطوط، توجد منه نسخة في المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية في مصر.

(٧) ينظر: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج١، ص٧٥٥. وهو كتاب مطبوع.

(٨) ينظر: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج٢، ص١٣٤٧. ينظر: البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج٢، ص٢٥٤. وهذه القصيدة مطبوعة، شرحها محمد بن إبراهيم الحلبي، وكذلك عبد الرحمن بن صاجلي.

(٩) ينظر: الآيديني، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)**، ج١، ص٤٤٥. لم تقف الباحثة على هذه الحاشية، لا مخطوطة، ولا مطبوعة.

(١٠) ينظر: كحالة، **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، ج٣، ص٦٩٣. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص٥٩. وقد رمز له الزركلي بـ (خ) إشارة إلى كونه مخطوطًا، ولم تقف الباحثة عليه.

(١١) ينظر: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج١، ص٤٩٨. ينظر: البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج٢، ص٢٥٤. حُقِّق المخطوط حديثًا في تاريخ ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م في جامعة القاهرة، مصر.

(١٢) ينظر: البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج٢، ص٢٥٣. ينظر: الآيديني، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)**، ج١، ص٤٤٣. ينظر: الغزي، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، ج٣، ص٣٣. ينظر: العكري، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج١٠، ص٥٨٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ب) التعريف بتفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)

يعد تفسير أبي السعود من أجلّ كتب التفسير وأنفعها، فهو تفسير حسن ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل[١]، كما يعد هذا التفسير من كتب التفسير بالرأي[٢]، لكن ليس على الإطلاق – في رأي الباحثة.

اشتغل أبو السعود بمطالعة تفسيري (الكشاف) للزمخشري، و(أنوار التنزيل) للبيضاوي[٣] كما ذكر في مقدمة تفسيره، ونقل منهما الكثير من الآراء -كما ستبينه الدراسة- بالإضافة إلى ما ذكره أبو السعود من الدرر الثمينة، والآراء النفيسة التي نثرت فيه، والقضايا الفكرية التي أثارها هنا وهناك، والتي بدورها تبرز إعجاز القرآن العظيم من جهة، كما تبرز البراعة في البيان والبلاغة من جهة أخرى، مما جعله تفسيرًا متداولًا بين يدي أهل هذا الفن، ومطلبًا يطلبه كل من أراد دقة الفهم، وقد انتشرت نسخه في الأقطار، ووقع له التلقي بالقبول من الفحول الكبار، لحسن سبكه، وللطف تعبيره[٤]، ورصانة أسلوبه، واستقلال كيانه، وقوة رأيه، وسلامة اتجاهه وتوجيهه.

عزم أبو السعود على تفسير القرآن الكريم في وقت مبكر من حياته، إلا أن كثرة الانشغال بما وُكِّل إليه من مهام القضاء، حال دون إنجاز هذا التفسير مدة طويلة، حتى مسه الكبر، وشعر بدنو الأجل[٥].

بدأ أبو السعود بتأليف تفسيره إلى أن وصل إلى سورة (ص)، ولما طال به العهد، بيّض هذا القدْر، وأرسله إلى السلطان سليمان في شهر شعبان سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة للهجرة، فزاد في وظيفته – أي: راتبه – خمسمائة درهم، ثم تيسر له إتمام باقي التفسير، على وجه التمام والكمال، وأرسله إلى السلطان، وقد زاده مائة أخرى[٦].

ذكر أبو السعود في مقدمته الغرض الذي ساقه إلى تفسير القرآن، قائلًا عن المفسرين: "فدونوا أسفارًا بارعة، جامعة لفنون المحاسن الرائعة، يتضمن كل منها فوائد شريفة، تقر بها عيون الأعيان، وعوائد لطيفة يتشنف بها آذان الأذهان، لا سيما الكشاف، وأنوار التنزيل، المتفردان بالشأن الجليل، والنعت الجميل.....ولقد كان في سوابق الأيام، وسوالف الدهور والأعوام، أوان اشتغالي بمطالعتهما

---

(١) ينظر: اللكنوي، **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، ج١، ص٨٢.

(٢) ينظر: الذهبي، محمد السيد حسين، **التفسير والمفسرون**، مكتبة وهبة، القاهرة، ج١، ص٢٠٥. ينظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ج٢، ص ٥٦-٥٧. ينظر: لاشين، موسى شاهين، **اللآلئ الحسان في علوم القرآن**، ط١، دار الشروق، ١٤٢٣هـ، القاهرة، ج١، ص٣٣١-٣٣٢.

(٣) ينظر: ابن عاشور، محمد الفاضل، **التفسير ورجاله**، مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٠٩هـ، القاهرة، ج١، ص١٣٣. ينظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج١، ص٢٤٨.

(٤) ينظر: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج١، ص٦٥. بتصرف يسير.

(٥) ينظر: أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مقدمة الكتاب، ص٦.

(٦) ينظر: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج١، ص٦٥. ينظر: الآيديني، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)**، ج١، ص٤٤٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وممارستهما، وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما، يدور في خلدي على استمرار آناء الليل، وأطراف النهار، أن أنظم درر فوائدها في سمط دقيق، وأرتب غرر فرائدها على ترتيب أنيق، وأضيف إليها ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق"[١].

اعتنى أبو السعود بدلالة السياق عند تفسيره للآيات القرآنية، كما اعتنى بنظرية النظم الكريم، ووفق في تطبيقها، وكيفية ترتيب الجمل والمعاني فيها، وما لها من لطائف دقيقة، وأسرار عميقة، تسمو بقارئها إلى قمة الإعجاز البياني.

اعتمد أبو السعود على مصادر عدة في تفسيره، فكان يفسر القرآن بالقرآن، فإن لم يجد ينتقل إلى السنة النبوية، ومن ثم أقوال الصحابة والتابعين، يليهم أقوال المفسرين عامة، وأقوال الزمخشري والبيضاوي خاصة، وقد وقع اهتمامه على تفسيرهما، فقام بتعقبهما، ومناقشة أقوالهما، مرجحًا ما يراه إلى السياق أقرب، وإلى النظم أنسب.

كما يتعرض أبو السعود في تفسيره لبعض المسائل الفقهية، لكنه مقل جدًا، ولا يكاد يدخل في المناقشات الفقهية، والأدلة المذهبية، بل يسرد المذاهب في الآية الكريمة، ولا يزيد على ذلك[٢].

وتعد اللغة العربية من أهم المصادر التي اعتمد عليها أبو السعود، التي تظهر جلية في تفسيره، فكان يذكر المسائل النحوية، والنكات البلاغية، ويبرز أسرار التعبير القرآني، مرجحًا منها ما يراه موافقًا للمعنى السياقي، وإن خالف القاعدة النحوية العامة.

مثال ذلك: من المعلوم بداهة أن الجار والمجرور إذا تقدم في الجملة، كقولك: (على الله الاعتماد)، يُعرَب خبرًا مقدمًا، وما بعده مبتدأ مؤخرًا. وعليه فإن إعراب قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة:٨]، بحسب القاعدة السابقة يكون: ﴿وَمِنَ﴾ حرف جر، وشبه الجملة من ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ خبر مقدم، و﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾ مبتدأ مؤخر، إلا أن أبا السعود لم يجد هذا الإعراب يؤدي المعنى المتحقق من المبتدأ والخبر، لأنه لابد أن يكون المبتدأ معلومًا لدى المخاطبين، وأن يكون الخبر هو الذي تتم به الفائدة، لذا ذهب أبو السعود مذهبًا آخرَ في إعراب الآية، فأعرب ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ في محل رفع مبتدأ - موجهًا ﴿وَمِنَ﴾ بأنها تبعيضية - وما بعدها خبر، وعليه يكون المعنى: وبعض الناس من يقول آمنا[٣].

---

(١) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، مقدمة الكتاب، ص٤.

(٢) ينظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج١، ص٢٤٩.

(٣) ينظر: عباس، فضل حسن، **أثر اللغة العربية في تذوق معاني القرآن الكريم**، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، ١٤٢٦هـ، العدد (١)، ص٧. وينظر: أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص٣٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

لم يلتفت رحمه الله إلى القواعد الوضعية العامة في الإعراب، بل التفت إلى المعنى الأصح، الذي من خلاله وجه الإعراب المناسب له.

فقد أتى أبو السعود في تفسيره بما لم تسمح به الأذهان، ولم تقرع به الآذان، فصدق المثل القائل كم ترك الأول للآخر؟[١]

ثالثًا: تعريف التعقبات في اللغة، والاصطلاح، وبيان نشأة هذه الظاهرة

أ) تعريف التعقبات في اللغة

التعقبات لغة جمع تَعَقُّب، والفعل منه تَعَقَّبَ، على وزن تَفَعَّلَ[٢]، وجذره الثلاثي عَقِبَ. قال الخليل الفراهيدي: "وعَقَب الرجل: ولده، وولد ولده الباقون من بعده، وقولهم: لا عَقِب له: أي لم يبق له ولد ذكر. وتقول: ولى فلان على عقبه وعقبيه: أي أخذ في وجه، ثم انثنى راجعًا. والتعقيب[٣]: انصرافك راجعًا من أمر أردته أو وجه. والمعقِّب: الذي يتتبع عقب إنسان في طلب حق أو نحوه"[٤].

وذكر الجوهري: وتعقبت عن الخبر، إذا شككت فيه، وعدت للسؤال عنه، وتعقب فلان رأيه، أي وجد عاقبته، إلى خير [٥].

وذكر ابن فارس أن للعين والقاف والباء أصلين صحيحين؛ الأول: يدل على تأخير شيء وإتيانه بعد غيره، والآخر يدل على ارتفاع وشدة وصعوبة. ويقال تعقبت ما صنع فلان، أي تتبعت أثره، أما الأصل الآخر فالعقبة: طريق في الجبل وجمعها عِقاب[٦].

---

(١) الآيديني، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)**، ج١، ص٤٤٤.

(٢) ينظر: الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقيق: علي بو ملحم، ط١، مكتبة الهلال، ١٩٩٣م، بيروت، ج١، ص٣٧١.

(٣) التعقيب: أي يأتي بشيء بعد آخر. فهو معنى لا يخرج عن الحقيقة اللغوية في أصل مادة التعقب. ينظر: الجدعاني، مجمول بنت أحمد بنت حميد، **الاستدراك الفقهي تأصيلًا وتطبيقًا**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، ص٩١. أما في (معجم لغة الفقهاء): فقد روعيت الحقيقة العرفية في التعقُّب والتعقيب، وفُرِّق بين المصطلحين، فعُرِّف (التعقُّبَ) بأنه: التتبع لإظهار الخطأ أو الخلل، و(التعقيبَ) بأنه: ما يُثنّيه بعد التتبع وهو: إصلاح الخطأ أو سد الخلل. وعليه فالتعقّب هو العملية البحثية، والتعقيب هو إثبات نتائجها. وعلى هذا جرى كلام الفقهاء في استعمال اللفظين، ويُطلقون التعقُّب على التعقيب، من باب تسمية الشيء بلازمه. ينظر: قلعجي، محمد رواس، **معجم لغة الفقهاء**، ط٢، دار النفائس، ١٤٠٨هـ، ج١، ص١٣٦.

(٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بقية حرف العين، باب العين والقاف والهاء، ج١، ص١٧٨.

(٥) ينظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ، بيروت، ج١، ص١٨٧.

(٦) ينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، كتاب العين، باب العين والقاف وما يعقبهما، ج٤، ص ٧٧-٧٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وافق الراغب من تقدمه من العلماء، قائلًا: "والتعقيب: أن يأتي بشيء بعد آخر، يقال: عقِب الفرس في عدوه. قال: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ [الرعد:١١]، أي: ملائكة يتعاقبون عليه حافظين له. وقوله: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ [الرعد: ٤١]، أي: لا أحد يتعقبه ويبحث عن فعله، من قولهم: عقب الحاكم على حكم من قبله: إذا تتبعه"(١).

وقد ذكر ابن منظور أن الرجل إذا تعقَّب الخبر: بمعنى تتبعه. ويقال: تعقبت الأمر إذا تدبرته. والتعقُّب: التدبر. ويقال: لم أجد عن قولك متعقبًا أي رجوعًا أنظر فيه، أي لم أرخص لنفسي التعقب فيه، لأنظر آتيه أم أدعه. وفي الأمر معقب أي تعقب، والمعقِّب المتبع له حقًّا يسترده، واستعقبت الرجل وتعقبته إذا طلبت عثرته (٢).

وبناءً على ما سبق، فإن معنى التعقب في اللغة يدور حول الرجوع، والتدبر، والنظر، والارتفاع، والشدة، ومؤخر الشيء، لكن الجانب الذي ينطبق عليه معنى التعقب هنا هو تتبع الأثر، وتعقب العثرة، وهو المعنى المراد في هذه الدراسة.

ب) تعريف التعقبات في اصطلاح المفسرين

لم يذكر المتقدمون معنًى مستقلًا لهذا المصطلح، على الرغم من استخدامهم له في كتاباتهم، وتداولهم لهذا الفن في مؤلفاتهم، والسبب في ذلك يرجع إلى اشتمال المعنى اللغوي على كلا المفهومين معًا، فقد أشار علماء اللغة إلى تتبع الأثر، وتعقب العثرة، من ضمن تعريفاتهم، وهو الأساس الذي اعتمد عليه المعنى الاصطلاحي للتعقب، والذي استمر استعماله إلى يومنا هذا، مع تطور ليس بالكثير لهذا المصطلح.

قال الزمخشري: "وتعقبت ما صنع فلان: تتبعته. ولم أجد عن قولك معقّبًا أي متفحّصًا يعني أنه من السداد والصحة بحيث لا يحتاج إلى تعقب. وتعقّبت الخبر إذا سألت غير من كنت سألت أول مرة"(٣).

وبما أن معنى التعقب الاصطلاحي لا ينفك عن المعنى اللغوي، فقد صاغ الباحثون في العصر الحديث تعريفًا لهذا المصطلح بأنه: "تتبع عالم متأخر لعالم متقدم، بالتعليق على ما كتبه

---

(١) الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان الداودي، ط١، دار القلم، ١٤١٢هـ، دمشق، ص٥٧٥.

(٢) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، ط٣، دار صادر، ١٤١٤هـ، بيروت، حرف الباء، فصل العين المهملة، ج١، ص٦١٤.

(٣) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ، بيروت، ج١، ص٦٦٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تصـويبًا أو تخطئـة، أو تـذبيلًا، أو تـذنيبًا، أو تهـذيبًا"[١]، وهـو مصـطلح يسـتوعب كـلًا مـن الاستدراك[٢]، والاستخراج[٣]، والتذنيب[٤]، والتذييل[٥].

فإنْ تَتَبَّع العالم ابتداءً كلام غيره من أهل العلم من أجل إضافة علمية، سواء كانت إيجابية أو سلبية، تدخل في معنى التعقبات، إلا أن الشائع في استعمالها أن تطلق على نقد[٦] ما كتبه الآخرون نقدًا بناءً، وهو المعنى المراد في هذه الدراسة.

قال ابن عاشور: "ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين: رجل معتكف فيما شاده الأقدمون، وآخر آخذ بمعولة في هدم ما مضت عليه القرون، وفي تلك الحالتين ضر كثير، وهنالك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعمد إلى ما أشاده الأقدمون، فنهذبه، ونزيده، وحاشا أن ننقضه، أو نبيده، علمًا بأن غَمْط فضلهم كفران للنعمة، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة"[٧].

جـ) نشأة ظاهرة التعقبات

من عظيم حكمة الله تعالى أنه خلق الناس مختلفين في أفهامهم، وعقولهم، كما خلقهم مختلفين في صورهم، وألسنتهم، ومن سنن الله الكونية، ومن مقتضى هذه الحكمة الإلهية أن يقع الاختلاف بين البشرية في شتى أمور الحياة، خاصة الاختلاف في جانب الرأي، ومع نشأة العلوم عامة، وعلم التفسير خاصة، وجد العلماء فسحة لا بأس بها للاجتهاد بالرأي في هذا العلم، استنادًا إلى السياق تارة، وإلى ترتيب النظم وتناسب المقام تارة أخرى، وعليه فقد أخذ العلماء بتتبع غيرهم فيما قالوا، وفيما كتبوا، وقد بدت أولى لمحات هذا الفن في عهد النبوة، حيث نشأ علم معاني القرآن العظيم، فكان الصحابة يسألون النبي عليه السلام، فيما يُشكل عليهم فهمه، وإذا وقع الاختلاف بينهم في كتاب الله تحاكموا إليه عليه السلام، ثم يأتي البيان النبوي ليعالج إشكالًا في فهم، أو بيانًا في مبهم، أو إزالة للبس، وعليه فقد نشأت النواة الأولى لظاهرة التعقبات آنذاك.

---

(١) سليمان، علي حافظ السيد، **التعقبات العلمية: دلالاتها آفاقها آثارها**، مقالات متعلقة، الألوكة الثقافية، تاريخ الإضافة: ١٤-١٢-٢٠١٧.

(٢) الاستدراك هو: رفع توهُّم تولَّدَ مِن كلام متقدم، رفعًا شبيهًا بالاستثناء. ينظر: الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، **التعريفات**، تصحيح: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ، بيروت، ج١، ص٢١.

(٣) الاستخراج: "أن يأتي المصنف إلى الكتاب فيخرج أحاديث بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب؛ فيجتمع معه في شيخه أو من فوقه". السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، ج١، ص١١٧.

(٤) التذنيب: "جعل شيء عقيب شيء؛ لمناسبة بينهما، مِن غير احتياج مِن أحد الطرفين". الجرجاني، **التعريفات**، ج١، ص٥٥.

(٥) التذييل: "هو تعقيب جملة بجملة مشتملة على معناها للتوكيد". الجرجاني، **التعريفات**، ج١، ص٥٥.

(٦) النقد: هو فن تَمْيِيز جيد الْكَلَام من رديئه، وَصَحِيحه من فاسده. بتصرف يسير. ينظر: مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، ج٢، ص٩٤٤.

(٧) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، دار سحنون، ١٩٩٧م، تونس، بين يدي الكتاب، التعريف بالتفسير.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ومن أشهر الأمثلة المتداولة في هذا الجانب، ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[الأنعام: ٨٢]، شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: "ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم"(١). وهنا يظهر تعقب النبي عليه السلام على كلام ابن مسعود، وذلك عن طريق إزالة الإشكال الذي وقع فيه الصحابي في فهم الآية، واستبداله بالمعنى الصحيح.

واستمرت التعقبات في عهد الصحابة، بل وزادت اتساعًا بعد وفاة النبي عليه السلام، ويرجع السبب في ذلك إلى رواية الصحابة لبعض الأحاديث - في التفسير - والتي لم يروها غيرهم من جهة، وكثرة الاختلاف في تفسير بعض الآيات، وزيادة الاجتهاد الناشئ عن اتساع الدولة الإسلامية، ودخول الأعاجم إلى الدين الإسلامي من جهة أخرى. ومن أشهر الأمثلة التي تندرج تحت معنى التعقبات في هذا العصر، ما ورد عن عروة بن الزبير رضي الله عنه، أنه قال: "سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾ [البقرة: ١٥٨]، فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة"، قالت: "بئس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه، كانت: لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان من أهل يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:

---

(١) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المشهور بصحيح البخاري**، تحقيق: محمد بن زهير ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ﴾ [لقمان:١٢] إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان:١٨]، حديث رقم (٣٤٢٩)، ج٤، ص١٦٣. وفي صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، حديث رقم (١٢٤)، ج١، ص١١٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١٥٨]". قالت عائشة رضي الله عنها: "وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما"[١]،[٢].

مما سبق اختلاف الصحابة في تفسير القرآن، والذي بدوره أدى إلى اتساع دائرة التعقبات في عهدهم.

بعد ذلك نقل أئمة التابعين ما ورد عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم نقلًا دقيقًا، ولم يقفوا مكتوفي الأيدي عند هذا النقل، بل أخذوا يفسرون القرآن، ويتتبعون أقوال الصحابة، وأقوال غيرهم من التابعين، موافقين لهم تارة، ومختلفين معهم تارة أخرى، ومن هذه المخالفات نشأت التعقبات في هذا العصر أيضًا، وأشهر الأمثلة على تعقب التابعين للصحابة ما ورد عن ابن عباس في معنى الكرسي، في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فقال:"كرسيه علمه"[٣]، وقال السدي: "فإن السموات والأرض في جوف الكرسي، والكرسي بين يدي العرش، وهو موضع قدميه"[٤]. وقال الضحاك: "كرسيه الذي يوضع تحت العرش، الذي يجعل الملوك

---

(١) أخرجه البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المشهور بصحيح البخاري**، كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة، وجعل من شعائر الله، حديث رقم (١٦٤٣)، ج٢، ص١٥٧. وفي صحيح مسلم، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، كتاب الحج، باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به، حديث رقم (1277)، ج2، ص929.

(٢) الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، **الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة**، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط٢، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ، بيروت، ج١، ص١٤٣.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٩٧/٥ (٥٧٨٧) أبن أبي حاتم في تفسيره ٤٩٠/٢ (٢٥٩٩) والبيهقي في الأسماء والصفات ١٩٢/١ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤٤٩/٣ (٦٧٩) وابن منده في الرد على الجهمية ص٢١ كلهم من طريق مطرف بن طريف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال ابن منده: ولم يتابع عليه جعفر بن أبي المغيرة، وقال في موطن آخر: وجعفر ليس بالقوي في سعيد بن جبير. وجعفر ترجمه الذهبي في ميزان الاعتدال ٤١٧/١ ونقل قول ابن منده هذا فيه.

ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

ينظر: ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط٣، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩هـ، السعودية.

ينظر: البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، **الأسماء والصفات**، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، ط١، مكتبة السوادي، ١٤١٣هـ، السعودية.

ينظر: اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة**، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط٨، دار طيبة، ١٤٢٣هـ، السعودية.

ينظر: ابن منده، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدي، **الرد على الجهمية**، تحقيق: علي محمد ناصر الفقيهي، المكتبة الأثرية، باكستان.

ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار المعرفة، ١٣٨٢هـ، بيروت.

(٤) أخرجه الطبري ٣٩٨/٥ (٥٧٩٠)، حدثني موسى بن هارون، ثنا عمرو، ثنا أسباط عن السدي. وأسباط بن نصر قال فيه ابن حجر في التقريب: صدوق كثير الخطأ يُغرب.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

عليه أقدامهم"[١]. وعلى الرغم من أن الروايتين الأخيرتين باطلتان بحكم أهل الصنعة، إلا أن هناك الكثير من الأمثلة التي وقع فيها الخلاف بينهم، وكانت سببًا في تعقب كل منهم الآخر.

وأضحت التعقبات أكثر اتساعًا في عصر تابعي التابعين إلى أن بدأ عصر التدوين في القرن الثالث الهجري، والذي اتسم في بروز مدرستي النحو البصري، والنحو الكوفي، واختلاف الرأي من جهة اللغة، وقد صنفت عدة كتب في هذا الجانب، مثل مجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن للأخفش، وغيرها من المصنفات التي كثر فيها الاعتراضات، وبرزت فيها التعقبات، انتصارًا للمدرسة النحوية التي ينتمي إليها المصنف.

ثم ظهر بعد هؤلاء إمام المفسرين ابن جرير الطبري، الذي ألّف أفضل كتب علم التفسير، وسمّاه (جامع البيان)، جمع فيه كلًا من التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، فوُجِد الاختلاف بين الروايات بلا شك، الذي ساهم في تتبع الأقوال، وتعقب الآراء.

وبعد تأليف هذا المصنَّف العظيم، ظهرت العديد من مصنفات هذا العلم الجليل، وتنوعت اتجاهاته، فأصبح العالم النحوي يتتبع من سبقه من علماء هذا الفن في تفسير كلام الله، كما يتتبع العالم بالتفسير بالمأثور من كان قبله في هذا الاتجاه، وكذلك القول فيمن اشتغل في التفسير بالرأي، وغيره.

وقد حوت كتب التفسير العديد من أمثلة التعقبات، سواء كانت صريحةً في ذكر اسم المفسِّر، أو غير صريحة، بمعنى؛ أنها تُفهَمُ من تتبع عبارات كلا المفسرِيْن، وهذا ما فعله أبو السعود في تفسيره (الإرشاد)، فقد أشار في مقدمة كتابه إلى اشتغاله في مُطالعة كتابي (الكشاف) للإمام الزمخشري، و(أنوار التنزيل) للإمام البيضاوي، ومفاوضتهما، ليَنظِم درر تفسيره[٢]، وعند قيامه بمُدارَسَة الاعتراض في تفسير الآية، يذكر قول المفسِّر ضمن كلامه، ومن ثم يعقِّب عليه برأيه، دون أن يعزو الكلام إلى مؤلفه، وستُبيِّن الدراسة الآتية ما وصفته الباحثة.

---

(١) أخرجه الطبري ٣٩٨/٥ (٥٧٩١)، حدثني المثنى، ثنا إسحاق، ثنا أبو زهير عن جويبر، عن الضحاك. وجويبر بن سعيد ترجمه الذهبي في ميزان الاعتدال ٤٢٧/١ وقال: قال ابن معين: ليس بشيء. وقال الجوزجاني: لا يُشتغل به، وقال النسائي والدارقطني: متروك.

ينظر: الجوزجاني، إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي، **أحوال الرجال**، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البَستوي، حديث أكادمي، باكستان.

ينظر: الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي، **السنن**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ، بيروت.

(٢) ينظر: أبو السعود، **الإرشاد**، مقدمة الكتاب، ص٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصل الأول

تعقبات أبي السعود على أقوال البيضاوي التفسيرية من الآية (١) من سورة الفاتحة إلى الآية (٦٠) من سورة البقرة

المبحث الأول: التعقبات من الآية (١) من سورة الفاتحة إلى الآية (١١) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (٧) من سورة الفاتحة

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٢) من سورة البقرة

المطلب الثالث: التعقب في الآية (١١) من سورة البقرة

المبحث الثاني: التعقبات من الآية (١٤) إلى الآية (٣٠) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (١٤) من سورة البقرة

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٢٢) من سورة البقرة

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٣٠) من سورة البقرة

المبحث الثالث: التعقبات من الآية (٣١) إلى الآية (٦٠) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (٣١) من سورة البقرة

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٣٨) من سورة البقرة

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٦٠) من سورة البقرة

المطلب الرابع: التعقب في الآية (٦٠) من سورة البقرة

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

التعقبات من الآية (١) من سورة الفاتحة إلى الآية (١١) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (٧) من سورة الفاتحة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة:٧].

القول المعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ **بدل من** ﴿ٱلَّذِينَ﴾ **على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال**، أو صفة له مبينة، أو مقيدة على معنى: أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة، وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من الغضب والضلال، وذلك إنما يصح بأحد تأويلين، إجراء الموصول مجرى النكرة إذا لم يقصد به معهود كالمحلى، في قوله: (ولقد أمر على اللئيم يسبني)[1]، وقولهم: (إني لأمر على الرجل مثلك فيكرمني). أو جعل﴿غَيرِ﴾ معرفة

---

(١) الشاهد لرجل من سلول. الكتاب ٣/ ٢٢، والدرر ١/ ٧٨، وشرح التصريح ٢/ ١١، وشرح شواهد المغني ١/ ٣١٠، والمقاصد النحوية ٤/ ٥٨، والأصمعيات ١٢٦، ولعميرة بن جابر الحنفي في حماسة البحتري ١٧١، وبلا نسبة في الأزهية ص ٢٦٣، والأشباه والنظائر ٣/ ٩٠، وأمالي ابن الحاجب ٦٣١، وجواهر الأدب ٣٠٧، وخزانة الأدب ١/ ٣٥٧، والخصائص ٢/ ٣٣٨، وشرح شواهد الإيضاح ٢٢١، وشرح ابن عقيل ٤٧٥، ولسان العرب (ثم) و (منن).

ينظر: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ، القاهرة.

ينظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، بيروت.

ينظر: الجرجاويّ، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الأزهري زين الدين المصري، **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو**، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢١، بيروت.

ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **شرح شواهد المغني**، تعليق: محمد محمود ابن التلاميد التركزي الشنقيطي، لجنة التراث العربي، ١٣٨٦هـ.

ينظر: العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى، **المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية**، تحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، ط١، دار السلام، ١٤٣١هـ، القاهرة.

ينظر: الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع، **الأصمعيات**، أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط٧، دار المعارف، ١٩٩٣م، مصر.

ينظر: البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد، **الحماسة**، تحقيق: محمد إبراهيم حوَّر وأحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ١٤٢٨هـ، الإمارات العربية المتحدة.

ينظر: الهروي، علي بن محمد النحوي، **الأزهية في علم الحروف من النحو والصرف**، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مجمع اللغة العربية، ١٤٤٣هـ، دمشق.

ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الأشباه والنظائر في النحو**، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت.

ينظر: ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي، **الأمالي**، تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار، ١٤٠٩هـ، الأردن.

ينظر: الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، تحقيق: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت.

ينظر: البغدادي، عبد القادر بن عمر، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ، القاهرة.

ينظر: ابن جني، عثمان الموصلي، **الخصائص**، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ينظر: ابن بري، عبد الله، **شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي**، تحقيق: عيد مصطفى درويش، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤٠٥هـ، القاهرة.

ينظر: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢٠، دار التراث، ١٤٠٠هـ، القاهرة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

بالإضافة لأنه أضيف إلى ماله ضد واحد، وهو المنعم عليهم، فيتعين تعين الحركة من غير السكون"[١].

التعقب:

قال أبو السعود: "﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ صفة للموصول على أنه عبارة عن إحدى الطوائف المذكورة المشهورة بالإنعام عليهم، وباستقامة المسلك، ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما أضيف إليه كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين؛ أعني مطلق المغضوب عليهم والضالين، فاكتسبت بذلك تعرفًا مصححًا لوقوعها صفة للمعرفة، كما في قولك: عليك بالحركة غير السكون، وصفوا بذلك تكملة لما قبله، وإيذانًا بأن السلامة مما ابتلي به أولئك نعمة جليلة في نفسها؛ أي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الإيمان، ونعمة السلامة من الغضب والضلال، وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا بأعيانهم، فيكون بمعنى: النكرة كذي اللام إذا أريد به الجنس في ضمن بعض الأفراد، لا بعينه، وهو المسمى بالمعهود الذهني، وبالمغضوب عليهم والضالين اليهود والنصارى، كما ورد في مسند أحمد والترمذي[٢] فيبقى لفظ ﴿غَيْرِ﴾ على إبهامه نكرة كـ (مثل) موصوفه، وأنت خبير بأن جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة، مخل ببدلية ما أضيف إليه مما قبله، فإن مدارها كون صراط المؤمنين علمًا في الاستقامة مشهودًا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف، ومن البين أن ذلك من حيث إضافته وانتسابه إلى كلهم، لا إلى بعض مبهم منهم، **وبهذا تبين أن لا سبيل إلى جعل غير المغضوب عليهم بدلًا من الموصول**، لما عرفت من أن شأن البدل أن يفيد متبوعه مزيد تأكيد وتقرير، وفضل إيضاح وتفسير، ولا ريب في أن قصارى أمر ما نحن فيه أن يكتسب مما أضيف إليه نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة للموصول، وأما استحقاق أن يكون مقصودًا بالنسبة مفيدًا لما ذكر من الفوائد فَكَلَّا"[٣].

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج١، ص٣١.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٣٢/١٢٤(١٩٣٨١)، والترمذي (٢٩٥٤) في التفسير: باب ومن سورة الفاتحة، والطبري (١٩٣) (١٩٤) (٢٠٩) وابن حبان في صحيحه (٧٢٠٦) و (٧٣٦٥)، والطبراني في المعجم الكبير ١٧/ (٢٣٧) من حديث عدي بن حاتم. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

ينظر: أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **مسنده**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ، بيروت.

ينظر: الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، **سننه**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط٢، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ، مصر.

ينظر: ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ، بيروت.

ينظر: الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

(٣) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٨-١٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي جواز إعراب﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾بدلًا من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال، أو صفة له مبينة أو مقيدة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة، وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من الغضب والضلال، بينما يرى أبو السعود أنها صفة للموصول، ولا سبيل إلى جعل ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾بدلًا منه، وعلل ذلك مستندًا إلى المعنى الناتج عن كلا الإعرابين، لا، لما هو جائز لغة.

التحقيق والدراسة:

ذكر المفسرون وعلماء اللغة في إعراب ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ عدة أوجه:

- أولا: أن إعراب ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ بدل من الاسم الموصول ﴿ ٱلَّذِينَ﴾، قال بذلك النيسابوري[١] صاحب كتاب باهر البرهان.
- ثانيا: أن إعراب ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ بدل أو صفة من الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على حد سواء، قال بهذا القول أكثر المفسرين، وعلى رأسهم الكرماني[٢]، ومكي القيسي[٣]، والراغب الأصفهاني[٤]، والزمخشري[٥]، وابن عطية[٦]، والقرطبي[٧]، والنسفي[٨]، وابن عاشور[٩]، موافقين في ذلك أهل اللغة، كالمبرد[١٠] والزجاج[١١] وأبي علي الفارسي[١٢].

---

(١) ينظر: النيسابوري، محمود بن علي بن الحسين الغزنوي، **باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن**، تحقيق: سعاد بنت صالح بابقي، رسالة علمية، جامعة أم القرى، ١٩٩٨م، مكة المكرمة، ج١، ص١٢-١٣.

(٢) ينظر: الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، دار القبلة الثقافة الإسلامية، جدة، ج١، ص١٠٣-١٠٤.

(٣) ينظر: القيسي، مكي بن أبي طالب، **مشكل إعراب القرآن**، تحقيق: حاتم الضامن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج١، ص ٧٢.

(٤) ينظر: الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق: محمد بسيوني، ط١، ج١، ص٦٨.

(٥) ينظر: الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، بيروت، ج١، ص١٦.

(٦) ينظر: ابن عطية، عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، بيروت، ج١، ص٦٨.

(٧) ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ، القاهرة، ج١، ص١٥٠-١٥١.

(٨) ينظر: النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف بديوي، ط١، دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ، بيروت، ج١، ص٣٢.

(٩) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص١٩٥.

(١٠) ينظر: المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ج١، ص٤٢٣.

(١١) ينظر: الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، **معاني القرآن وإعرابه**، ط١، عالم الكتب،١٤٠٨هـ، بيروت، ج١، ص٥٣.

(١٢) ينظر: الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، **الحجة للقراء السبعة**، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، ط٢، دار المأمون للتراث، ١٤١٣هـ، دمشق، ج١، ص١٤٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- ثالثا: ترجيح البدل على الصفة في إعراب ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾، وأصحاب هذا القول السمين الحلبي[١]، موافقًا الأخفش[٢]من أهل اللغة.
- رابعا: ترجيح الصفة على البدل في ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾، وقال بذلك الألوسي[٣]متّبعًا أبا السعود.
- خامسا: أن إعراب ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ صفة من الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وقال بذلك جمع من العلماء لا بأس به، على رأسهم الطبري[٤] والنسفي صاحب التيسير[٥]، وابن كثير[٦]، والزركشي[٧]، والبقاعي[٨]، والسيوطي[٩]، موافقين بذلك سيبويه[١٠] والفراء[١١] من أهل اللغة.

ومن جهة التعريف والتنكير: ذكر الأندلسي[١٢] في (شرح المفصل): "اعلم أن غير لها ثلاثة مواضع: أحدها: أن تقع موقعًا لا تكون فيه إلا نكرة، وذلك إذا أريد به النفي الساذَج في نحو: (مررت برجل غير زيد)، تريد أن الممرور به ليس بهذا.

الثاني: أن تقع موقعًا لا تكون فيه إلا معرفة، وذلك إذا أريد شيء قد عرف بمضادَّة المضاف إليه في معنى لا يضادُّه فيه إلا هو؛ مثال ذلك إذا قلت: (مررت بغيرك)، إلا أنه في هذا لا يجري صفة، فيذكَرُ غيرَ جارٍ على الموصوف....

---

(١) ينظر: الحلبي، السمين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج١، ص٧١.

(٢) ينظر: الأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء البلخي، **معاني القرآن**، تحقيق: هدي قراعة، ط١، مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ، القاهرة، ج١، ص١٦٥.

(٣) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٩٤-٩٥.

(٤) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١، ص١٨٠-١٨٢.

(٥) ينظر: النسفي، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد الحنفي، **التيسير في التفسير**، تحقيق: ماهر أديب حبوش، ط١، دار اللباب، ١٤٤٠هـ، اسطنبول، ج١، ص١٦٢.

(٦) ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي البصري، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي سلامة، ط٢، دار طيبة، ١٤٢٠هـ، ج١، ص١٤٠.

(٧) ينظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ، ج١، ص١٨٢.

(٨) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١، ص٤٠.

(٩) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية، ١٣٩٤هـ، ج١، ص٢٤٥.

(١٠) ينظر: سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص٣٣١-٣٣٥.

(١١) ينظر: الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد النجاتي وآخرون، ط١، دار المصرية، مصر، ج١، ص٧.

(١٢) هو القاسم بت أحمد بن الموفق بن جعفر الأندلسي المرسي، أبو محمد اللورقي النحوي، صاحب كتاب الموصل الذي شرح فيه المفصل. ينظر: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج٢، ص١٧٧٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الثالث: أن يقع موقعًا يكون فيه نكرة تارة، ومعرفة أخرى، كما إذا قلت: (مررت برجل كريم غير لئيم، وعاقل غير جاهل)"[١]. ذكر عبد القاهر: وقوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ من قبيل القسم الثاني[٢]. وقد جعله الزمخشري من قبيل الثالث[٣]. وهو القول الأقرب إلى ترجيح الباحثة الآتي.

نظر العلماء إلى هذا الموضع من جهتين اثنتين:

الجهة الأولى: جهة اللفظ ومحل وقوعه من الإعراب، فجوزوا إعرابه على البدلية أو على الوصفية، إلا أنهم وجدوا إشكالًا في كونه صفة لأن ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ نكرة، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ معرفة، وأجابوا عنه بجوابين:

- "أحدهما: أن ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ إنما يكون نكرة إذا لم يقع بين ضدين، فأما إذا وقع بين ضدين فقد انحصرت الغَيْريَّةُ فيتعرَّفُ غير حينئذ بالإضافة، تقول: مررت بالحركة غير السكون، والآية من هذا القبيل"[٤].

- والآخر: أن "﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لا توقيت فيه"[٥] أي: قريب من النكرة؛ لأنه لم يقصد به قوم بأعيانهم[٦]، فالموصولَ أَشْبَهَ النكرات في الإبهام الذي فيه، فعومل معاملةَ النكرات[٧]، "و﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قريب من المعرفة للتخصيص الحاصل له بإضافته، فكل واحد منهما فيه إبهام من وجه واختصاص من وجه فاستويا"[٨]، بمعنى: "أن الموصول بعد اعتبار تعريفه بالصلة، كالمعرف باللام في استعمالاته الأربعة، وأنه إذا استعمل في بعض مما اتصف بالصلة، كان كالمعرف بلام العهد الذهني، فكما أن المعرف المذكور، لكون التعريف فيه للجنس معرفة بالنظر إلى مدلوله، وفي حكم النكرة بالنظر إلى قرينة البعضية المبهمة، ولذا يُعامل

---

(١) السيوطي، **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار**، ج١، ص٣٠٢.

(٢) ينظر: الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٣، مطبعة المدني، ١٤١٣هـ، القاهرة، ص٣٢٨.

(٣) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص٣٩-٤٠.

(٤) الحلبي، **الدر المصون**، ج١، ص٧١.

(٥) الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٦.

(٦) ينظر: الطيبي، الحسين بن عبد الله، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب**، تحقيق: إياد محمد الغوج، ط١، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ، ج١، ص٧٦٠.

(٧) ينظر: الحلبي، **الدر المصون**، ج١، ص٧١.

(٨) النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص٣٣. ينظر: الطيبي، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب**، ج١، ص٧٦٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

به معاملتهما، كذلك الموصول المذكور بالنظر إلى التعيين الجنسي، المستفاد من مفهوم الصلة معرفة، وبالنظر إلى البعضية المبهمة المستفادة من خارج كالنكرة، فيجوز أن يعامل معاملة النكرة والمعرفة أيضًا"[١].

وبذلك جاز إعراب ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ ﴾ صفة للاسم الموصول وزال الإشكال من ناحية اللغة بالدليل.

الجهة الثانية: جهة المعنى، فمعنى أن تكون ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ ﴾ بدلًا يفيد متبوعه مزيد تأكيد وتقرير، وفضل إيضاح وتفسير[٢]، فكأنه قال: صراط غير المغضوب عليهم[٣]، فهم الذين سلموا من غضب الله والضلال[٤]، وهذا يُشْكِلُ على قول من يرى أن البدل يَحُلُّ محلَّ المبدل منه، ويُنوَى بالأول الطرح.

ومعنى أن تكون ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ ﴾ صفة لـ ﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب اللَّه والضلال[٥]، وفي ذلك نعمتان بدلًا من النعمة الواحدة، كما فيه ثراء لمعنى الآية، وإضافة لا يستهان بها.

الترجيح:

بعد النظر والتأمل في هذه الآية، يتضح للباحثة أن الإعراب يتعين من طرفين: الصناعة والمعنى، وقد تجيز الصناعة إعرابين للكلمة الواحدة، ولكن المعنى يقوي إعرابًا، ويضعف آخرَ أو يمنعه أحيانًا، فالآية الكريمة هنا تحتمل من جهة الصناعة إعراب ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ ﴾ بدلًا أو صفةً، ويبقى الترجيح لجهة المعنى، وتمييز الفرق بين البدل والصفة، فالصفة تزيد الموصوف تخصيصًا وتوضيحًا، كما ذكر ابن هشام أن النعت تابع مشتق أو مؤول به يفيد تخصيص متبوعه أو مدحه أو ذمه أو تأكيده[٦] أو الترحم عليه؛[٧] بمعنى أن بقاء الموصوف مراد، وجيء بالصفة

---

(١) السيالكوتي، عبد الحكيم، **حاشيته على تفسير البيضاوي**، مصر، ج١، ص٨٤.

(٢) ينظر: أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٩.

(٣) ينظر: المبرد، **المقتضب**، ج١، ص٤٢٣.

(٤) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٦.

(٥) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٦.

(٦) منع البصريون توكيد النكرة مطلقًا، لأن جميع ألفاظ التوكيد معرفة، ويجب أن يتوافق التوكيد والمؤكد في التعريف، فالبصريون يشترطون ذلك، بينما لا يشترط الكوفيون ذلك. ينظر: ابن هشام، جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عيد الله، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، دار الطلائع، ٢٠٠٤م، القاهرة، ج١، ص٤٣٨.

(٧) ينظر: المرجع السابق، ج١، ص٤٣٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

لزيادة الإيضاح والتخصيص، أما البدل فهو التابع المقصود بالحكم بلا واسطة[١]، بمعنى أنه المقصود لذاته، يجاء به على نية طرح المبدل منه وإحلال البدل محله، فلا يؤثر على بناء الجملة إذا ما حذف، وهذا ما بينه شيخ زادة في حاشيته في معنى: (أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة، وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من الغضب) أن كل واحد من المتبوع والتابع مقصود بالنسبة بخلاف ما إذا كان ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بدلًا؛ لأن المتبوع حينئذ يكون في حكم الساقط، ويكون ذكره لمجرد جعله توطئة للتابع[٢].

ينتج مما سبق أن إعراب ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ بدل من الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في الآية – وإن صح لغة – إلا أنه لا يؤدي المعنى المراد منها، بل على العكس يسلب أحد المعاني التي دلت عليها الآية، ويقصره إلى معنى واحد وهو : صراط غير المغضوب عليهم، بدلًا من صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ، بينما إعرابها صفة يثري المعنى، ويضيف فائدة اكتمال وصف هذه الفئة بالوصفين السابقين بدلًا من الوصف الواحد، وهذا ما أراده أبو السعود حيث قال: "وبهذا تبين أن لا سبيل إلى جعل غير المغضوب عليهم بدلًا من الموصول، لما عرفت من أن شأن البدل أن يفيد متبوعه مزيد تأكيد وتقرير وفضل إيضاح وتفسير، ولا ريب في أن قصارى أمر ما نحن فيه، أن يكتسب مما أضيف إليه نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة للموصول، وأما استحقاق أن يكون مقصودًا بالنسبة مفيدًا لما ذكر من الفوائد، فَكَلّا"[٣]. ويظهر رجحان هذا الوجه، بدليل أن الإعراب فرع المعنى، فلا بد للنظر إلى المعنى المراد وما يترتب عليه من إعراب يلائمه، دون إنقاص أو إجحاف في حق الآيات الكريمة، والله أعلم.

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ج١، ص٤٤٥.

(٢) ينظر: زادة، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي، **حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي**، مكتبة الحقيقة، ١٤١٩هـ، اسطنبول، ج١، ص٤٩-٥٠.

(٣) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٨-١٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٢) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [البقرة: ٢].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى ﴿الٓمٓ﴾، إن أُوِّلَ بالمُؤَلَّف من هذه الحروف، أو فُسِّر بالسورة، أو القرآن، فإنه لما تكلم به وتقصّى، **أو وصل من المرسل إلى المرسل إليه، صار متباعدًا، أشير إليه بما يشار به إلى البعيد**"(١).

التعقب:

قال أبو السعود: "﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ذا اسم إشارة، واللام عماد، جيء به للدلالة على بعد المشار إليه، والكاف للخطاب، والمشار إليه هو المسمى، فإنه منزل منزلة المشاهد بالحس البصري، وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه، للإيذان بعلو شأنه، وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف إثر تنويهه بذكر اسمه، **وما قيل من إنه باعتبار التقصي، أو باعتبار الوصول من المرسل إلى المرسل إليه في حكم المتباعد، وإن كان مصححًا لإيراده، لكنه بمعزل من ترجيحه على إيراد ما وضع للإشارة إلى القريب**"(٢).

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن اسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ لما تكلم به وتقضى، أو وصل من المرسل إلى المرسل إليه في هذه الآية، صار متباعدًا، أي أشير إليه بما يشار به إلى البعيد، بينما يرى أبو السعود أن اعتبار الوصول من المرسل إلى المرسل إليه في حكم المتباعد، وإن كان مصححًا لإيراده، لكنه بمعزل من ترجيحه على إيراد ما وضع للإشارة إلى القريب.

التحقيق والدراسة:

للمفسرين أقوال في اسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ هي:

أولًا: أن ذا اسم إشارة، واللام عماد جيء به للدلالة على بعد المشار إليه، والكاف للخطاب؛ أي ذلك الكتاب الذي وعد به، فالمشار إليه بعيد حقيقة (٣).

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٣٥.

(٢) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص٢٣.

(٣) ينظر: ابن شاه، محمد عبد الحق الهندي الحنفي، **الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي**، ضبط: محيي الدين البيرقدار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص٦٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثانيًا: أن ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ بمعنى هذا، وهو قول ابن عباس[١]، ومجاهد[٢]، وعكرمة[٣]، وابن جريج[٤]، والسدي[٥]، وأبي عبيدة[٦]. وأن العرب تقارض بين هذين الاسمين من أسماء الإشارة، فيستعملون كلا منهما مكان الآخر، وهذا معروف في كلامهم[٧]، وقد يرجع ذلك إلى تعدد استعمالات اسم الإشارة اللغوية، والعرفية، والمعنوية – كما ستبينها الدراسة لاحقًا - وإن صح ذلك الخبر عنهم إلا أنه لا ينطبق على كتاب الله، فمما لا شك فيه، أن القرآن الكريم استخدم اللفظة استخدامًا دقيقًا، ومقصودًا، ولم يكن اختيار اللفظ متأرجحًا، بل كان لفظًا فصيحًا وقع في محله، قال ابن عطية: "لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها، لم يوجد"[٨].

ثالثًا: أنه قد يشار بـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إلى حاضر تعلق به بعض الغيبة، وبـ ﴿ هَٰذَا ﴾ إلى غائب هو من الثبوت والحضور، بمنزلة وقرب[٩].

رابعًا: أن ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة ما ذكر من الحروف إلى سائرها، فوقعت الإشارة إلى ﴿ الٓمٓ ﴾ بعد ما سبق التكلم به وتقضى، والمتقضى في حكم المتباعد، وهذا في كل كلام[١٠]، والمعنى: أنه لما كانت الحروف أُصولًا للكلام المؤلف، أخبر أن هذا القرآن إنما هو مؤلف من هذه الحروف؛ فكأنه قال: هو من هذه الحروف التي تؤلفون منها كلامكم، فما بالكم تعجزون عن معارضته؟! فإذا عجزتم فاعلموا أنه ليس من قول محمّد عليه السلام[١١].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٢٢٥/١ رقم (٢٥٠). هكذا: حدثنا القاسم بن الحسن، ثنا الحسين بن داود، حدثني حجاج عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس. وابن جريج لم يدرك أحدًا من الصحابة، فالإسناد منقطع.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ٢٢٥/١ رقم (٢٤٧) ورواته ثقات.

(٣) رواه الطبري في تفسيره ٢٢٥/١ رقم (٢٤٨) وابن أبي حاتم في تفسيره٣٣١/١ رقم (٥٣) وزاد نسبته في الدر المنثور ٦٠/١ لابن الأنباري في "المصاحف". ورواته ثقات.

(٤) رواه الطبري في تفسيره ٢٢٥/١ رقم (٢٥٠).

(٥) رواه الطبري في تفسيره ٢٢٥/١ رقم (٢٤٩).

قال محققه أحمد شاكر: في إسناده الحكم بن ظهير أبو محمد بن أبي ليلى الكوفي، ضعيف جدًا، رمي بوضع الحديث قال البخاري في الكبير:" تركوه منكر الحديث" وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل عن أبي زرعة: "واهي الحديث" وقال ابن حبان في كتاب المجروحين:" كان يشتم أصحاب محمد عليه السلام، يروي عن الثقات الأشياء الموضوعات.

ينظر: ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي أبو حاتم، الدارمي البُستي، **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط١، دار الوعي، ١٣٩٦هـ، حلب.

(٦) ينظر: أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، ١٣٨١هـ، القاهرة، ج١، ص٢٨.

(٧) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص١٦٢.

(٨) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص٥٢.

(٩) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج١، ص٨٣.

(١٠) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص٣٢.

(١١) ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتاب العربي،١٤٢٢هـ، بيروت، ج١، ص٢٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

خامسًا: أن الكتاب لما وصل من المرسل إلى المرسل إليه، وقع في حد البعد، كما تقول لصاحبك وقد أعطيته شيئًا: احتفظ بذلك[١].

سادسًا: أنها إشارة إلى غائب. وفيه ثلاثة أقوال[٢]:

أحدها: أنه أراد بـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ما تقدم إنزاله على رسول الله عليه السلام، من القرآن قبل هذه السورة؛ وهو أن الله تعالى أنزل الكتاب بعضه بعد بعض، فنزل قبل سورة البقرة سور كثيرة، وهي كل ما نزل بمكة مما فيه الدلالة على التوحيد، وفساد الشرك وإثبات النبوة وإثبات المعاد، فـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى تلك السور التي نزلت قبل سورة البقرة.

والثاني: أنه أراد بـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ما وعده أن يوحيه إليه؛ أنه تعالى وعد رسوله عند مبعثه أن ينزل عليه كتابًا لا يمحوه الماحي[٣]، وهو عليه السلام أخبر أمته بذلك، وروت الأمة ذلك عنه، يؤيده قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل:5].

والأخير: أنه أراد بـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ما وعد به أهل الكتاب المتقدمين؛ فسورة البقرة سورة مدنية، خاطب الله تعالى فيها بني إسرائيل، محتجًّا بها عليهم، وقد أخبرهم موسى وعيسى عليهما السلام أن الله سيرسل محمدًا صلى الله عليه وسلم، وينزل عليه كتابًا فقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي الكتاب الذي أخبر الأنبياء المتقدمون في التوراة والإنجيل، بأن الله تعالى سينزله على النبي عليه الصلاة والسلام، المبعوث من ولد إسماعيل.

سابعًا: أن الله تعالى أخبر عن القرآن بأنه في اللوح المحفوظ، بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا ﴾ [الزخرف: ٤] وقد أخبر عليه السلام أمته بذلك، فغير ممتنع أن يقول تعالى: ذلك الكتاب، ليعلم أن هذا المنزل هو ذلك الكتاب نفسه المثبت في اللوح المحفوظ.

---

(١) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص٣٢.

(٢) ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج١، ص٢٧.

(٣) كلام ذكره الرازي في مفاتيح الغيب ١٢/٢عند تفسير قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾، وهو منسوب لابن عباس، لكنه غير موجود في الكتب التي تروي آثار الصحابة.
ينظر: الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، **مفاتيح الغيب**، ط٣، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، بيروت.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثامنًا: لما اشتمل القرآن على حكم عظيمة وعلوم كثيرة، يتعسر اطلاع القوة البشرية عليها بأسرها- والقرآن وإن كان حاضرًا نظرًا إلى صورته، لكنه غائب نظرًا إلى أسراره وحقائقه- فجاز أن يشار إليه كما يشار إلى البعيد الغائب[١].

تاسعًا: أن ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى الصراط في قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: ٦]، كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم، أجيبوا: ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه؛ هو الكتاب. وبهذا تبين وجه ارتباط سورة البقرة بسورة الفاتحة[٢].

عاشرًا: هو ذلك الكتاب الكامل الموعود إنزاله في الكتب المتقدمة، حال كونه لا ريب ولا شكّ في إنزاله من عند الله تعالى، وإنّما أشار بذلك إلى ما ليس ببعيد؛ لأنّ الكتاب من حيث كونه موعودًا في حكم البعيد [٣].

الحادي عشر: أن غاية البعد هو تعظيمه، كما تقول في مقام التعظيم ذلك الفاضل، وأولئك الفحول، وكقوله عز وعلا ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ [البقرة: ١-٢] دلالة على بعده درجة، وقول امرأة العزيز، فيما يحكيه جل وعلا: ﴿ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ﴾ [يوسف:٣٢]، ولم تقل فهذا ويوسف حاضر، رفعًا لمنزلته في الحسن، واستحقاقًا لما يحب ويفتتن به، واستبعادًا لمحله، ومن أمثلة التبعيد لقصد التعظيم قوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا ﴾ [الزخرف:٧٢][٤]. وهذا القول أحسن ما قيل في توجيه الإشارة إليه بصيغة البعد، كما رجح الطيبي في حاشيته[٥].

الثاني عشر: أنَّ ذلك الكتاب البعيد الشأن العليَّ القدر، هو أيضًا بعيد كلَّ البعد عن أن يكون محلًا للريب، أو أن يكون أهلًا لأنْ يرتاب فيه مرتابٌ، يقوم ارتيابه من شيء فيما يرتاب فيه[٦].

الثالث عشر: أن ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى القرآن الذي في السماء لم ينزل بعد، كما ذكر الكسائي[٧].

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ج١، ص٢٥٨-٢٦٠.

(٢) ينظر: أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، ١٤٢٠هـ، بيروت، ج١، ص٦١.

(٣) ينظر: الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، ج١، ص١٠٥-١٠٦.

(٤) ينظر: السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي، **مفتاح العلوم**، علق عليه: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ، بيروت، ج١، ص١٨٤.

(٥) ينظر: الطيبي، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب**، ج٢، ص٤٤.

(٦) ينظر: سعد، محمود توفيق محمد، **الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن**، ج١، ص١٥٣.

(٧) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص٨٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الرابع عشر: أن ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ يعني ما تقدم سورة البقرة من السور، والقرآن يطلق على القدر المشترك بين الكل والبعض[١].

ذكر العلماء أن اسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يتعين من طرفين في هذه الآية: المعنى الحقيقي والمعنى المجازي[٢]؛ فمن جهة المعنى الحقيقي في الصناعة اللغوية فهو ينحو منحيين:

الأول: الوضع اللغوي: فقد ذكر الفراء ما يؤكد أن موضع ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ في الآية يصلح فيه من جهتين، وتصلح فيه (هذا) من جهة؛ فأما أحد الوجهين من ﴿ذَٰلِكَ﴾ فعلى معنى: هذه الحروف يا محمد صلى الله عليه وسلم، ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أوحيه إليك. والآخر: أن يكون ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ على معنى يصلح فيه (هذا) لأن قوله (هذا) و﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يصلحان في كل كلام، إذا ذكر ثم أتبعته بأحدهما بالإخبار عنه. ألا ترى أنك تقول: قد قدم فلان فيقول السامع: قد بلغنا ذلك، وقد بلغنا هذا الخبر، فصلحت فيه (هذا) لأنه قد قرب من جوابه، فصار كالحاضر الذي تشير إليه، وصلحت فيه ﴿ذَٰلِكَ﴾ لانقضائه، والمنقضي كالغائب[٣].

كما سوى ابن مالك بين الإتيان بالقريب والبعيد في الإشارة لكلام متقدم إذ قال: وقد يتعاقبان (أي اسم القريب والبعيد) مشارًا بهما إلى ما ولياه أي من الكلام، ومثله شارحه بقوله تعالى بعد قصة عيسى: ﴿ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٥٨ ﴾ [آل عمران: ٥٨] ثم قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ [آل عمران: ٦٢] فأشار مرة بالبعيد ومرة بالقريب والمشار إليه واحد. لكن هذا التوجيه اللغوي لا ينطبق على كلام الله، إذ إن القرآن الكريم لما يذكر (هذا) يريد بها معنىً معينًا، مختلفًا عن ذكره ﴿ ذَٰلِكَ ﴾، بلا شك.

---

(١) ينظر: السيالكوتي، **حاشيته على تفسير البيضاوي**، ج١، ص١٠٩-١١٠.

(٢) المعنى المجازي في الاصطلاح: "هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي". الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، **جواهر البلاغة في البيان والمعاني والبديع**، تدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ج١، ص٢٥١.

(٣) ينظر: الفراء، **معاني القرآن**، ج١، ص١٠-١١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الثاني: الوضع العرفي: قال ابن هشام: "وتلحقهن في البعد كاف خطاب حرفية مجردة من اللام مطلقًا، أو مقرونة بها"[١]، لكن إذا سلمنا أن المشار إليه حاضر، لا نسلم أن لفظة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ لا يشار بها إلا إلى البعيد في كل أحوالها، بيانه: أن ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ و(هذا) حرفا إشارة، وأصلهما (ذا)، لأنه حرف للإشارة، قال تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة: ٢٤٥] ومعنى (ها) للتنبيه، فإذا قرب الشيء أشير إليه، فقالت العرب: هذا، أي تنبه أيها المخاطب لما أشرت إليه، فإنه حاضر لك بحيث تراه، وقد تدخل الكاف على (ذا) للمخاطبة، واللام لتأكيد معنى الإشارة، فقالوا: ﴿ذَٰلِكَ﴾ فكأن المتكلم بالغ في التنبيه لتأخر المشار إليه عنه، فهذا دلالة على أن لفظة ذلك لا تفيد البعد في أصل الوضع، بل اختص في العرف بالإشارة إلى البعيد للقرينة التي ذكرت، فصارت كالدابة، فإنها مختصة في العرف بالفرس، وإن كانت في أصل الوضع متناولة لكل ما يدب على الأرض، وإذا ثبت هذا فنقول: إنا نحمله هاهنا على مقتضى الوضع اللغوي، لا على مقتضى الوضع العرفي، وحينئذٍ لا يفيد البعد، ولأجل هذه المقاربة يقام كل واحد من اللفظين مقام الآخر[٢].

ومن جهة الاستعمال المجازي، للمفسرين عدة أقوال:

الأول: معنى البعد هنا للتعظيم؛ كما تقول في مقام التعظيم ذلك الفاضل وأولئك الفحول -كما ذكرت في الأقوال السابقة - ذهابًا على بعده درجة[٣].

الثاني: اشتمال القرآن على حكم عظيمة وعلوم كثيرة، يتعسر اطلاع البشر عليها بأسرها- والقرآن وإن كان حاضرًا نظرًا إلى صورته، لكنه غائب نظرا إلى أسراره وحقائقه[٤].

الثالث: أنَّ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ البعيد الشأن العليَّ القدر هو أيضًا بعيد كلَّ البعد عن أن يكون محلًا للريب[٥].

---

(١) ابن هشام، **شرح شذور الذهب**، ج١، ص١٧٢

(٢) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١، ص٢٥٩.

(٣) ينظر: السكاكي، **مفتاح العلوم**، ج١، ص١٨٤.

(٤) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١، ص٢٥٨-٢٦٠.

(٥) ينظر: سعد، **الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن**، ج١، ص١٥٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الرابع: أن ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ إشارة إلى بعده وعلوه عن أن يبلغ أفهام من تلبس بالذنوب والمعاصي، والحقيقة: أن هذا القرآن بعيد بعدًا معنويًا، وبعيد عن أن تنال معاني ألفاظه لمن بَعُدَ عن تعاليمه، فائتمر بما فيه من الأوامر، وانتهى عما فيه من النواهي[١].

الترجيح:

بعد النظر والتأمل في هذه الآية تجد الباحثة أن لكل معنى من هذه المعاني دورًا في هذه الآية، فالمعنى الحقيقي للبعد – وهو المعنى الظاهر من اللفظ – يفيد البعد الزماني بين الموحي والموحى إليه، وهذا حقيقة لا شك فيها لكنها ليست هي المعنى المراد الوصول إليه في وصف القرآن العظيم، لذلك لجأ العلماء إلى التعبير المجازي الذي بدوره يحقق المعنى المطلوب من اسم الإشارة؛ "لأن المعتبر في أسماء الإشارة هو الإشارة الحسية، التي لا يتصور تعلقها إلا بمحسوس مشاهد، فإن أشير بها إلى ما يستحيل إحساسه نحو ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾[٢]، أو إلى محسوس غير مشاهد نحو ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ﴾[٣]، فلتصيره كالمشاهد. وتنزيل الإشارة العقلية منزلة الإشارة الحسية"[٤]، له تأثير في النفس يلامس التصور البشري.

كما تشير الباحثة إلى أن المعنى المجازي لا ينفصل عن المعنى الحقيقي للكلمة، بل ينطلق منه متّسِعًا معاني أخرى يضفيها السياق القرآني؛ ليثري معنى الآيات، ويكشف عن أسرارها، في ظل ما يمتلكه المفسر من قريحة أنعمها الله عليه في فهم كلامه، والوصول إلى مراده بإذنه تعالى.

وهناك لمحة دقيقة عند علماء البلاغة، وهي أن صيغة البعد إذا استعملت في غير ما وضعت له، فإنه يراد بها نكتة بلاغية مقصودة، لإشارة حسية[٥] موجودة في السياق، ناتجة عن إشارة عقلية، وهي هنا الإشارة إلى سمو كتاب الله، وعلو مكانته، وإمامته على سائر الكتب السماوية، ويظهر رجحان هذا الوجه، وهو الراجح عند أبي السعود، والله أعلم.

---

(١) ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، **شرح كتاب مقدمة في أصول التفسير**، شرح: محمد بن عمر بازمول، ١٤٢٤هـ، ج١، ص١٤٥.

(٢) الأنعام: ١٠٢.

(٣) مريم: ٦٣.

(٤) السيالكوتي، **حاشيته على تفسير البيضاوي**، ج١، ص١٠٩.

(٥) ينظر: الخفاجي، **حاشيته على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي**، ج١، ص١٨٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثالث: التعقب في الآية (١١) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [البقرة: ١١].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ **عطف على** ﴿يَكْذِبُونَ﴾[١]، أو ﴿يَقُولُ﴾[٢]. وما روي عن سلمان[٣] رضي الله عنه أن أهل هذه الآية لم يأتوا بعد، فلعله أراد به أن أهلها ليس الذين كانوا فقط، بل وسيكون من بعد من حاله حالهم؛ لأن الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها"[٤].

التعقب:

قال أبو السعود: "﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ شروع في تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكي عنهم من الكفر والنفاق، .... وهو إما معطوف على ﴿يَقُولُ﴾ فإن جعلت كلمة ﴿مَن﴾[٥] موصولة فلا محل له من الإعراب، ولا بأس بتخلل البيان أو الاستئناف وما يتعلق بهما بين أجزاء الصلة، فإن ذلك ليس توسيطًا بالأجنبي، وإن جعلت موصوفة، فمحله الرفع والمعنى: ومن الناس من إذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الإفساد في الأرض، ﴿قَالُوا﴾ إزاءه للناهين إن ذلك غير صادر عنهم، مع أن مقصودهم الأصلي إنكار كون ذلك

---

(١) فيما تقدم من قوله تعالى: ﴿ ...وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة:١٠].

(٢) فيما تقدم من قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٨].

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري ٢٨٧/١ (٣٣٧) وابن أبي حاتم ٤٥/١ (١٢٣) من طريق وكيع – وهذا في تفسيره فيما عزاه إليه صاحب الدر المنثور ٧٧/١ – عن الأعمش عن المنهال عن عباد بن عبد الله الأسدي عن سلمان، ورواته ثقات غير عباد بن عبد الله الأسدي ضعفه ابن المديني وقال البخاري: فيه نظر. وذكره ابن حبان في الثقات كما في هامش تفسير الطبري. فالإسناد فيه مقال.

ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، **الدر المنثور**، دار الفكر، بيروت.

ينظر: ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي، **الثقات**، راقبه: محمد عبد المعيد خان، ط١، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣هـ، الهند.

(٤) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٤٦.

(٥) فيما تقدم من قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ...﴾ [البقرة:٨].

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إفسادًا، وادعاء كونه إصلاحًا محضًا...﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ أي مقصورون على الإصلاح المحض، بحيث لا يتعلق به شائبة الإفساد والفساد، مشيرين بكلمة ﴿إِنَّمَا﴾ إلى أن ذلك من الوضوح، بحيث لا ينبغي أن يرتاب فيه. وإما كلام مستأنف سيق لتعديد شنائعهم، وأما عطفه على يكذبون، بمعنى: ولهم عذاب أليم بكذبهم، وبقولهم حين نهوا عن الإفساد ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ كما قيل، **فيأباه أن هذا النحو من التعليل حقه أن يكون بأوصاف ظاهرة العلّية، مسلمة الثبوت للموصوف، غنية عن البيان، لشهرة الاتصاف بها عند السامع، أو لسبق ذكره صريحًا**، كما في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾، فإن مضمونه عبارة عما حكي عنهم من قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، أو لذكر ما يستلزمه استلزامًا ظاهرًا، كما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾، فإن ما ذكر من الضلال عن سبيل الله مما يوجب حتمًا نسيان جانب الآخرة، التي من جملتها يوم الحساب، وما لم يكن كذلك فحقه أن يخبر بعليته قصدًا، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ﴾، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ إلى غير ذلك، **ولا ريب في أن هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها، ليس مضمون شيء منها معلوم الانتساب إليهم عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة، حتى تستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور، فإذن حقها أن تكون مسوقةً على سنن تعديد قبائحهم على أحد الوجهين، مفيدة لاتصافهم بكل واحد من تلك الأوصاف قصدًا واستقلالًا**، كيف لا؟ وقوله عز وجل: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ ينادي بذلك نداءً جليًا، فإنه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية أبلغ رد"[1].

(١) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص٤٣-٤٤ بتصرف يسير.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ عطف على ﴿يَكْذِبُونَ﴾ أو ﴿مَن يَقُولُ﴾، بينما يرى أبو السعود أنّ عطفها على ﴿مَن يَقُولُ﴾ لا إشكال فيه، بينما عطفها على ﴿يَكْذِبُونَ﴾ يأباه السياق، والأَوْلى أن تكون جملة مستأنفة جرت على سنن تعديد أوصاف المنافقين القبيحة قصدًا واستقلالًا.

التحقيق والدراسة:

اختلف العلماء في واو ﴿وَإِذَا﴾ على قولين:

أولًا: أن تكون الواو في ﴿وَإِذَا﴾ للعطف، وأن يكون ما بعدها معطوفًا:

- إما على ﴿يَكْذِبُونَ﴾؛ بمعنى: ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون، وبما كانوا إذا قيل لهم كذا قالوا كذا. وقد رجح الزمخشري هذا الوجه[1]، لخلوه عن تخلل البيان أو الاستئناف، وهو ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ وما يتعلق به بين أجزاء الصلة[2].

- وإما على ﴿مَن يَقُولُ آمَنَّا﴾، بمعنى: ومن الناس من إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض، قالوا إنما نحن مصلحون.

فإذا عطف على ﴿يَكْذِبُونَ﴾ يكون تابعًا، وإذا عطف على ﴿مَن يَقُولُ﴾ كان مستقلًّا، مذيلًا بقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ كما ذيلت الآيات السابقة واللاحقة[3].

---

(١) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٠٠. ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص٥٠.
(٢) ينظر: زادة، **حاشية شيخ زادة على البيضاوي**، ج١، ص١٣٨.
(٣) ينظر: الطيبي، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب**، ج٢، ص١٨٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- وإما على ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾، فإن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾؛ إخبار عن بعض عجيب أحوالهم، منها؛ أنهم قالوا إنما نحن مصلحون، في حين أنهم مفسدون على وجه الحقيقة، فيكون معطوفًا على أقرب الجمل الملظة –الملازمة- لأحوالهم وإن كان ذلك يؤول في المعنى إلى كونه معطوفًا على الصلة في قوله تعالى: ﴿ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾[١].

ثانيًا: أن تكون الواو في ﴿ وَإِذَا ﴾ للاستئناف:

وتكون الجملة بعدها مستأنفة، لا محل لها من الإعراب[٢]، وعليه يؤول المعنى إلى الشروع في تعديد بعض من مساوئهم المتفرعة على ما حُكِي عنهم من الكفر والنفاق[٣].

وعليه، فقد نظر العلماء إلى هذا الموضع من جهتين اثنتين:

الجهة الأولى: جهة اللفظ ومحل وقوعه من الإعراب، فجوزوا أن تكون الواو عاطفة وما بعدها معطوف، أو استئنافية وما بعدها لا محل له من الإعراب، إلا أنهم وجدوا إشكالًا في كونها عاطفة، فأجاب أبو حيان عنه بما يأتي:

١) يحتمل أن تكون من باب عطف الجمل، استئنافًا يعدد قبائح أفعالهم وأقوالهم.

٢) يحتمل أن يكون كلامًا في العطف على ﴿يَكْذِبُونَ ﴾، وفي الثاني- ﴿مَن يَقُولُ﴾ - جزءًا من كلام لأنها من تمام الصلة.

وقد جوّز الزمخشري[٤]، وأبو البقاء[٥] أن تكون معطوفة على ﴿يَكْذِبُونَ ﴾، وأن يكون لها موضع من الإعراب، وهو النصب، لأنها معطوفة على خبر كان، في قوله تعالى: ﴿بِمَا

---

(١) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٢٨٣.

(٢) ينظر: درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، **إعراب القرآن وبيانه**، ط٤، دار الإرشاد للشئون الجامعية، ١٤١٥هـ، حمص، سوريا، ج١، ص٣٤.

(٣) ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، بيروت، ج١، ص٢٥١.

(٤) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص٦٢.

(٥) ينظر: العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله، **إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن**، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ج١، ص١٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

﴿كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ والمعطوف على الخبر خبر، وهي بذلك تكون جزءًا من السبب الذي استحقوا به العذاب الأليم[١]، "فتنتفي فائدة اختصاص الكذب بالذكر المبنيّ عليه ما مرّ"[٢].

إلا أن هذا العطف الذي أجازاه، على أحد وجهي ﴿مَا﴾ من قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ خطأ[٣] ، للأسباب الآتية:

١- إما أن تكون ﴿مَا﴾ موصولة بمعنى (الذي)، وبذلك يكون المعطوف على الخبر خبر، لكن عدم وجود العائد على (ما)، التي في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾، يبطل أن يكون معطوفًا عليه، إذ يصير التقدير: ولهم عذاب أليم بالذي كانوا إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، وهذا كلام غير منتظم[٤].

٢- وإما أن تكون ﴿مَا﴾ مصدرية، فعلى مذهب الأخفش[٥] يكون هذا الإعراب أيضا خطأ، لكون ﴿مَا﴾ المصدرية اسم يعود عليها ضمير من صلتها، والجملة المعطوفة عارية منه. أما على مذهب الجمهور، فهذا الإعراب شائع[٦].

إلا أن الباحثة وجدت إشكالًا آخرَ - ذكره القونوي- وهو أن النحاة لم يذكروا وصل ﴿مَا﴾ المصدرية بالجملة الشرطية، ويدفعه أن عدم الذكر لا يدل على العدم، مع كون الاستقراء التام مشكلًا، والاستقراء الناقص غير مفيد[٧].

الجهة الثانية: جهة المعنى؛ فمعنى الآيات في حال العطف على ﴿يَكْذِبُونَ﴾ هو: ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون، وبما كانوا إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن

---

(١) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج١، ص١٠٤.

(٢) الخفاجي، **حاشيته على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي**، ج١، ص٣٢٧.

(٣) ينظر: القونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود محمد عمر، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، بيروت، ج٢، ص١٤٤.

(٤) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٨٨.

(٥) ينظر: الأخفش، **معاني القرآن**، ج١، ص٤٣.

(٦) لم يذكر الزمخشري، وأبو البقاء إعراب ﴿مَا﴾ في كلامهما على أنها مصدرية.

(٧) ينظر: القونوي، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، ج٢، ص١٤٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مصلحون[١]. ذلك لأنه أقرب، وليفيد تسببه للعذاب أيضًا، وليؤذن أن صفة الفساد يحترز منها، كما يحترز عن الكذب[٢].

أما إذا كانت الآية معطوفة على ﴿مَن يَقُولُ﴾، يكون المعنى: ومن الناس من يقول آمنا بالله، ومن الناس من إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون.

أما معنى الآيات إذا كانت الواو استئنافية فهو: شروع في تعديد بعضٍ من مساوئهم، وأعمالهم المتفرعة من الكفر والنفاق، بجمل مستقلة بذاتها، فهذه الآية وما بعدها، تصف تفاصيل كذبهم، وتبين نتائج تكذيبهم.

أيد ذلك ما ذكره أبو حيان، حيث قال: "هذه الجملة والجملتان بعدها هي من تفاصيل الكذب ونتائج التكذيب. ألا ترى قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾ وقولهم: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾، وقولهم عند لقاء المؤمنين ﴿ءَامَنَّا﴾[٣] كذب محض؟ فناسب جعل ذلك جملًا مستقلة ذكرت لإظهار كذبهم ونفاقهم ونسبة السفه للمؤمنين واستهزائهم، فكَثر بهذه الجمل، واستقلالها ذمهم والرد عليهم، وهذا أولى من جعلها سيقت صلة جزء كلام؛ لأنها إذ ذاك لا تكون مقصودة لذاتها، إنما جيء بها معرفة للموصول إن كان اسمًا، ومتممة لمعناه إن كان حرفًا"[٤].

الترجيح:

ذكرت الباحثة سابقًا أن الإعراب لا يتعين إلا من طرفي الصناعة والمعنى، وقد تجيز الصناعة إعرابين للجملة ذاتها بحسب قواعدها، أما جانب المعنى فهو الذي يرجح الإعراب الأقوى، وبالنظر إلى هذه الآية، تجد الباحثة أنها تحتمل إعرابين من جهة اللغة؛ إعرابها معطوفة على ﴿يَكْذِبُونَ﴾، بما هو شائع عند الجمهور، كما ذُكِر في أوجه ﴿مَا﴾ المصدرية، أو

---

(١) ينظر: النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميران، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ، بيروت، ج١، ص١٦٦.

(٢) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص١٥٤.

(٣) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ۝١٦﴾ [البقرة: ١١-١٦]

(٤) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص١٠٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

معطوفة على ﴿ مَن يَقُولُ ﴾، أو أن تكون مستأنفة لا محل لها من الإعراب، ويبقى الترجيح لجهة المعنى، وتمييز الفرق بين ما يؤول إليه المعنى، إذا كانت الواو حرفَ عطفٍ، وما بعدها معطوفًا، فيصبح جزءًا من كلام، أو واوًا استئنافية، وما بعدها جملًا مستأنفة مستقلة بذاتها.

وعليه، فالعطف على ﴿يَكۡذِبُونَ﴾ يدخل في حيز الصلة، ويؤول إلى أن الكذب سببٌ للعذاب، والاقتصار على ذكره – دون غيره - لإظهار قبحه، ولتنفير النفس عن ارتكابه، إلا أنه يقتضي أن يكون معنى الآية ولهم عذاب أليم بقولهم ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١﴾ إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض، وهذا القول كذب لا محالة، يؤول إلى أنه هو السبب لاستحقاقهم العذاب، لا الفساد بذاته. وهذا المعنى ليس هو المراد، لذا لا يليق العطف بسياق الآيات، وتدعم الباحثة هذا الرأي بما ذكره الألوسي أن التفسير بالواو – أي العطف - في الجمل خلاف الظاهر، يأباه الذوق والاستعمال[1]. والله أعلم.

كما أن قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ ﴾ وقوله: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ معطوفان على قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ ﴾، فلو قالوا بالعطف على ﴿يَكۡذِبُونَ﴾، كانا أيضًا معطوفين عليه، داخلين في سبب العذاب، وبذلك تنتفي فائدة اختصاص الكذب بالذكر المبني عليه ما سبق.

وأما ما ذكر من ترجيح العطف على ﴿مَن يَقُولُ﴾[2]، فيرده أنه في المآل كذب، ولو سلم تغايرهما في الاعتبار الظاهر، فهو يُعَد جزءًا من الصلة أو الصفة، وكلاهما يقتضي عدم الاستقلال. ويؤيد ذلك ما ذكره الشهاب فقال: "إنّ الآية في المنافقين مطلقاً، لا تختص بمنافقي عصره أو منافقي المدينة، وإن نزلت فيهم؛ لأنّ خصوص السبب لا ينافي عموم النظم كما هو مشهور، فالآية عامة تشملهم، وتشمل من يأتي بعدهم عن جنسهم، ولا يرد أنها مخصوصة بقوم آخرين مباينين لهؤلاء بالكلية، حتى يقال إنه مناف لظاهر النظم، وعود الضمير على ما بعد، ولذا

(١) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص١٥٤.
(٢) جوّز أبو السعود هذا العطف.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قيل إنّ المرويّ يدل بظاهره على أنّ المراد بهذه الآية غير المراد بما قبلها فلا يكون عطفًا على (يقول) أو (يكذبون)، ولا يمكن أن يراد به ظاهره"[١].

كما اعترض الشهاب الخفاجي على هذا العطف؛ لأنه يقتضي مغايرة الأحوال لا مغايرة القصص، حيث قال: "وقول الشارحيْن[٢] الفاضلين في ردّه، إنه ليس مما يعتد به، وإن توهم كونه أوفى بتأدية هذه المعاني، وذلك لعدم دلالته على اندراج هذه الصفة، وما بعدها في قصة المنافقين وبيان أحوالهم، إذ لا يحسن عود الضمائر التي فيها إليهم، كما يشهد به سلامة الفطرة لمن له أدنى دربة بأساليب الكلام، لا يظهر له وجه عنده، فإن عود الضمائر رابط للصفات بهم، وسوق الكلام مناد عليه، وقد يأتي في الصفة الواحدة جمل مستأنفة بغير عطف، كما مر، فإذا لم ينافه الاستئناف رأسا، كيف ينافيه العطف على أوله المستأنف، والعطف إنما يقتضي مغايرة الأحوال لا مغايرة القصص، وأصحابها"[٣].

والذي تختاره الباحثة أن هذه الجملة مستأنفة[٤] لا محل لها من الإعراب، كما رجح أبو السعود؛ لأنها وما بعدها من تفاصيل الكذب، ونتائج التكذيب. فناسب جعلها جملًا مستقلة؛ لإظهار كذبهم ونفاقهم، وتكثير ذمهم والرد عليهم، وهذا أولى من جعلها صلة، أي جزء من الكلام، فهي إذًا مقصودة لذاتها، والله أعلم.

---

(١) الخفاجي، **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٣٢٧.

(٢) ذكر الشهاب الخفاجي أن الشارحيْن هما: المدقق في الكشف، حيث قال: "ولو قيل إنه معطوف على قوله: **(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ)** لبيان حالهم في أدعاء الإيمان وكذبهم فيه أولًا، ثم لبيان حالهم في انهماكهم في باطلهم، ورؤية القبح حسنًا، والفساد صلاحًا ثانيًا، ويجعل المعتمد بالعطف مجموع الأحوال، وإن لزم منه عطف الفعلية على الإسمية، كان أرجح بحسب السياق ونمط تعديد القبائح". القزويني، عمر بن عبد الرحمن، **حاشية الكشف عن مشكلات الكشاف**، تحقيق: عمار الطائي، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، كلية الإمام الأعظم، ١٤٣١هـ، بغداد، ج١، ص٢٦١.
والشارح الثاني هو صاحب البحر المحيط، وهو أبو حيان، وقد تم نقل كلامه في هذا الموضع.

(٣) الخفاجي، **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٣٢٦-٣٢٧.

(٤) المراد بالاستئناف هنا، هو عطفها على الجملة المستأنفة. ينظر: الخفاجي، **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج١، ص ٣٢٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني

التعقبات من الآية (١٤) إلى الآية (٣٠) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (١٤) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٤].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿ وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ من خلوت بفلان وإليه، إذا انفردت معه. أو من خلاك، أي عداك ومضى عنك، ومنه القرون الخالية. أو من (خلوت به) إذا سخرت منه، وعدي بإلى **لتضمن معنى الإنهاء**[(١)]"[(٢)].

التعقب:

قال أبو السعود: "﴿ وَإِذَا خَلَوْا۟ ﴾ من خلوت إلى فلان، أي انفردت معه، وقد يستعمل بالباء، أو من خلا بمعنى مضى، ومنه القرون الخالية، وقولهم خلاك ذم أي جاوزك ومضى عنك، وقد جوز كونه من خلوت به إذا سخرت منه، **على أن تعديته بـ ﴿ إِلَىٰ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ لتضمنه معنى الإنهاء**، أي وإذا أنهوا إليهم السخرية الخ، **وأنت خبير بأن تقييد قولهم المحكي بذلك الإنهاء مما لا وجه له**"[(٣)].

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن تعدية ﴿ خَلَوْا۟ ﴾ بـ ﴿ إِلَىٰ ﴾ تضمن معنى الإنهاء، بينما يرى أبو السعود أن تقييد قول المنافقين المحكي بذلك الإنهاء مما لا وجه له.

---

(١) الإنهاء بمعنى: إذا كان فعل (خلا) في هذه الآية بمعنى السخرية، فهو يحتاج في توجيه استعماله مع (إلى) لتضمين معنى الإنهاء، لأن السخرية لا تتعدى بـ (إلى)، وعليه يكون المعنى: وإذا سخروا بالمؤمنين منتهين بسخريتهم إلى شياطينهم...كما في قولهم: أحمد إليك فلانًا، أي أحمده منهيًا إليك حمده. ينظر: زادة، **حاشية شيخ زادة على البيضاوي**، ج١، ص١٤٥.

(٢) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٤٧.

(٣) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص٤٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التحقيق والدراسة:

اختلف العلماء في تعدية فعل خلا، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾، على أقوال:

أولًا: القول بتناوب الحروف؛ بمعنى أن حروف الصِّفات يُعاقِبُ بعضُها بعضًا، عندها تؤول ﴿ إِلَىٰ ﴾ لمعانٍ أخرى، هي:

أ) تأتي ﴿ إِلَىٰ ﴾ بمعنى (مع): كما قال الله مخبرًا عن عيسى ابن مريم أنه قال للحواريين: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [سورة الصف: ١٤]، يريد: مع الله[١]. كذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾ [النساء: ٢]، أي مع أموالكم.

ب) تأتي ﴿ إِلَىٰ ﴾ بمعنى الباء: يقال خلوت به يحتمل معنيين: أحدهما: الانفراد، والآخر: السخرية والاستهزاء منه، وهذا المعنى غير مراد.

يجوز تناوب الحروف عند الكوفيين، أمَّا البصريون فلا يجيزون التَجوُّز في الحروف لضَعْفِها[٢].

ثانيًا: القول بالتضمين: يعدى الفعل ﴿خَلَوْا﴾ بإلى على تضمين معنى آب، أو خلص، ويعدى بنفسه على تضمين تجاوز وباعد[٣].

أ) ضُمِّن خَلا معنى صَرَف فتعدَّى بإلى، والمعنى: صَرفوا خَلاهم إلى شياطينهم[٤]، أو تضمَّن معنى ذهبوا وانصرفوا[٥]. وقيل المعنى: وإذا خَلَوا من المؤمنين إلى شياطينهم، فـ ﴿ إِلَىٰ﴾ على بابِها، إلا أن تقديرُ (مِن المؤمنين) لا يجعلُها على بابِها إلاَّ بالتضمينِ المتقدِّم[٦].

---

(١) ينظر: الأخفش، **معاني القرآن**، ج١، ص١٤٠.

(٢) ينظر: ابن السراج، محمد بن السري بن سهل، **الأصول في النحو**، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ج١، ص٤١٤.

(٣) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٢٩١.

(٤) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص١١٣.

(٥) ينظر: الحلبي، **الدر المصون**، ج١، ص١٤٥.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ج١، ص١٤٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ب) أن ﴿ خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ بمعنى انفردوا معهم، وإنما عدي بـ (إلى) لأنه ضمن معنى انتهى، كأنه قيل: انتهوا إليهم في خلاءٍ[١].

ج) إنَّ فعل (خلا) ضُمّن معنى فعل (رجَعَ) فَعُدِّي تعديته، والتقدير: وإذا خَلَوْا راجعين إلى شياطينهم قالوا لهم: إنّا معكم إنما نحن مستهزئون[٢].

ثالثًا: القول بأن ﴿ خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ بمعنى انفردوا بهم[٣]، وأن ﴿ إِلَىٰ ﴾ على بابها[٤]:

أ) ذهب بعض نحويِّي البصرة إلى القول بأن (خلوتُ إلى فلان) إذا أريدَ به: خلوتُ إليه في حاجة خاصة. لا يحتَمِل -إذا قيل كذلك- إلا الخلاءَ إليه في قضاء الحاجة[٥].

ب) ﴿إِلَىٰ﴾ فيها دلالة الابتداء والانتهاء، لأن أول لقائهم للمؤمنين، أي: إذا خلوا من المؤمنين إلى الشياطين[٦].

ذكر أهل اللغة وجوهًا في معنى (خلوت بفلان وإليه)، لكن في المعاجم: خلا المكان خلّاه، وخلا من أهله وعن أهله وخلوت بفلان وإليه ومعه خلوة، وخلا بنفسه انفرد[٧]. وبيّن الراغب أن الخلاء هو المكان الذي لا ساتر فيه من بناء ومساكن وغيرهما، والخلو يستعمل في الزمان والمكان، لكن لما تصوّر في الزمان المضي؛ فسّر أهل اللغة خلا الزمان بمضى وذهب، وخلا فلان بفلان صار معه في خلاء، وخلا إليه: انتهى إليه في خلوة[٨].

والحاصل أن أصل معناه الحقيقي فراغ المكان والحيز عن شاغل، وكذا الزمان، وليس بمعنى مضى[٩].

---

(١) ينظر: الحلبي، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، **عمدة الحفاظ في تفسير أشهر الألفاظ**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ، بيروت، ص٥٣١. ينظر: الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، كتاب الخاء، ج١، ص١٥٨.

(٢) ينظر: ابن حبنكة، عبد الرحمن بن حسن، **البلاغة العربية**، ط١، دار القلم، ١٤١٦هـ، دمشق، ج٢، ص٥٣.

(٣) ينظر: أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، **تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب**، تحقيق: سمير المجذوب، ط١، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ، ج١، ص١١٨.

(٤) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١، ص٢٠٧.

(٥) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١، ص١٩٨.

(٦) ينظر: النيسابوري، نجم الدين محمود بن أبي الحسن بن الحسين، **إيجاز البيان عن معاني القرآن**، تحقيق: حنيف القاسمي، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٥هـ، بيروت، ج١، ص ٦٩.

(٧) ينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، **مجمل اللغة**، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ، بيروت، ج١، ص٢٩٨. ينظر: الخفاجي، **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج١، ص ٣٤١.

(٨) ينظر: الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، كتاب الخاء، ج١، ص٢٩٨.

(٩) ينظر: الخفاجي، **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٣٤١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وذكر آخرون أنه فعل لازم يتعدى إلى المفعول بـ ﴿مِن﴾، والتعدية لها معنيان؛ أحدهما: أن لا يعقل معنى الفعل وما أشبهه إلا بمتعلقه؛ لأنه من المعاني النسبية، وهو المتعدي، وغير المتعدي الذي لا يتوقف تعلقه على متعلق له. والثاني: كل جار تعلق بفعل فإنه يقال له متعدٍ بذلك الحرف، وإن لم يكن نسبة، ولا بمعنى التصيير[١].

وقد يتعدى هذا الفعل بالباء، أو بإلى، كما صرحوا به هنا وهو بمعنى انفرد معه أو اجتمع معه، وليس قولهم معه للإشارة إلى أن ﴿ إِلَىٰ ﴾ بمعنى (مع) كما قالوه في قوله تعالى: ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[٢].

وقد ذكر اللغويون معاني ثمانية[٣] لحرف الجر ﴿ إِلَىٰ ﴾، إلا أنني أجد أن الجزم ببعض هذه المعاني قد يقودنا إلى القول بتعاور حروف الجر، وهذا غير مراد.

وهنا قام الطبري بطرح سؤال حول هذه الآية، هو: فإن قال قائل، كيف قيل: ﴿خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾، ولم يقل خَلَوْا بشياطينهم؟

مع العلم أنّ الجاريَ بين الناس في كلامهم: خلوتُ بفلان أكثر وأفشَى من: خلوتُ إلى فلان؛ والقرآن أفصح البيان!

وأجاب: أن أهل العلم اختلفوا في ذلك؛ فكان بعض نحويِّي البصرة يقولون: خلوتُ إلى فلان، إذا أريدَ به: خلوتُ إليه في حاجة خاصة. لا يحتَمِل -إذا قيل كذلك- إلا الخلاءَ إليه في قضاء الحاجة. فأما إذا قيل: خلوت به احتمل معنيين: أحدهما الخلاء به في الحاجة، والآخَر في السخرية به.

---

(١) التصيير هو: "ألا ترى أنك إذا قلت: في ذهب زيد، أذهبت زيدًا، صار متعديًا بالهمزة بعد أن لم يكن، لأنها أفادت التصيير مع بقاء معنى الأول في أصله، والتصيير لا يعقل إلا بمتعلق هو مصيَّر...فلذلك إذا لحق غير المتعدي حرف التصيير صار متعديًا إلى واحد، والمتعدي إلى واحد يصير إلى اثنين، والمتعدي إلى اثنين يصير متعديًا إلى ثلاثة". ابن الحاجب، عثمان بن عمر، **الإيضاح في شرح المفصل**، تحقيق: موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، العراق، ج٢، ص٥٠-٥١. ينظر: القونوي، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، ج٢، ص١٨٠.

(٢) ينظر: الخفاجي، **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٣٤٠.

(٣) ذكر ابن هشام ثمانية معاني لـ (إلى) الجارة، وأورد مثالًا من كتاب الله على كل منها.
ينظر: ابن هشام، جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ١٤١١هـ، بيروت، ج١، ص٨٨-٨٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وعليه، فلا شك أن قوله: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ أفصحُ من لو قيل: وإذا خلوا بشياطينهم، لما في قول القائل: إذا خلوا بشياطينهم من التباس المعنى على سامعيه، الذي هو مُنتفٍ عن قوله: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾. هذا أحد الأقوال.

والقول الآخر: أن تُوَجِّه معنى قوله ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾، وإذا خلوا مع شياطينهم – على سبيل الفرض – أن حروف الصِّفات يُعاقِبُ بعضُها بعضًا، كما قال الله مخبرًا عن عيسى ابن مريم، أنه قال للحواريين: ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [سورة الصف: ١٤]، يريد: مع الله.

أما بعض نحويي أهل الكوفة، فإنه كان يتأوَّل أن ذلك بمعنى: وإذا لَقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا صَرفوا خَلاءهم إلى شياطينهم - فيزعم أن الجالب لِـ ﴿إِلَىٰ﴾، المعنى الذي دلّ عليه الكلامُ: من انصرافِ المنافقين عن لقاء المؤمنين إلى شياطينهم خالين بهم. وعلى هذا التأويل لا يصلح في موضع ﴿ إِلَىٰ ﴾ غيرُها، لتغير الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها[١].

الترجيح:

بعد النظر في هذه الآية يتضح للباحثة ما يأتي: إن القول بجواز تعاقب الحروف فيه إبطالٌ لدقة اللغة، وإفسادٌ للحكمة فيها، والقول بخلاف ما يوجبه العقل والقياس، وإن الحروف إذا تعاقبت خرجت عن حقائقها، ووقع كل واحد منها بمعنى الآخر، فأوجب ذلك أن يكون لفظان مختلفان لهما معنى واحد، فأبى المحققون أن يقولوا بذلك، وقال به من لا يتحقق المعاني[٢]، فإذا كان هذا في حق اللغة، فهو في حق القرآن من بابٍ أولى؛ فإن لكل حرف من حروف المعاني عملًا خاصًا يقوم به، ودورًا يؤديه في إقرار معنى الآيات، وبيان الحكمة فيها، والتي بدورها تقودنا إلى الوصول للإعجاز البياني.

أما القول بالتضمين؛ فقد عدَه الدكتور فضل عباس مبحثًا بلاغيًا، وأسلوبًا بيانيًا؛ لأن الكلمة التي يدخلها التضمين لا تخرج عن معناها الذي وضعت له، لكنها تفيد إلى جانب معناها معنًى آخرَ – أفادته التعدية - منسجمًا مع المعنى الأول، مكملًا له، ليس بينهما تنافر ولا اختلاف، وهذا

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١، ص ١٩٨.
(٢) ينظر: العسكري، أبو هلال، **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، ج١، ص١٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أولى من القول بتناوب حروف الجر بعضها مكان بعض[١]، لكن تجد الباحثة أن هذا الكلام ليس دقيقًا في حق كلام الله عز وجل، فإن بلغاء العرب عجزوا عن الإتيان بمثله، لفصاحة ألفاظه، ودقة انتقائها، وبلاغة أسلوبه، وعجيب نظمه، ولو كان اللفظ يحتمل أكثر من معنى لوجدوا ضالتهم، وأثبتوا حجتهم.

إذًا يبدو للباحثة أن مسألة التضمين مختلف بها عند العلماء، وقد يُلجَأ إليها في حالات قليلة إذا اضطر المفسِّر إلى ذلك، وإذا أرادت الباحثة أن توجه الأمثلة التي ذكرها المفسرون تحت هذا العنوان، فإنها من الممكن أن تندرج تحت مبحث دلالات الألفاظ[٢].

وأما القول بأن ﴿إِلَىٰ﴾ على بابها - كما ذكر الطبري - فهو أولى الأقوال وأرجحها، لأن لكل حرف من حُرُوف المعاني وجهًا هو به أولى من غيره، فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها، ولو أدير لسان العرب مراتٍ ومرات، على أن يجدوا ما يقوم مقام حرف، أو كلمة في كتاب الله عز وجل لم يجدوا، ولن يظفروا بذلك أبدًا.

فإذا أخذت الآية على ظاهرها ترى الباحثة ثمة مشهد عملي –أنه بعد الانتهاء من الحوارات النظرية بين الفريقين- يصور لنا القرآن الكريم لقاء المنافقين بالمؤمنين وإظهار الإيمان لهم، وما فيه من مشاعر التودد الخادعة، ثم خلوهم إلى مقرهم، وانفرادهم بشياطينهم وإخبارهم بحقيقة الأمر... أنهم معهم. بذلك يكون قد تجردت ﴿إِلَىٰ﴾ من أي معنى آخر غير معناها الرئيس، كما أنها لم تقيد القول المحكي بالإنهاء لعدم تضمينها معنى السخرية، وقد "وَهِمَ من قال: إن الأنسب هو تضمين الآية معنى الانتهاء"[٣]، ولا وجه لهذا المعنى فيها، كما أشار أبو السعود، ويظهر رجحان هذا الوجه، والله أعلم.

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٢٢) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢].

(١) ينظر: عباس، فضل حسن، **لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن**، ط١، دار النور، ١٤١٠هـ، بيروت، ج١، ص٥١-٥٢.

(٢) ينظر: عواد، محمد حسن، **تناوب حروف الجر في لغة القرآن**، ط١، دار الفرقان، ١٤٠٢هـ، عمان، الأردن، ج١، ص ٥٨.

(٣) الخفاجي، **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٣٤٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ متعلق بـ ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾[١]، على أنه نهي معطوف عليه، أو **نفي منصوب بإضمار (أن)، جواب له**"[٢].

التعقب:

قال أبو السعود: "وقيل هو نفي منصوب بإضمار (أن)، جوابًا للأمر، **ويأباه** أن ذلك فيما يكون الأول سببًا للثاني، ولا ريب في أن العبادة لا تكون سببًا للتوحيد الذي هو أصلها ومبناها"[٣].

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن أحد وجوه إعراب قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ هو نفي منصوب بإضمار (أن)، جوابًا للأمر، بينما يرى أبو السعود أن هذا الإعراب يأباه أن ذلك فيما يكون الأول سببًا للثاني.

التحقيق والدراسة:

ذكر العلماء عدة أوجه فيما يتعلق بإعراب ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ ﴾، هي:

- أنه متعلق بالأمر، أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أَنْدادًا، لأنّ أصل العبادة التوحيد، وأن لا يجعل للَّه ندًّا ولا شريكًا[٤].
- أن ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ نهي معطوف على- اعبدوا - مترتب عليه، والمعنى: إذا وجب عليكم عبادة ربكم فلا تجعلوا لله ندًا، وأفردوه بالعبادة، إذ لا رب لكم سواه[٥].
- أن ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ يتضمن معنى النفي على أكمل وجه، لأن قوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ فيه معنى الإثبات من (لا إله إلا الله)[٦].

---

(١) قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].

(٢) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٥٦.

(٣) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص٦٢.

(٤) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص٩٥. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢، ص٣٤٤. ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص٦٣. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص١٦٢. ينظر: ابن عادل، سراج الدين عمر بن علي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ، بيروت، ج١، ص٤٢٢. ينظر: عضيمة، محمد عبد الخالق، **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ج٢، ص٢٦٢.

(٥) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص١٩٢-١٩٣.

(٦) ينظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر، ١٤١٥هـ، بيروت، ج٧، ص٢٠٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- أن ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ لا ناهية، أو نافية، وانتصب الفعل بإضمار أن بعد الفاء في جواب اعبدوا، والأول أظهر[١].

واختلفوا في أنواع الفاء على النحو الآتي:

- ذهب الكوفيون إلى أن الفاء جزائية في جواب شرط تضمنه ما قبلها[٢].
- ذهب البصريون إلى أنها عاطفة[٣].
- اختار الرضي أنها متمحضة للسببية، وإنما صرف ما بعدها عن الرفع إلى النصب للتنصيص على ذلك[٤].

كما ذكروا عدة معاني تحتملها الآية الكريمة، هي:

- أن ما جعله الله تعالى من خلق أنفسهم، وخلق السماوات والأرض، وما فيها لهم، ليس من شأن أحد غيره تعالى، ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ فلا تجعلوا لله أندادًا في العبودية[٥].
- أن الله جعل السماوات والأرض، والشمس والقمر، كلها واسطة أرزاقهم وأسبابها، وهو الرزاق فلا تجعلوا هذه الوسائط أندادًا لله[٦].
- أن الله خلق الموجودات وجعل لكل شيء منها حظًا في شيء آخر، وجعل حظ الإنسان في محبته ومعرفته، وكل محظوظ لو انقطع عنه حظه لهلك، فلا تنقطعوا عن حظوظكم من محبتي ومعرفتي بأن تجعلوا لي أندادًا، تحبونهم كحبي فتهلكوا في أودية الشرك[٧].
- أن النهي في ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ متفرع عن مضمون ذلك الأمر، كأنّه قيل: إذا أمرتم بعبادة من هذا شأنه- من التفرد بهذه الأفعال الجليلة، فلا تجعلوا له أندادًا شركاء في العبادة[٨].

---

(١) ينظر: ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي الغرناطي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ، بيروت، ج١، ص٢٢.

(٢) "ذهب الكوفيون إلى أن الفعل المضارع الواقع بعد الفاء في جواب الستة الأشياء -التي هي الأمر والنهي والنفي والاستفهام والتمني والعرض- ينتصب بالخلاف". ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين**، ط١، المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ، ج٢، ص١٥٤.

(٣) أن الأصل في الفاء أن يكون حرف عطف، والأصل في حروف العطف أن لا تعمل؛ لأنها تدخل تارة على الأسماء وتارة على الأفعال، على ما بينا فيما تقدم؛ فوجب أن لا تعمل، فلما قصدوا أن يكون الثاني في غير حكم الأول وحوِّل المعنى حوِّل إلى الاسم، فاستحال أن يضم الفعل إلى الاسم، فوجب تقدير (أن). ينظر: المرجع السابق.

(٤) ينظر: الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، **شرح الرضي على الكافية**، تعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ١٣٩٨هـ، ليبيا، ج٤، ص٦٤.

(٥) ينظر: حقي، **روح البيان**، ج١، ص٧٩.

(٦) المرجع السابق.

(٧) المرجع السابق، ج١، ص٧٩.

(٨) ينظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ج١، ص٢٦٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

نظر العلماء إلى هذا الموضع من جهتين اثنتين:

الجهة الأولى: جهة اللفظ ومحل وقوعه من الإعراب، فجوزوا أن يكون ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ ﴾ نهيًا معطوفًا على قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]. أو نفيًا منصوبًا بإضمار (أن)، جوابًا له، وهما جائزان من حيث الصناعة، ولا إشكال فيهما.

الجهة الثانية: جهة المعنى، فمعنى أن تكون ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ نهي معطوف على الأمر، يفيد أنه متفرع على مضمون ذلك، كأنّه قيل: إذا أمرتم بعبادة من هذا شأنه، وهذه صفاته، وأفعاله، فلا تجعلوا له أمثالًا تعبدونهم كعبادته تعالى.

ومعنى أن تكون ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ نفي منصوب بإضمار (أن) يفيد؛ أن يكون الأول سببًا للثاني، ولا ريب في أن العبادة لا تكون سببًا للتوحيد الذي هو أصلها، وهنا وقع الإشكال في هذا المعنى الناتج عن إضمار معنى الشرط.

الترجيح:

مما لا شك فيه أن الإعرابين جائزان في الآية الكريمة من جهة الصناعة، فمن قال إنه نهي معطوف على ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ﴾ أجاد القول، وأن المعنى المترتب على هذا الإعراب معنى صحيح لا اختلاف فيه بين المفسرين. ومن قال إنه نفي منصوب بإضمار (أن) بعد الفاء، فقوله صحيح من جهة اللغة، إلا أن المعنى المترتب على هذا الإعراب في هذه الآية تحديدًا قد وقع فيه إشكال[١] بينهم، لكون الأول سببًا للثاني ولا ريب في أن الأول هو العبادة وهي لا تكون سببًا للتوحيد - الثاني- الذي هو أصلها ومبناها، كما ذكر أبو السعود، وهذا صحيح في حال واحد فقط، وهو: إذا اعتبرت ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ جوابًا لفعل الأمر ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ﴾، دون النظر إلى السياق، أما

(١) قال الشهاب الخفاجي: "وهو على هذا نفي منصوب بإضمار أن في جواب الأمر، كقولك: زرني فأكرمك، وقد قيل عليه أنه ليس بشيء، لأن شرطه: كون الأوّل سببًا للثاني، والعبادة لا تكون سببًا للتوحيد الذي هو مبناها وأصلها، ولذا لم يتعرّض له الزمخشري، ولم يرتض به شراحه، والمنصوب في الجواب منصوب بأن مقدرة، فهو مصدر تأويلًا، معطوف على مصدر متصيد مما قبله، هو سبب له، فتقديره: فيما ذكر ليكن منك زيارة فإكرام مني بسببها، وقس عليه الآية في التأويل، وأجيب عما أورده شرّاح الكشاف، بأنّ المراد بكونه جواب الأمر مشابهته له، وحمل الشيء على ما يشبهه واعطاؤه حكمه كثير". ثم ذكر بعض الأقوال الضعيفة بصيغة التمريض (قيل)، ثم قال: "أقول هذا كله تكلف، تأباه قواعد العربية، فلا ينبغي تنزيل التنزيل المعجز عليه، فالحق أن يقال إنّ الآية تضمنت عبادة رب موصوف بما يجعله كالمشاهد من خلقه لهم، ولا وصولهم عروق الثرى، وإبداع جميع الكائنات العظيمة، والتفضل بإفاضة النعم الجسيمة، فدلت عليه دلالة عرّفتهم به، كما أشار إليه المصنف رحمه الله ثمت بقوله، والآية تدلّ الخ فجعلها عنده اعبدوا الله الذي عرفتموه معرفة لا مرية فيها، ولا شك في أنّ العبادة والمعرفة سبب لعدم الإشراك، فإن من عرف الله لا يسوى به سواه". الخفاجي، **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج٢، ص٢٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إذا تعلقت بما سبقها من الآيات الباهرة في خلقهم وخلق أصولهم، فالعبادة المقيدة بتلك الأدلة سبب لعدم الإشراك، ويكون المعنى "كونوا واصفين ربكم الذي خلقكم مواظبين على عبادته وطاعته فإن كنتم كذلك فلا تجعلوا لله أندادًا"[١]، فلا بأس في كونه متعلقًا بـ ﴿ ٱعۡبُدُواْ ﴾ مع ملاحظة ذلك المعنى، حينئذٍ يكون المعنى الناتج عن الإعراب صحيحًا، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: أن سرًا ما في استخدام التعبير القرآني للفظ ﴿ رَبَّكُمُ ﴾ بدلًا من إلهكم - على سبيل المثال- لأن لفظ الرب لفظ كلي، ومشترك، ولفظ الله علم للجزئي، وعبادته أساسها التوحيد وعدم الإشراك به، أما عبادة الرب، فليس أصلها عدم الإشراك، بل هي فرع من فروعه[٢]، وقد تضمنت الآيات عبادة رب موصوف، من خلال إبداع خلقه، والتفضل بإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، وكلها أدلة بينة عرفتهم به، وساقتهم إلى عبادته تعالى، عبادة مبنية على المعرفة اليقينية، فكل من العبادة والمعرفة تقودان العقول السليمة الفطرة إلى التوحيد، وعدم الإشراك، فمن عرف الله حق المعرفة، حتمًا لا يسوّي به سواه.

بناءً على ما سبق يتضح للباحثة جواز المعنى المترتب على إعراب آية ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا ﴾ بأنها نفي منصوب بإضمار (أن)، جوابًا لآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾[٣]، وذلك بعد الجمع بين أقوال المفسرين الذي نتج عنه إزالة الإشكال السابق، وعليه يتم قبول الإعراب الثاني الذي ذكره البيضاوي، والجمع بين المعاني المتعددة التي تثري التفسير، والتي تثبت أن القرآن الكريم حمّال أوجه. والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٣٠) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾ [البقرة: ٣٠].

(١) القونوي، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، ج٢، ص٣٩٥.
(٢) لمزيد من البحث، ينظر: السيالكوتي، **حاشيته على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٢٢٨.
(٣) ينظر: السيوطي، **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار**، ج٢، ص٨٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول المتعقَّب عليه:

قال البيضاوي في سياق حديثه عن (إذ) و (إذا): "ومحلهما النصب أبدًا بالظرفية، فإنهما من الظروف غير المتصرفة لما ذكرناه، وأما قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾[١] ونحوه، فعلى تأويل: اذكر الحادث إذ كان كذا، فحذف الحادث وأقيم الظرف مقامه، **وعامله في الآية قالوا**[٢]، أو اذكر على التأويل المذكور لأنه جاء معمولًا له صريحًا في القرآن كثيرًا، **أو مضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة، مثل وبدأ خلقكم إذ قال، وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة**."[٣]

التعقب:

قال أبو السعود في سياق حديثه عن ﴿إِذۡ﴾: "**وقيل انتصابُه بقوله تعالى ﴿قَالُوٓاْ﴾ ويأباه أنه يقتضي أن يكون هو المقصودَ بالذات دون سائرِ القصة**، وقيل بما سبقَ من قولِه تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ولا يخفى بُعدُه، **وقيل بمضمرٍ دلَّ عليه مضمونُ الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقَكم إذ قال الخ ولا ريب في أنه لا فائدةَ في تقييد بدءِ الخلقِ بذلك الوقت**"[٤].

تحرير محل النزاع:

للبيضاوي عدة آراء في هذه الآية الكريمة، تذكر الباحثة منها ما يتعلق بموضوع البحث؛ وهما موضعان، قام أبو السعود بتعقبهما:

- يرى البيضاوي أن عامل ﴿إِذۡ﴾ في الآية ﴿قَالُوٓاْ﴾، بينما يرى أبو السعود أن انتصاب ﴿إِذۡ﴾ بقوله تعالى ﴿قَالُوٓاْ﴾ يأباه اكتمال سائر القصة.
- كما يرى البيضاوي أن العامل قد يكون مضمرًا دل عليه مضمون الآية السابقة: وبدأ خلقكم إذ قال، بينما يرى أبو السعود أن لا فائدة في تقييد بدء الخلق بذلك الوقت.

---

(١) الأحقاف:٢١.

(٢) وهو القول الراجح عند السيالكوتي. ينظر: السيالكوتي، **حاشيته على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٢٨٦.

(٣) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٦٧.

(٤) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص٧٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التحقيق والدراسة:

اختلف المعربون في ﴿ إِذْ ﴾ على عدة أوجه، أذكر منها ما قُبِل وما رُدّ، على النحو الآتي:

- أن ﴿ إِذْ ﴾ زائدة[١]:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ﴾ معناه: وقلنا للملائكة، وإذ من حروف الزوائد. ذكره أبو عبيدة[٢]، وتابعه ابن قتيبة[٣].

وقد زعم الجمهور أن ﴿ إِذْ ﴾ لا تقع إلا ظرفًا للزمان، أو مضافًا إليها[٤]، بمعنى أنها اسم، وليس حرفًا، فكيف يكون الاسم لغوًا؟ وكيف يكون زائدًا؟

إن القول بالزيادة في كتاب الله مرفوض قولًا واحدًا، فلكل كلمة مكانها الذي وضعت فيه، ولكل حرف معناه الذي وجد من أجله، فلو حذف أحدهما من الكلام لنقص جزء جوهري من المعنى، ولفقد النظم اتساقه، لذا قام الطبري[٥]، والزجاج[٦]، والنحاس[٧]، بالرد على القائلين بالزيادة، دفاعًا عن القرآن وإعجازه.

- أن ﴿ إِذْ ﴾ بمعنى قد: وعليه يكون تقدير الكلام: وقد قال ربك، وهذا بالتأكيد قول ضعيف، وليس بشيء[٨]، حيث إن عمل ﴿ إِذْ ﴾ الظرفية ليس كعمل (قد) التي تفيد التحقيق في كتاب الله.

---

(١) المقصود بالزيادة: هي زيادة حروف المعاني، هكذا اسمها عند البصريين، أما الكوفيين فيسمونها حروف الصلة - فهي كلمات -وأكثرها حروف لا حاجة لها من حيث الإعراب، فإذا أسقطت من الكلام بقي تامًا، لعدم تأثيرها على المعنى بزيادة أو نقصان.

ينظر: عباس، **لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن**، ج١، ص٥٧-٥٨.

(٢) ينظر: أبو عبيدة، **مجاز القرآن**، ج١، ص٣٦-٣٧.

(٣) ينظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ج١، ص١٥٨.

(٤) ينظر: ابن هشام، **مغني اللبيب**، ج١، ص ١١٢.

(٥) ذكر أبو جعفر الطبري أنه زعم بعض المنسوبين إلى العلم بلغات العرب من أهل البصرة: أن تأويل قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾، وقال ربك؛ وأن (إذ) من الحروف الزوائد، وأن معناها الحذف.... فلو أبْطِلت (إذ) وحُذِفت من الكلام، لاستحال عن معناه الذي هو به، وفيه (إذ). ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١، ص٤٣٩-٤٤٢.

(٦) "وهذا إقْدَام مِنْ أبي عبيدة لأن القرآن لا ينبغي أن يتكلم فيه إلا بغاية تجري إلى الحق و (إذ) معناها الوقت، وهي اسم فكيف يكون لغوًا، ومعناها الوقت". الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج١، ص١٠٨.

(٧) "إذْ اسم، وهو ظرف زمان ليس مما يزاد". النحاس، أحمد بن محمد، **معاني القرآن**، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ، مكة المكرمة، ج١، ص٤٢.

(٨) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٢٢٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- أن ﴿إِذْ﴾ اسم ثنائي الوضع مبني؛ لأنه شبيه بالحرف وضعًا أو افتقارًا، وهو ظرف زمان للماضي، ملازم للظرفية، إلا أن يضاف إليه زمان[١].
- أن ﴿إِذْ﴾ منصوبٌ[٢] بـ ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا﴾ أي: قالوا ذلك القولَ؛ وقتَ قولِ اللهِ تعالى لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾[٣].
- أن ﴿إِذْ﴾ منصوبٌ بـ ﴿ٱذۡكُرۡ﴾ مقدرًا، والمعنى: واذكر يا محمد، وقت أن قال ربك للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة. وقد جاء هذا المقدر هنا، مصرحًا به في آيات أخرى في القرآن كثيرة[٤].

---

(١) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٢٢٢.

(٢) قد يذكر العلماء أن (إذ) منصوب من باب التجوز في العبارة، حيث إن (إذ) مبنية دائمًا للزوم آخر الكلمة حالة واحدة لفظًا أو تقديرًا، كما عرّف ابن هشام البناء. ينظر: ابن هشام، **شرح شذور الذهب**، ج١، ص١٠٠.

(٣) جوّز الزمخشري هذا الوجه. ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٢٤. ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٢٢٠. ينظر: الحلبي، **الدر المصون**، ج١، ص٢٤٧-٢٤٩. ينظر: الجمل، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي، **حاشية الجمل على الجلالين المسمّاة بالفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ج١، ص٣٨.

(٤) ينظر: القيسي، مكي بن أبي طالب القيرواني، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، تحقيق: مجموعة رسائل في جامعة الشارقة، ط١، جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ، الإمارات العربية المتحدة، ج١، ص٢١٢-٢١٣. ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٢٤. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢، ص٣٨٣. ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص٧٧.

- اعترض أبو حيان على هذا الوجه، ف (إذ) عنده من الظروف التي لا يتصرف فيها إلا بإضافة اسم زمان إليها على ما قرر في النحو، حيث قال: "وهو ملازم للظرفية إلا أن يضاف إليه زمان، ولا يكون مفعولًا به، ولا حرفًا للتعليل أو المفاجأة، ولا ظرف مكان، ولا زائدة، خلافًا لزاعمي ذلك، ولها أحكام غير هذا ذكرت في النحو". ثم ذكر رأيا مناقضًا للرأي الأول، قائلًا: "والذي تقتضيه العربية نصبه بقوله: قالوا أتجعل، أي وقت قول الله للملائكة: إني جاعل في الأرض، قالوا أتجعل، كما تقول في الكلام: إذ جئتني أكرمتك، أي وقت مجيئك أكرمتك، وإذ قلت لي كذا قلت لك كذا. فينظر إلى حسن هذا الوجه السهل الواضح، وكيف لم يوفق أكثر الناس إلى القول به، وارتبكوا في دهياء وخبطوا خبط عشواء". فلا أدري إلى ماذا استند؟ ولا أدري على ماذا استقر؟

كما ذكر (إذ) الواردة في آية ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [البقرة: ٤٩]، وقاسها على هذا الموضع واختار أن ينتصب (إذ) على الظرفية، ويكون العامل فيه فعلًا محذوفًا يدل عليه ما قبله، تقديره: وأنعمنا عليكم إذ نجيناكم من آل فرعون، وتقدير هذا الفعل أولى عنده.

ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٢٢٥ وص٣١١.

- بيّن ابن هشام أن ل (إذ) أربعة استعمالات؛ أحدها أن تكون ظرفًا وهو الغالب، والثاني أن تكون مفعولًا به، والغالب على المذكورة في أوائل القصص في التنزيل أن تكون مفعولًا به بتقدير اذكر نحو: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة:٣٠]، والثالث أن تكون بدلًا من المفعول، والرابع أن يكون مضافًا إليها اسم زمان صالح للاستغناء عنه نحو يومئذ وحينئذ أو غير صالح له نحو قوله تعالى: ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ [آل عمران:٨]. ينظر: ابن هشام، **مغني اللبيب**، ج١، ص١١١-١١٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- أن ﴿إِذْ﴾ في موضع رفع، والتقدير: ابتداء خلقكم، أو أنه في موضع نصب، التقدير: ابتدأ خلقكم، إذ قال ربك[١].
- أن ﴿إِذْ﴾ معمول لـ ﴿خَلَقَكُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾[٢].
- أن ﴿إِذْ﴾ منصوب ب ﴿قَالَ﴾ بعدها[٣].

نظر العلماء إلى هذا الموضع من جهتين اثنتين:

الجهة الأولى: العامل في انتصاب ﴿إِذْ﴾، فجوزوا أن يكون ﴿قَالُوا﴾، أو ﴿اذْكُرْ﴾ لأنه جاء معمولًا له صريحًا في القرآن كثيرًا، أو مضمرًا دل عليه مضمون الآية المتقدمة، مثل وبدأ خلقكم إذ قال، وكلها محتملة من حيث اللغة، وإن كان هناك ما هو أقرب من الآخر، إلا أنه لا ينفي كونه جائزًا.

الجهة الثانية: جهة المعنى، ويتفرع عنه فرعان:

- أن يكون العامل ظاهرًا: ومعنى ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ هو: وقالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقت قول ربك لهم ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وقد حصرت أحداث القصة وتقلصت في هذه الجزئية، وهنا وقع الإشكال الأول.
- أن يكون العامل مضمرًا: والمعنى دل عليه مضمون الآية السابقة: وهو ابتدأ خلقكم، إذ قال ربك؛ هو أنّ ابتداء خلقكم لم يكن وقت ذلك القول بل قبله، وهنا وقع الإشكال الآخر.

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١، ص٢١٢-٢١٣. ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج١، ص١٠٨. ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج١، ص٤٩.
أنكر أبو حيان ذلك، وردَّ بأن كلا القولين لا تحرير فيه، لأن ابتداء الخلق لم يكن وقت قول الله للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة، لأن الفعل العامل في الظرف لا بد أن يقع فيه، أما أن يسبقه أو يتأخر عنه، فلا لأنه لا يكون له ظرفًا. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٢٢٤-٢٢٥.

(٢) نفى أبو حيان هذا القول، قائلًا: " فهذه ثمانية أقوال ينبغي أن ينزه كتاب الله عنها. والذي تقتضيه العربية نصبه بقوله: قالوا أتجعل، أي وقت قول الله للملائكة: إني جاعل في الأرض، قالوا أتجعل". أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٢٢٥.

(٣) أنكر مكي بن أبي طالب - ومعه آخرين- أن يكون عامل ﴿إِذْ﴾ هو ﴿قَالَ﴾ بعدها، والسبب أن إذ مضافة إلى الجملة التي بعدها والمضاف إليه لا يعمل في المضاف. ينظر: القيسي، **مشكل إعراب القرآن**، ج١، ص٨٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الترجيح:

بعد النظر في هذا الموضع، وبيان أن لـ ﴿إِذْ﴾ أربعة استعمالات صحيحة من جهة الصناعة؛ وهي أن تكون ظرفًا وهو الغالب، وأن تكون مفعولًا به لفعل ظاهر أو مضمر بحسب السياق، وأن تكون بدلًا من المفعول به، وأن يضاف إليها اسم زمان كيومئذٍ أو حينئذٍ[١].

ومن جهة المعنى، فالسياق هو الذي يحدد الاستعمال الدقيق لـ ﴿إِذْ﴾، وبناءً على ذلك تجد الباحثة أن هذه الآية الكريمة عطفت قصة خلق أول البشر آدم عليه السلام على قصة خلق الأنفس، وخلق السماوات والأرض، جمعًا للأدلة، وتعدادًا للنعم، وإظهارًا للتكريم المتوارث، فتكريم الأب هو تكريم للذرية بأكملها لنسبتها إليه، وقصة آدم عليه السلام من قبيل عطف القصة على القصة.

ومن قال إن عامل ﴿إِذْ﴾ في الآية ﴿قَالُوٓاْ﴾ ، فإن هذا القول يبيّن حقيقة لغوية؛ وهي أن تقدير العامل من أجزاء الآية الظاهرة أولى من تقدير عامل محذوف، وهذا جيد بلا شك، إذا لم يكن المعنى قد حصر مدلول القصة في جزء منها وهو: وقالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقت قول ربك لهم ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، والظاهر أن أحداث القصة أوسع من ذلك بكثير، حينئذ يكون تقدير فعل محذوف (اذكر) أكمل في المعنى، وأشمل في سرد أحداث القصة كاملة دون نقصان، فالفائدة من التذكير بالوقت الذي حصل فيه الفعل بدلًا من التذكير بالفعل نفسه، هو استحضار كافة ملابسات القصة ومشاهدها، وما فيها من تفاصيل، وهذا أبلغ من التذكير بالحدث مجردًا، وهو ما ترجحه الباحثة متماشية مع ما أراده أبو السعود، حيث قال: "وإذْ ظرفٌ موضوعٌ لزمانِ نسبةٍ ماضيةٍ وقعَ فيه نسبةٌ أخرى مثلها، كما أن إذا موضوعٌ لزمانِ نسبةٍ مستقبلةٍ يقع فيه أخرى مثلُها، ولذلك يجب إضافتُهما إلى الجمل، وانتصابه بمُضمرٍ صُرِّح بمثله في قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾[٣]، وتوجيهُ الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودةُ بالذات، للمبالغة في إيجاب ذكرِها لما أن إيجابَ ذكر الوقت

(١) ينظر: ابن هشام، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ج١، ص١١١.
(٢) الأعراف: ٨٦.
(٣) الأعراف: ٧٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إيجابٌ لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهانيِّ، ولأن الوقتَ مشتملٌ عليها، فإذا استُحضِر كانت حاضرةً بتفاصيلها، كأنها مشاهَدةٌ عِيانًا"[١].

وأما تقدير (بدأ خلقكم) فقد ذكر أبو السعود أنه غير محرر، ووافقه على ذلك الشهاب الخفاجي؛ لأنّ ابتداء خلقناكم لم يكن وقت ذلك القول بل قبله، وليس بوارد لأنه يعتبر وقتًا ممتدًا لا حين القول[٢]. إلا أن هناك سببًا آخرَ دلّ عليه ما تقدم من الآيات، ففي الآية المتقدمة، وهي قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ قرينة دالة على أن المضمر هو (وبدأ خلقكم)، وعلى هذا التقدير تكون آية ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ معطوفة على ﴿ خَلَقَ لَكُم ﴾ وهو صلة الذي، فيكون ما عطف عليه أيضًا داخلًا في حكم الصلة، كأنه قيل: هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا، وبدأ خلقكم أيها الناس إذ قال ربك يا محمد...وفيه بعد لا يخفى؛ لأن الكلام واحد، والمخاطب مختلف، وصرف الخطاب عن مخاطب إلى آخر في كلام واحد بعيد[٣]. والله أعلم.

---

(١) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص٧٩.

(٢) ينظر: الخفاجي، **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج٢، ص١١٨.

(٣) ينظر: زادة، **حاشية شيخ زادة على البيضاوي**، ج١، ص٢٣٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثالث

التعقبات من الآية (٣١) إلى الآية (٦٠) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (٣١) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [البقرة: ٣١].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ **في زعمكم**[١] **أنكم أحقاء بالخلافة لعصمتكم، أو أن خلقهم واستخلافهم** وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم، وهو وإن لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم."[٢]

التعقب:

قال أبو السعود: "وأما ما قيل من أن المعنى في زعمكم أني أستخلفُ في الأرض مفسدين سفاكين للدماء، **فليس مما يقتضيه المقامُ**، وإنْ أُوِّلَ بأنْ يقالَ في زعمِكم أنِّي أستخلفُ مَنْ غالبُ أمرِه الإفسادُ."[٣]

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن قوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ خطاب للملائكة، حيث زعموا أنهم أحقّ بالخلافة من آدم عليه السلام وذريته؛ وذلك لعصمتهم، أو أن خلق البشرية واستخلافهم، وما وصفوا به من إفساد، لا يليق به تعالى وبحكمته، بينما يرى أبو السعود أن هذا الكلام وإن أُوّلَ بذلك، إلا أنه ليس مما يقتضيه المقام.

---

(١) لا يوجد دليل على هذا القول، فمتى وأين زعم الملائكة ذلك؟

(٢) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٦٩.

(٣) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص٨٥.

*تعقب أبو السعود أيضًا ما ذكره الزمخشري في الكشاف حيث قال: "وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ يعني في زعمكم أني أستخلف في الأرض مفسدين سفاكين للدماء إرادة للرد عليهم"، وكذلك تعقب البيضاوي بسبب ذكره المعنى نفسه في عبارته الموضحة أعلاه.

ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٢٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التحقيق والدراسة:

ذكر العلماء في تأويل قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ أقوالًا عدة، هي:

- أن قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾، تعني: إن كنتم صادقين في قولكم-الخطاب للملائكة- أي إن جعلت خليفتي في الأرض من غيركم، عَصَاني هو وذريته، وأفسدوا بالأرض، وسفكوا الدماء، وإن جعلتكم فيها أطعتموني، واتّبعتم أمري بالتعظيم لي والتقديس[١].
- ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي فيما اختلج في نفوسكم، من أني لا أخلق من هو أعلم منكم[٢].
- ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي في قولكم إنه لا شيء مما يتعبد به الخلق، إلا وأنتم تصلحون له، وتقومون به[٣].
- ذكر الشهاب الخفاجي[٤] ثلاثة معاني في تأويل الآية، هي:

١- ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي أخبروني بأسماء هؤلاء إن علمتم أنكم تكونون صادقين في ذلك الإخبار.

٢- ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي أخبروني ولا تقولوا إلا حقًا وصدقًا، فيكون الغرض منه هو التوكيد لما نبههم عليه من القصور والعجز، لأنه متى تمكن في أنفسهم العلم بأنهم إن أخبروا لم يكونوا صادقين، ولا لهم إليه سبيل، علموا أن ذلك متعذر عليهم.

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١، ص٤٩١. ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٢٦. ينظر: القيسي، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج١، ص٢٢٩-٢٣٠. ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج١، ص٥٣. ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١، ص٢٨٤. ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص٧٩. ينظر: ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج١، ص٧٩. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٢٣٧.

(٢) ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج١، ص٥٣. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٢٣٧. ينظر: طنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ط١، دار نهضة مصر، ١٩٩٧م، القاهرة، ج١، ص٩٥.

(٣) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١، ص ٣٩٩. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٢٣٧.

(٤) ينظر: الخفاجي، **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج٢، ص١٢٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٣- ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي فيما زعمتم من خلو بني آدم عن المنافع، والأسباب الصالحة للاستخلاف، فقد ادّعيتم العلم بكثير من خفايا الأمور، فأنبئوني بهذه الأسماء فإنها ليست في ذلك الخفاء.

وتشير الباحثة إلى أن كل ما سبق من حوارات أثارها المفسرون في تفاسيرهم، لا دليل عليها من النظم، ولا من السنة النبوية.

وقد نظر العلماء إلى هذا الموضع من جانب المعنى المتوقع لقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾..... ومدى ارتباطه بالمعنى السياقي خاصة، والقليل منهم نظر إلى مدى ارتباطه بالمقام عامة. وقالوا فيه أقوالًا عدة، ذكرتها الباحثة فيما سبق، وتقول هنا: إن السؤال من قبل الملائكة عن استخلاف من غالب أمره الإفساد ، لا يعني ذلك، الحكم عليهم بأنهم مفسدون، فقد يحتمل الجواب الإيجاب، كما أنه يحتمل النفي، وقد أجابهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾، فلم يؤيد إفساد بني آدم في الأرض، بل انتقل إلى بيان قدرة آدم على العلم بالدليل القاطع، وتفضيله له على باقي المخلوقات، وتكريمه له وأمره لإبليس بالسجود له، بسبب هذا المقام السامي، تشريفًا له عليه السلام، فهذا المقام، مقام مدح وإعمار، لا مقام ذم وإفساد.

الترجيح:

بعد طول نظر وتأمل في هذا الموضع، تجد الباحثة أن الله تعالى قد أدرج نعمة جديدة من نعمه تعالى على عباده، ألا وهي نعمة استخلاف آدم عليه السلام، وذريته في الأرض، وبيّن أن أول سلاح يحتاجه هذا الخليفة لتنفيذ هذه المهمة هو سلاح العلم، حيث قال: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ﴾، ولم يقل سبحانه -مثلًا- وأطعم أو ألبس، فإن ذلك يقودنا إلى حقيقة ظاهرة، هي: أن أساس استحقاق الخلافة، والتكليف، وعمارة الأرض هو العلم لا غيره، وبقبول آدم للتعليم وقدرته التي منحها الله تعالى إياه، كانت له الأفضلية عليه السلام على الملائكة، وبالعلم كان السمو والارتقاء؛ فالمقام إذن مقام مدح وتفضيل، لا مقام ذم وتبكيت[1]، وانطلاقًا من ذلك رأى أبو السعود أن المقام هنا لا

(١) "والتبكيت غلبة الخصم بالحجة ولا يصح أن يكون للتكليف في هذا المحل حتى ينبني على مسألة تكليف ما لا يطاق".
ينظر هذا التعريف: الخفاجي، **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج٢، ص١٢٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

يقتضي استخلاف الله تعالى من غايته وغالب أمره الإفساد وسفك الدماء، لأن هذا التأويل لا يتناسب ومقام المدح كما بيّنت الباحثة.

ذكر الألوسي أيضًا لفتة جميلة وهي: أن الصدق والكذب إنما يتعلقان بالخبر، وسؤال الملائكة في هذه الآية كان نتيجة شبهة اختلجت في نفوسهم، يريدون إزاحتها، فاستخبروا ولم يخبروا[١]، إذًا فهذا الاستخبار لا تعده الباحثة اتهامًا من قبل الملائكة لآدم وذريته بالإفساد، وسفك الدماء، حتى يكون تأويل الكلام على هذا المعنى.

وعليه يكون المعنى السياقي لقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ في أنكم أعلم من آدم عليه السلام، وأفضل منه في تسبيحكم وتقديسكم لله عز وجل، تعريضًا بأنهم أحق بالخلافة منه عليه السلام؛ ذلك لأن الكلام كان في تمييز العلم، والسؤال فيه، فلا يتناسب وقول البيضاوي، ويظهر رجحان هذا الوجه، وهو الراجح عند أبي السعود، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٣٨) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨﴾ [البقرة: ٣٨].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "**وقيل**[٢] الأول من الجنة إلى السماء الدنيا، والثاني منها إلى الأرض وهو كما ترى."[٣]

التعقب:

قال أبو السعود: "وقيل الأول من الجنة إلى السماء الدنيا والثاني منها إلى الأرض **ويأباه التعرضُ لاستقرارهم في الأرض في الأول**"[٤].

---

(١) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٢٢٧.

(٢) أورد البيضاوي هذا القول بصيغة التضعيف (قيل)، نقلًا عن غيره من المفسرين، ولم يعلق عليه أو يردّه، وعلى الرغم من ذلك تعقبه أبو السعود في هذا الموضع، وفي غيره من المواضع، فقام بتعقبه بجميع الأحوال حتى في الضعيف منها. ويؤيد ذلك قوله: "وهو كما ترى" فهو إشارة إلى ضعف هذا القول. ينظر: زادة، **حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٢٧٢.

(٣) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٧٣.

(٤) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص٩٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تحرير محل النزاع:

نقل البيضاوي قولًا بصيغة التضعيف (قيل)، يتضمن أن الهبوط الأول كان من الجنة إلى السماء الدنيا، بينما يرى أبو السعود أن ذلك يتنافى مع استقرارهم في الأرض.

التحقيق والدراسة:

إن إعادة الأمر بالهبوط في هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة:٣٦]، أثار جدلًا بين العلماء، ونتج عن ذلك عدة آراء، هي:

- أن الهبوط الأول من الجنة، والثاني من السماء، لكن لما فصلت بينهما آية ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة:٣٧]، أعاد الأمر بالهبوط في قوله: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة:٣٨][(١)]، ويحتمل أن يكون الهبوط من مكان من الجنة إلى أدنى منه ولم يخرجوا منها[(٢)]، وفيه دليل على أن الجنة[(٣)] في السماء السابعة كما دل عليه حديث الإسراء[(٤)]،[(٥)].

- وقيل إنه للتنبيه على اختلاف زمن القولين والهبوط[(٦)].

إن الفائدة من إعادة ذكر الهبوط لتكرير الشرط المقرون به، فإن الأول قد قرن بحال العداوة بينهم وسكونهم في الأرض إلى مدة متناهية، والثاني: بُيّن به أنهم وإن اشتركوا في الهبوط، فهم

---

(١) ينظر: الكرماني، **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، ج١، ص١٣٦. ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص٨٣.

(٢) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١، ص٢٩٥-٢٩٦.

(٣) ومن الجدير بالذكر هنا أنه وقع خلاف بين العلماء، وهو: هل المقصود بها جنة الخلد أم جنة أخرى؟

(٤) حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام، عن قتادة، ح وقال لي خليفة: حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، وهشام، قالا: حدثنا قتادة، حدثنا أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "بينا أنا عند البيت بين النائم، واليقظان - وذكر: يعني رجلا بين الرجلين -، فأتيت بطست من ذهب، ملئ حكمة وإيمانا، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيمانا، وأتيت بدابة أبيض، دون البغل وفوق الحمار: البراق، فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا، قيل: من هذا؟ قال جبريل: قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، ولنعم المجيء جاء، فأتيت على آدم، فسلمت عليه، فقال: مرحبا بك من ابن ونبي..إلخ".
أخرجه البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المشهور بصحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم (٣٢٠٧)، ج٤، ص١٠٩. وفي كتاب البخاري نفسه، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، حديث رقم (٣٨٨٧)، ج٥، ص٥٢. وفي صحيح مسلم، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (١٦٣)، ج١، ص١٤٨.

(٥) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١، ص٣٢٧.

(٦) ذكر ابن عاشور هذا القول في تفسيره بصيغة التضعيف (قيل) ورد عليه. ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٢٤٠-٢٤١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

متباينون في الحكم[١]. وإن اختلاف المتعلقين بـ ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ يجدد من الفائدة في الكلام؛ لكي لا يكون إعادة ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ مجرد توكيد فقط، ويسمى هذا الأسلوب الترديد[٢]، في علم البديع[٣].

- أن الله تعالى أمر آدم وحواء بالهبوط بعد إتيانهما بالزلة، فتابا إلى الله، ووقع في قلبهما أن الأمر بالهبوط لن يقع بسبب التوبة، لذلك أعاد الله تعالى أمره بالهبوط، ليعلما أنه ما كان جزاءً لارتكاب الخطيئة حتى يزول بزوالها، بل هو باق بعد التوبة تحقيقًا للوعد المتقدم في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠][٤].

- أن هذا الأسلوب، نوع من أنواع البلاغة[٥]، فإن إعادة الأمر بالهبوط على جهة التغليظ، والتأكيد[٦].

- أن إعادة ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ لأجل ربط النظم في الآيات، من غير أن تكون دالة على إعادة المعنى في الكلام الذي خوطب به آدم عليه السلام، فتكون هذه الإعادة لمجرد اتصال ما تعلق بمدلولي ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾، فالأول علق به العداوة، لقوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾، والثاني علق بإتيان الهداية لقوله تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾، إذ فصل بين هذين المتعلقين بقوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾، فإنه لو

(١) ينظر: الأصفهاني، **تفسير الراغب الأصفهاني**، ص١٦٤. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٢٧٠.

(٢) الترديد في البلاغة العربية هو: "أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يرددها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه أو في قسيم منه". القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، ١٤٠١هـ، ج١، ص١٣٣.

(٣) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٤٤٠. ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٢٣٩.

(٤) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٤٧١. ينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج١، ص٢٦٥. رجح ابن عاشور هذا الرأي على الآراء الأخرى التي ذكرها، وبيّن أن له أثرًا تربويًا في العقوبات التأديبية إذا طبق. ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٤٤١.

(٥) ينظر: القونوي، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، ج٣، ص١٩٨.

(٦) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١، ص٣٢٧. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٢٧٠. ينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج١، ص٢٦٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

عقب بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾؛ لم يرتبط كمال الارتباط، ولتوهم السامع أنه خطاب للمؤمنين، كعادة القرآن في التفنن، ولدفع ذلك أعيد قوله ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾، فهو قول واحد، ربط به الكلام، لذلك لم يتم العطف لأن بينهما شبه كمال الاتصال[١]، أو كمال الاتصال، والفاء في ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ﴾ للاعتراض[٢]، إذ لا يجوز تقدم المعطوف على التأكيد[٣].

- إن فائدة إعادة ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ هو التنبيه على أن الله تعالى من أراد ذلك، ولذلك أسند الإهباط إلى نفسه مجردًا عن التعليق بالسبب، بعد إسناد إخراجهما إلى الشيطان[٤].

- قال ابن عطية: "وحكى النقاش: أن الهبوط الثاني إنما هو من الجنة إلى السماء، والأول في ترتيب الآية إنما هو إلى الأرض، وهو الآخر في الوقوع، فليس في الأمر تكرار على هذا"[٥].

نظر العلماء إلى هذا الموضع من جهتين اثنتين:

الجهة الأولى: من جهة البلاغة العربية - علمي المعاني والبديع – فقد تجلى علم المعاني في إعادة قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ مرتين لربط الكلام في النظم دون العطف بينهما، وعدم ربطهما بعطف يدل على كمال الاتصال، أو شبه الكمال بينهما.

وقد تجلى علم البديع بإبراز أسلوب الترديد، والذي بدوره يأتي بقول: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ متعلقًا بمعنى، ثم يعيده بعينه وقد تعلق بمعنى آخر في السياق نفسه.

ولا شك أن كل ما ذكره العلماء جائز من جهة الصناعة اللغوية، ويُبرز بدوره البلاغة العربية في كتاب الله، والتفنن في استخدامه للأساليب العربية المتنوعة والمشهورة آنذاك.

الجهة الثانية: جهة المعنى، فإن معنى ترك العطف في السياق هو شبه كمال اتصال أو كمال اتصال بين الجملتين - كما ذكر العلماء - ويؤدي ذلك إلى أن الهبوط واحد، وهو نفسه، وإن أعيد مرتين.

---

(١) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٤٤٠.

(٢) ذكر ابن هشام أن الفاء تفيد السببية، وذلك غالب في العاطفة نحو: (فتلقى آدم من ربه كلمات). ينظر: ابن هشام، **مغني اللبيب**، ج١، ص٢١٤.

(٣) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٢٣٩.

(٤) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٢٤٠.

(٥) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص١٣١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وكون قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ متعلق بمعنى، ثم يعاد بعينه وقد تعلق بمعنى آخر في السياق نفسه، هو أيضًا يدل على أن الهبوط واحد، والمتعلق هو المختلف، فهما متعلقان اثنان للهبوط نفسه.

الترجيح:

بعد النظر في هذا الموضع يتبين للباحثة اتفاق أغلب العلماء مع أبي السعود في كلامه، ولربما مع البيضاوي أيضًا – لنقله هذا القول بصيغة التضعيف، وعدم التعليق عليه – فقد ذكر أن الهبوط الأول غير الثاني؛ فالأول من الجنة إلى سماء الدنيا، والثاني من السماء الدنيا إلى الأرض، وهذا القول ضعيف من وجهين:

أحدهما: أنه تعالى قال في الهبوط الأول: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾، ولم يحصل هذا الاستقرار إلا بالهبوط الثاني.

وثانيهما: أنه تعالى قال في الهبوط الثاني: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾، والضمير في ﴿مِنْهَا﴾ يعود للجنة، وذلك يقتضي كون الهبوط الثاني من الجنة لا من السماء الدنيا كما قيل[١].

وذكر أبو حيان والقرطبي أن الفائدة من إعادة الهبوط للتأكيد، وردّ القونوي على ذلك "بأنه إن تحقق اختلاف المقصود، فلا وجه للقول بالتأكيد"[٢].

كما ذكر ابن عاشور أن إعادة ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ الثاني لغير ربط نظم الكلام، إنما هو لأمر آخر؛ كي لا يظن آدم أن توبة الله عليه بعد الأمر بالهبوط الأول قد أوجبت العفو عنه، وبالتالي سيبقى في الجنة ولم يهبط إلى الأرض فأعاد الله تعالى أمره بالهبوط[٣]. وهذه لفتة جميلة، إلا أن الباحثة تجد أن هناك ربطًا لنظم الكلام أيضًا، فإن لم يُعَدْ قوله: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ لتعذر الفهم، ولتوهم السامع أن ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ خطاب للمؤمنين، ولدفع ذلك أعيد قوله: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾، فهو

(١) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٤٧١. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٢٧٠. ينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج١، ص٢٦٥. ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٢٤٠.

(٢) القونوي، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، ج٣، ص١٩٩.

(٣) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٤٤١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قول واحد أعيد مرتين لربط الكلام، ولبيان اختلاف المتعلقين، وهو ما يسمى بأسلوب الترديد كما ذكر العلماء.

كما تجد أيضًا ملحظًا آخرَ يربط هذه الآيات هو: أن اقتران الهبوط الأول بالعداوة بين الناس إشارة إلى الحالة التي ستستقر عليها البشرية إن لم يجدوا دستورًا يرشدهم أو قانونًا يضبطهم، فكأن الهبوط الأول يصف حالهم وحاجتهم، والهبوط الثاني يأتي ليحل هذا الأمر بإرسال الهدى والبينات على أيدي الرسل الكرام، فمن اتبعهم واهتدى بهديهم يعود إلى الجنة التي وعد فيها آدم وذريته من قبل، فكأنه ربط السبب بالمسبب. والله أعلم.

وتلحظ الباحثة لمسة تربوية تشير إليها هذه الآية؛ حيث إن هذه المعصية تعد المعصية الأولى التي صدرت من البشر، ولابد من تجانس الأسلوب مع الموقف، لتحقيق الهدف، فالتربية في مراحلها الأولى تختلف عنها في المراحل التي بعدها، وعليه لابد من اختلاف الأسلوب، ذلك والله أعلم.

إذًا يتضح للباحثة أن الهبوط الوارد في الآيتين الكريمتين هو هبوط واحد، يتمثل في هبوط سيدنا آدم من الجنة إلى الأرض، واستقراره بها، لتحقيق الخلافة التي خُلق من أجلها، والله أعلم.

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٦٠) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ * وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ٦٠].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ﴾ **متعلق بمحذوف تقديره: فإن ضربت فقد انفجرت**، أو فضرب فانفجرت، كما مر في قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾[1]"[2].

(١) البقرة: ٥٤.

(٢) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص83.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التعقب:

قال أبو السعود: "﴿ فَٱنفَجَرَتۡ ﴾ عطفٌ على مقدَّرٍ ينسحبُ عليه الكلامُ قد حُذف للدِلالة على كمال سُرعة تحقُّق الانفجار كأنه حصلَ عَقيبَ الأمرِ بالضرب أي فضُرب ﴿ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ﴾، وأما تعلقُ الفاءِ بمحذوفٍ، أي فإنْ ضَرَبْتَ فقد انفجرت، **فغيرُ حقيقٍ بجلالة شأن النظمِ الكريم، كما لا يَخْفى على أحد**"(١).

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن ﴿ فَٱنفَجَرَتۡ ﴾ متعلق بمحذوف، تقديره: فإن ضربت فقد انفجرت، أو فضرب فانفجرت، بينما يرى أبو السعود أن الفاء تتعلق بمحذوف تقديره: فضرب فانفجرت، ولا يرى أن المحذوف جملة شرطية؛ أي فإنْ ضَرَبْتَ فقد انفجرت، فهو غير حقيق بجلالة شأن النظم.

التحقيق والدراسة:

اختلف العلماء في هذا الموضع على أقوال:

- أن الفاء في ﴿ فَٱنفَجَرَتۡ ﴾ للعطف، وهي جملة معطوفة على جملة محذوفة؛ تقديرها: فامتثل الأمر فضربه، ويدل عليها وجود الانفجار(٢)، والحذف إيجاز، وتقدير المحذوف لبيان المعنى(٣).
- أن الفاء في ﴿ فَٱنفَجَرَتۡ ﴾ هي الفاء الفصيحة(٤)، ومتعلقة بمحذوف؛ أي فضرب فانفجرت، أو فإن ضربت فقد انفجرت(٥).

---

(١) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص106.

(٢) ينظر: الجمل، **حاشية الجمل على الجلالين المسمّاة بالفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**، ج١، ص٥٩. ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص١٥٢. ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١، ص٤١٩. ينظر: الفراء، **معاني القرآن**، ج١، ص٤١. ينظر: ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٢٩٠. ينظر: السكاكي، **مفتاح العلوم**، ج١، ص٢٧٨. ينظر: طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ج١، ص١٤٥.

(٣) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥١٨-٥١٩.

(٤) الفاء الفصيحة: هي الفاء العاطفة إذ لم يصلح المذكور بعدها لأن يكون معطوفًا على المذكور قبلها، فيتعين تقدير معطوف آخر بينهما يكون ما بعد الفاء معطوفًا عليه، فهي التي أفصحت عن محذوف قبلها مقدر في الكلام، فإن كان شرطًا فالفاء فاء الجواب الجزائية، وإن كان مفردًا فالفاء فاء العطف، ويشملها اسم فاء الفصيحة عند الأكثرين. ينظر: السيوطي، **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار**، ج٢، ص٢٤٧. ينظر: القونوي، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، ج٣، ص٣٢٩.

شرطها: أن يكون المحذوف سببًا للمذكور. ينظر: الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١، ص١٠٤٩.

(٥) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٤٤. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١، ص٥٢٩. ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص٩٢

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- أن الفاء في ﴿ فَٱنفَجَرَتۡ ﴾ ليست بالفصيحة، إلا إذا لم يستقم عطف ما بعدها على ما قبلها، فإذا استقام فهي الفاء العاطفة[١].

نظر العلماء إلى هذا الموضع من جهتين اثنتين:

الجهة الأولى: من حيث تقدير المحذوف؛ فالفاء متعلقة بمحذوف، إما عن طريق تعلق الجزاء بالشرط المحذوف، أو عن طريق تعلق المعطوف بالمعطوف عليه المحذوف، وتقدير الكلام على الأول: فإن ضربت فقد[٢] انفجرت، وعلى الثاني: فضرب فانفجرت[٣].

الجهة الثانية: من حيث المعنى المترتب على التقديرين السابقين؛ فما يترتب على التقدير الأول فضرب فانفجرت؛ يفيد أنها سالت بكثرة[٤]، كما أنه يفيد أيضًا بيان المعنى، وذلك لأن الانفجار مترتب على قوله تعالى لموسى: ﴿ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ﴾ لظهور أن موسى ليس ممن يشك في امتثاله[٥]، ولو كان ينفجر دون ضرب لما كان للأمر فائدة[٦]، فاكتفى بالمسبب الذي هو الانفجار من السبب الذي هو الضرب[٧]، وبذلك أراد الله تعالى أن يربط الأسباب بالمسببات[٨]، واكتفى بالجواب لأنه قد أدى عن المعنى، [٩]وقد حذفت هذه الجملة المقدرة لوضوح ذلك المعنى.

أما ما يترتب على التقدير الثاني فالفاء فصيحة، والجملة شرطية وهي: فإن ضربت فقد انفجرت؛ هذا يقتضي تقدم الانفجار على الضرب، كما قال صاحب المغني: "وجوز الزمخشري ومن تبعه أن تكون فاء الجواب أي فإن ضربت فقد انفجرت، ويرده أن ذلك يقتضي تقدم الانفجار على الضرب، مثل: ﴿ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾[١٠]، إلا إن قيل المراد فقد حكمنا بترتب الانفجار على ضربك"[١١]، وأما تقدير الشرط هنا فهوغير بيّن، وقد تعجب ابن عاشور من ذكره في الكشاف[١٢].

---

(١) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥١٩.

(٢) قدرت (قد) بعد الفاء الجزائية لما تقرر أنها إذا دخلت على الماضي الصريح لا بد من دخول (قد) ظاهرة أو مقدرة لتحقيق ما دخلت هي عليه من الفعل الماضي باقيًا على أصل معناه، فكأنه قال إن ضربته فقد انفجرت منه قبل ضربك، وانفجارها وإن كان مسببًا مترتبًا على ضربه إلا أنه جعل متحقق الوقوع قبل الضرب. ينظر: زادة، **حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٣٠٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ج١، ص٣٠٨.

(٤) ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص٩٢.

(٥) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥١٨-٥١٩.

(٦) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص ٢٧١.

(٧) ينظر: ابن جني، **الخصائص**، ج٣، ص١٧٧.

(٨) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١، ص٤١٩.

(٩) ينظر: الفراء، **معاني القرآن**، ج١، ص٤١.

(١٠) سورة يوسف: ٧٧.

(١١) ابن هشام، **مغني اللبيب**، ج١، ص٨٢١.

(١٢) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥١٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

كما قاس البيضاوي[١] ومن تبعه قوله تعالى: ﴿ فَٱنفَجَرَتۡ ﴾ على قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة:٥٤]، لكونها متعلقة بشرط محذوف، تقديره: فإن فعلتم فقد تاب الله عليكم وهو المقيس عليه، والمقيس هو فإن ضربت فقد انفجرت، إلا أن اختلاف السياق واختلاف المخاطب قد حال دون الوصول إلى الدقة في هذا القياس.

الترجيح:

بعد النظر والتأمل في هذا الموضع، يتبن مما سبق أن الفاء في ﴿ فَٱنفَجَرَتۡ ﴾ هي فاء العطف - كما رجح أبو السعود، وهو ما ظهر رجحانه - وهي معطوفة على محذوف تقديره: فضرب موسى فانفجرت، كما تسمى بالفصيحة؛ لأنها تفصح عن محذوف، فَضَرْبُ الحجر هو أمر الله، والمخاطب المأمور هو موسى عليه السلام، ولا شك في امتثاله عليه السلام لأمر الله دون تفكير أو تردد، بخلاف المخاطبين في قوله تعالى: ﴿ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[البقرة:٥٤]، لأن المخاطبين هم قوم موسى، وهم مأمورون من خلال السياق بـ ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة:٥٤]، ليتوب الله عليهم، هذا شرط التوبة؛ فإن فعلوا ما أمروا به تحققت التوبة وإن لم يفعلوا فلن تتحقق، والاختلاف واضح بين الآيتين. وقياسًا على ذلك فإن الباحثة لم تجد احتمال الشرطية في سياق آية ﴿ فَٱنفَجَرَتۡ ﴾، كما هو موجود في سياق ﴿ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾.

وقد رد أبو حيان على قول الزمخشري؛ بأن الفاء جزائية، مقترنة بجواب شرط محذوف – على أحد الوجهين – لأن الفاء الجزائية لا تصح بدون (قد)، وإضمارها ضعيف[٢].

كما أن المعنى المترتب على الجملة الشرطية وهو تقدم الانفجار على الضرب - كما ذكر ابن هشام - لا يستقيم مع الفائدة المرجوة، ولا يستوي مع حكمة الله تعالى في ربط الأسباب بالمسببات، فما هي الفائدة من الضرب إذا سُبق بالانفجار؟

إن المطلوب من المأمور هو الانفجار لا الضرب[٣]، والانفجار هو الدليل على القيام بفعل الضرب، وإن كان الأمر به - المعطوف – محذوفًا، فالحذف إشارة إلى سرعة انفجار الماء، وهو غرض بلاغي من أغراض القرآن، أو سر من أسراره، يحذف لشدة وضوحه، أو لكثرة دورانه

(١) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص83.
(٢) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٣٦٨.
(٣) ينظر: السيالكوتي، **حاشيته على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٣٤٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

في الكلام، أو لدلالة السياق عليه، أو لشهرته، فيكسب الكلام قوة، ويزيده جمالًا في الخطاب، وتكثيرًا في المعاني، وتشويقًا للبحث والمعرفة، فهو مبحث من مباحث البلاغة التي تميز به أسلوب القرآن الكريم، بل وأصبح رافدًا من روافد الإعجاز البياني، الذي تضاءلت أمامه العقول البشرية بكل قواها، وقدراتها، وسلمت له تسليمًا مطلقًا على مر الأزمان والعصور. والله تعالى أعلم.

المطلب الرابع: التعقب في الآية (٦٠) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ٦٠].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ ﴾ يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء العيون.

وقيل(١) **الماء وحده**؛ لأنه يشرب ويؤكل مما ينبت به"(٢).

التعقب:

قال أبو السعود: "﴿ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ ﴾ هو ما رزقهم من المنّ والسلوى والماء، وقيل: هو الماءُ وحده؛ لأنه يؤكَلُ ما ينبُت به من الزروع والثمار، **ويأباه** أن المأمورَ به أكلُ النعمة العتيدة لا ما سيطلُبونه"(٣).

تحرير محل النزاع:

نقل البيضاوي قولًا بعبارة التضعيف (قيل)، يتضمن أن الرزق هو الماء وحده؛ لأنه يشرب ويؤكل مما ينبت به، بينما يرى أبو السعود أن هذا المعنى لا يتناسب مع حال المأمورين به في هذه الآية، ألا وهو أكل النعمة العتيدة، لا أكل ما سينبته هذا الماء.

---

(١) ذكر البيضاوي هذا القول بصيغة التضعيف، دون تعليق أو رد، ولم يكن من أبي السعود إلا أن يتعقبه في كل أقواله.
(٢) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص83.
(٣) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص106.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التحقيق والدراسة:

للعلماء حول هذه الآية آراء:

أن معنى ﴿ رِّزْقِ ٱللَّهِ ﴾ له احتمالات:

الاحتمال الأول: أن ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ ﴾، هو أمر من الله عز وجل، بأن يأكلوا مما رزقهم به في التيه، من المن والسلوى بلا تعب، وأن يشربوا مما فجّر لهم من عيون الماء العذب الفرات، بقدرته تعالى(١).

الاحتمال الثاني: أن الرزق هو الماء وحده ينبت منه الزروع والثمار، فهو رزق يؤكل منه ويشرب(٢).

الاحتمال الثالث: أن المراد بالرزق المرزوق، ويحتمل أن يكون من باب ذبح ورعي - وذلك بعد أن ذكر المفسر الاحتمالين السابقين -(٣).

نظر العلماء إلى هذا الموضع من جانبين:

الأول: جانب الصناعة؛ فقد جعل الرزق بمعنى المرزوق، وربطه بالطعام نظرًا إلى كلوا، وفي الماء نظرًا إلى اشربوا، ولا قرينة على الأول إلا ما سبق من آيات تظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى، لذلك فسر بعض المفسرين الرزق بالماء وحده، وجعله مما يؤكل بالنظر لما ينبت منه، ومشروبًا بحسب نفسه(٤). وهنا وقع الإشكال.

الثاني: جانب المعنى؛ فإن الاحتمال الأول لم يعارضه أحدٌ من المفسرين، بأن معنى الطعام يعود إلى ما أنزله الله من المن والسلوى في الآيات السابقة، ومعنى الشراب يعود إلى ما ضربه سيدنا موسى عليه السلام بعصاه فانفجر عيونًا من الماء العذب.

أما الاحتمال الثاني – أن الرزق هو الماء وحده - فأغلب المفسرين على تضعيفه، لأسباب:

السبب الأول: أن أكلهم لم يكن في التيه من زرع ذلك الماء المنفجر وثماره.

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص١٢٢. ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص١٥٢. ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١، ص٤٢١. ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص٩٣. ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٢٧٨. ينظر: حقي، **روح البيان**، ج١، ص١٤٧. ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥١٩. ينظر: طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ج١، ص١٤٥. ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٢٧٣.

(٢) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٤٤. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٥٣٠. ينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج١، ص٢٩٨.

(٣) ينظر: الحلبي، **الدر المصون**، ج١، ص٣٨٨. لم يحتمل السياق هذا الوجه، والله أعلم.

(٤) ذكر السيوطي هذا الكلام في حاشيته على تفسير البيضاوي، وقال: "ولم يرتضه المؤلف" أي البيضاوي. ينظر: السيوطي، **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار**، ج٢، ص٢٥٥. ينظر: الخفاجي، **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج٢، ص١٦٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

السبب الثاني: أنه يلزم منه الجمع بين الحقيقة والمجاز؛ إذ يؤول كلا الأمرين – كلوا واشربوا – إلى الماء فيكون نسبة الشرب إليه بإرادة ذاته، والأكل بإرادة ما هو سبب عنه[١].

أما السبب الثالث: فهو تأويل بعيد عن ظاهر سياق الآية[٢].

الترجيح:

بعد النظر والتأمل في هذا الموضع، تُبين الآية الكريمة أن الله تعالى قد جمع فيها بين الأكل والشرب، وإن كان الحديث عن الاستسقاء، لأنه قد تقدمه إنزال المن والسلوى، فلما أتبعه بنعمة تفجير الماء لهم، اجتمعت النعمتان، وبذلك يظهر رجحان هذا الوجه، فهو أحد أقوال البيضاوي، وهو ما رجحه أبو السعود.

أما ما قيل بأن ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ ﴾ تعود إلى الماء وحده، فهو ضعيف؛ لسبب رئيس وهو أن أكلهم لم يكن من زرع الماء المنفجر في أيام التيه، ويؤيده ما ورد في السياق السابق - كما بينت الباحثة في أقوال العلماء – وكذلك ما ورد في السياق اللاحق، عندما طلب قوم موسى من نبيهم عليه السلام أن يدعو لهم ربه، بأن يرزقهم أصنافًا متعددة من الطعام لعدم صبرهم على طعام واحد.

كما تود الباحثة الإشارة إلى أن إسناد الرزق إلى الله تعالى يعني أنهم حصلوا عليه دون أي جهد أو تعب، وهذه نعمة أخرى من نعم الله تعالى في سياق الامتنان على بني إسرائيل في الآيات الكريمة.

وأما ما ذكره البيضاوي – بصيغة التضعيف - بحصر الرزق في الماء وحده، فهو بعيد؛ لكونه تخصيص بدون مخصص. والله تعالى أعلم.

---

(١) اعترض الشهاب الخفاجي على السبب الثاني وهو الجمع بين الحقيقة والمجاز ووصفه بأنه وهم. ينظر: الخفاجي، **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج٢، ص١٦٦.

(٢) ينظر: السيالكوتي، **حاشيته على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٣٤٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصل الثاني

تعقبات أبي السعود على أقوال البيضاوي التفسيرية من الآية (٦٢) إلى الآية (١٠٢) من سورة البقرة

المبحث الأول: التعقبات من الآية (٦٢) إلى الآية (٧٦) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (٦٢) من سورة البقرة

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٧٥) من سورة البقرة

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٧٦) من سورة البقرة

المطلب الرابع: التعقب في الآية (٧٦) من سورة البقرة

المبحث الثاني: التعقبات من الآية (٧٨) إلى الآية (٨١) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (٧٨) من سورة البقرة

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٧٨) من سورة البقرة

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٨١) من سورة البقرة

المبحث الثالث: التعقبات من الآية (٨٤) إلى الآية (١٠٢) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (٨٤) من سورة البقرة

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٩٠) من سورة البقرة

المطلب الثالث: التعقب في الآية (١٠٢) من سورة البقرة

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

التعقبات من الآية (٦٢) إلى الآية (٧٦) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (٦٢) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ من كان منهم **في دينه قبل أن ينسخ**، مصدقًا بقلبه بالمبدأ والمعاد، عاملًا بمقتضى شرعه"[(١)].

التعقب:

قال أبو السعود: "وأما ما قيل في تفسيره، من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ، مصدقًا بقلبه بالمبدأ والمعاد، عاملًا بمقتضى شرعه، **فمما لا سبيلَ إليه أصلًا**؛ لأن مقتضى المقام هو الترغيبُ في دينِ الإسلامِ، وأما بيانُ حال من مضى على دين آخرَ قبل انتساخِه **فلا ملابسةَ له بالمقام قطعًا، بل ربما يُخِلُّ بمقتضاه**، من حيث دَلالتُه على حقِّيته في زمانه في الجملةِ، على أنَّ المنافقين والصابئين لا يتسنى في حقهم ما ذكروا، أما المنافقون فإن كانوا من أهل الشرك فالأمرُ بيِّن، وإن كانوا من أهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخِ ليسوا بمنافقين. وأما الصابئون[(٢)] فليس لهم دينٌ يجوز رعايتُه في وقتٍ من الأوقاتِ، ولو سَلِم أنه كان لهم دينٌ سماوي، ثم خرجوا عنه، فمن مضى من أهل ذلك الدين قبل خروجِهم منه فليسوا من الصابئين"[(٣)].

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا، هم من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ، مصدقًا بقلبه بالمبدأ والمعاد، عاملًا بمقتضى شرعه، بينما يرى أبو السعود أن هذا التوجيه مما لا سبيل إليه أصلًا، وأضاف أن بيان حال من مضى على دين آخر قبل انتساخه لا

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٨٥.

(٢) ذكر الشيخ زادة أنهم قوم كانوا على دين نوح عليه السلام، وذلك كان دينًا حقًا قبل أن ينسخ. ينظر: زادة، **حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٣١٤.

(٣) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٠٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ملابسة له بالمقام قطعًا، بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقيته في زمانه في الجملة، خاصة لفئتي المنافقين والصابئين.

التحقيق والدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، على أقوال:

القول الأول: أنهم الذين آمنوا بعيسى عليه السلام، قبل مبعث[١] محمد صلى الله عليه وسلم، مثل قس بن ساعدة، وبحيرى الراهب، وحبيب النجار، وزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، وسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، ووفد النجاشي[٢].

القول الثاني: أنهم المصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما آتاهم من الحق من عند الله[٣]، فالمؤمن إذا أطلق يتبادر منه من أخلص الإيمان[٤].

---

(١) روى الطبري في تفسيره ٢/١٥٠ رقم (١١١٢) وابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٢٧ رقم (٦٣٦) من طريق عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط بن نصر، عن السدي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ الآية، قال: نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي. وساق حديثًا طويلًا في قصة إسلام سلمان.

قال محقق تفسير الطبري أحمد شاكر: هذا حديث منقطع. لكن وصله ابن منده في التوحيد (٣١٥/١)(١٥١) - أخبرنا محمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن محمد بن نصر، ح وأخبرنا أحمد بن محمد بن عاصم قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان قالا: حدثنا عمرو بن حماد، حدثنا أسباط بن نصر، عن إسماعيل السدي، عن أبي مالك، وأبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن عبد الله بن مسعود، أن سلمان الفارسي، رضي الله عنهم، بينا هو يحدث النبي صلى الله عليه وسلم إذ ذكره أصحابه، فأخبره خبرهم، فقال: كانوا يصومون ويصلون ويشهدون أنك ستبعث نبيًا، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا سلمان هم من أهل النار» ، فاشتد ذلك على سلمان، وكان قد قال له سلمان: لو أدركوك صدقوك واتبعوك، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾. وإسناده لا بأس به.

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٦/١) رقم (٦٣٤) من طريق ابن أبي عمر العدني ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قال سلمان: سألت النبي- صلى الله عليه وسلم – عن أهل دين كنت معهم، فذكر من صلاتهم وعبادتهم، فنزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾. ورجاله ثقات. لكن قال البرديجي كما في جامع التحصيل (ص: ٢٧٣)، الذي صح لمجاهد من الصحابة رضي الله عنهم، ابن عباس وابن عمر وأبو هريرة على خلاف فيه.

ينظر: العلائي، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي، **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، عالم الكتب، ١٤٠٧هـ، بيروت، ج١، ص٢٧٣.

ينظر: ابن منده، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدي، **التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد**، تحقيق: علي بن محمد الفقيهي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٣هـ، المدينة المنورة، ج١، ص٣١٥.

(٢) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٥٣٦. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٣٨٩.

(٣) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص١٤٣. ينظر: الأصفهاني، **تفسير الراغب الأصفهاني**، ج١، ص٢١٤. ينظر: الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، **تفسيره**، تحقيق: مجدي باسلوم، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ، بيروت، ج١، ص٤٨٤.

ينظر: النيسابوري، **باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن**، ج١، ص٨٨. ينظر: مقاتل بن سليمان، ابن بشير الأزدي البلخي، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ظ١، دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ، بيروت، ج١، ص١١٢.

(٤) ينظر: الخفاجي، **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج٢، ص١٧٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول الثالث: أنهم الذين أقروا بألسنتهم مطلقًا، سواء صدقوا بقلوبهم أو لا - يعني المؤمنين والمنافقين[١] - وقد أُعد لفظ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ مجازًا مرسلًا على طريق ذكر المقيد وإرادة المطلق[٢]، إلا أن القونوي لا يعده مجازًا في النظم الكريم، لأنه إذا أطلق لفظ الإيمان يراد به التصديق والإقرار حقيقة[٣].

القول الرابع: أنهم المؤمنون إيمانًا خاليًا عن التصديق القلبي، وهو إيمان المنافقين[٤]، وهذا رأي أبي السعود[٥] أيضًا، إلا أن فئة المنافقين تدخل في عداد الكفرة، لا المؤمنين.

وسبب الاختلاف السابق بين العلماء هو قوله تعالى: ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾، وذلك يقتضي أن الإيمان المذكور في خبر (إن) ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ غير المراد منه في اسمها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.

كما اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، على أقوال:

القول الأول: أنهم أهل الحنيفية أي أصحاب سلمان الفارسي[٦]، كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بالرسول عليه الصلاة والسلام، ويشهدون أنه سيبعث، وماتوا دون أن يدركوه عليه السلام، فسأل سلمان الرسول عليه الصلاة والسلام عنهم، وكان الجواب أنهم من أهل النار، فاشتد ذلك على سلمان، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٧].

القول الثاني: أنهم أهل الكتاب الذين آمنوا بعيسى وبما جاء به، ولم يدركوا محمدًا صلى الله عليه وسلم، ولو أدركوه لآمنوا به وبما جاء به[٨].

---

(١) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص ٨٤.

(٢) ينظر: زادة، **حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٣١٣.

(٣) ينظر: القونوي، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، ج٣، ص٣٥٣.

(٤) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٤٦. ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص٢٤٣. ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج١، ص٧٢. ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١، ص٢٩٣. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٣٨٩. ينظر: ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج١، ص٨٥. ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص٩٤. ينظر: ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ج١، ص٢٦٤.

(٥) ينظر: أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٠٨.

(٦) تم تخريج هذه الرواية في الصفحات السابقة.

(٧) ينظر: ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص١٢٧. ينظر: القيسي، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج١، ص٢٩٢. ينظر: الأصفهاني، **تفسير الراغب الأصفهاني**، ج١، ص٢١٥.

(٨) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص١٤٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول الثالث: أنهم المؤمنون من هذه الأمة، ومعنى إيمانهم في هذا الموضع هو ثباتهم عليه، وتركهم تبديله. وإيمان اليهود والنصارى والصابئين هو التصديق بمحمد عليه الصلاة والسلام وبما جاء به[١].

القول الرابع: أنهم المنافقين الذين آمنوا في ظاهر أمرهم، فمعنى الإيمان في حقهم من حقق وأخلص، ومعناه في حق سائر الفرق من دخل في الإيمان[٢].

نظر العلماء إلى هذا الموضع من جانب المعنى، فإن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ثم أتبعه بقوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، يترتب عليه سؤال، وهو: كيف يؤمن المؤمن؟ ويقتضي ذلك أن الإيمان المذكور في خبر (إن) غير المراد منه في اسمها، وهنا وقع الإشكال.

الترجيح:

بعد النظر في هذه الآية الكريمة، يبين السياق أن لفظ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يفيد العموم، ويبقى على عمومه ما لم يأتِ ما يخصصه، وقد وردت الرواية المتعلقة بقصة أصحاب سلمان الفارسي في تفسيري الطبري، وابن أبي حاتم، وهي رواية منقطعة، إلا أن ابن منده وصلها إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، وأخذت حكمًا أقوى، فلا بأس إذًا باعتبارها سببًا للنزول – وهذا ما اختاره البيضاوي[٣] - وعليه تعد هذه الرواية نقلًا صريحًا، ومخصصًا في الدلالة على معنى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ وهم من آمن بالله واليوم الآخر، وعمل صالحًا، ومات وهو مصدق بمحمد عليه السلام، وكان منتظرًا له عليه السلام، مؤمنًا بإرساله، وبما أرسل به قبل مبعثه، وقد حال الموت بينه وبين لقائه به عليه السلام، فله الأجر والثواب الموعود به بالآية، مثل قس بن ساعدة، وبحيرى الراهب، وحبيب النجار، وزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، وسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، ووفد النجاشي. فالرواية إذًا تعد تخصيصًا لعموم لفظ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، حاصرة لها في فئة مؤمنة معينة.

وعليه، يكون معنى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قائمًا على المعنى اللغوي، لا الاصطلاحي، للفظ الإيمان، ألا وهو التصديق[٤]. وبذلك أزيل الإشكال السابق الذي وقع بين العلماء.

---

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص١٥٦.

(٣) ينظر: الخفاجي، **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج٢، ص١٧٢.

(٤) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، كتاب الهمزة، باب الهمزة والميم وما بعدهما في الثلاثي، ج١، ص١٣٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أما على اعتبار عدم قبول الرواية - لسبب أو لآخر- فيبقى اللفظ على عمومه، وحينها يكون معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم، أما الفرق الثلاثة الباقية؛ الذين هادوا والنصارى والصابئين، فلا يصح إيمانهم إلا إذا حققوا الشرط المذكور في الآية وهو: ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾، أي من الفرق الثلاثة الأخيرة.

وفي الآية إشارة إلى أن الإيمان وحده لا يكتمل إلا إذا اقترن بالعمل الصالح، وهذا معنى ظاهر في منهج القرآن الكريم؛ فكم من آية ذكرت الإيمان مقترنًا بالعمل الصالح، وعند عدم اقترانهما في هذه الآية، ألحق به على هيئة الشرط، ليتناسب مع سياق الآية، فهما الركنان الأساسيان للدين الصحيح، وبهما يتحقق الأجر المرجو، والوعد المنتظر.

أما ما قيل من أن معنى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ينحصر في فئة المنافقين – كما ذكر أبو السعود - فهو قول بعيد وإن قال به عدد لا بأس به من العلماء، والسبب في ذلك هو محايدة القرآن الكريم عند ذكره لهذه الفئة، فهو لم يذكر المنافقين ضمن الفئة الكافرة التي يعدون جزءًا منها، ومن باب أولى، أن لا يذكرها مع الفئة المؤمنة التي لا يعدون جزءًا منها، فمنهجه ثابت في هذا الجانب، إضافة إلى أن لفظ الإيمان لا يطلق إلا على الإقرار والتصديق حقيقة، فهو إذا ذُكر لا يَحتمل غيره.

فالقول بأن ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ هم فئة المنافقين، هو اجتهاد من قبل العلماء، والاجتهاد في تقدير الباحثة لا ينبغي أن يكون مخصصًا لعموم الكتاب، بدليل أن استعمال القرآن الكريم للفئة المؤمنة لم يأتِ إلا في وصف الأمة المنتسبة إلى النبي محمد عليه الصلاة والسلام، المصدقة به، وعليه، فالأولى أن تحمل الآية الكريمة على عمومها، فيدخل فيها جميع المؤمنين، وهو اختيار الطبري[١]، وهو ما تميل إليه الباحثة.

أما فائدة ذكر﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ مع أن الوعيد السابق في سياق الآيات كان في حق اليهود، لتسكين حمية اليهود في تسوية المؤمنين بهم، في أن كون كل في دينه قبل النسخ يوجب الأجر، وبعده يوجب الحرمان، وأن ذكر الصابئين للتنبيه على أنهم مع كونهم غارقين في ضلالهم، إذا صح منهم الإيمان والعمل الصالح، فغيرهم بطريق الأولى[٢]. هذا، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص١٤٨.

(٢) ينظر: السيالكوتي، **حاشيته على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٣٥٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٧٥) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ * أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ **طائفة من أسلافهم**[١] يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ، يعني التوراة، ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ كنعت[٢] محمد صلّى الله عليه وسلّم، وآية الرجم[٣]"[٤].

التعقب:

قال أبو السعود: "وقيل هم رؤساءُ أسلافِهم، الذين تولَّوْا تحريفَ التوراة بعد ما أحاطوا بما فيها علمًا، وقيل هم الذين غيروا نعت النبيِّ صلَّى الله عليهِ وسلم **في عصره**، وبدّلوا آيةَ الرجْم، **ويأباه الجمعُ بينَ صيغتي المَاضِي والمستقبل**، الدالِّ على وقوع السماعِ والتحريفِ فيما سلف، إلا أن يُحملَ ذلك على تقدّمه على زمانِ نزولِ الآية الكريمةِ، لا على تقدمه على عهدِه عليهِ الصَّلاة والسَّلامُ"[٥].

---

(١) ردّ الشهاب في حاشيته على البيضاوي، فقال: "فليت شعري لم فسر المصنف رحمه الله كلام الله بالتوراة، وتحريفها بما مر، لم ذهب إلى أنّ الفريق من أسلافهم؟". الخفاجي، **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج٢، ص١٨٦.

وكذلك السيوطي في حاشيته، فقال: "(وقيل: هؤلاء من السبعين)... فلا معنى لتخصيص فريق منهم بذلك". السيوطي، **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار**، ج٢، ص٢٧٤.

(٢) " حدثنا عصام بن رواد ثنا آدم عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال: عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد- صلى الله عليه وسلم- فحرفوه عن مواضعه". ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص١٤٩.

(٣) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "إن اليهود جاءوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكروا له: أن امرأة منهم ورجلًا زنيا. فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ما تجدون في التوراة، في شأن الرجم؟ فقالوا: نفضحهم ويجلدون. قال عبد الله بن سلام: كذبتم، فيها آية الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك. فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم، فقال: صدق يا محمد، فأمر بهما النبي - صلى الله عليه وسلم - فرجما. قال: فرأيت الرجل: يجنأ على المرأة يقيها الحجارة". رواه مالك في (الموطأ)، في الحدود: باب ما جاء في الرجم، ج٢، ص٨١٩. ومن طريق مالك أخرجه البخاري (٣٦٣٥) في: المناقب، باب قول الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾، ج٤، ص٢٠٦، و(٦٨٤١) باب أحكام أهل الذمة، وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام. ومسلم (١٦٩٩) (٢٧) في الحدود: باب رجم اليهوديين من حديث ابن عمر، ج٣، ص٣٢٦.

تقي الدين، عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، **عمدة الأحكام من كلام خير الأنام صلى الله عليه وسلم** - كتاب الحدود – تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار الثقافة العربية، دمشق، ج١، ص٢٤٤.

ينظر: مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، **الموطأ**، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط١، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ١٤٢٥هـ، أبو ظبي.

كما أن الباحثة وجدت مصطلح (الرجم)، ووقفت عليه في الكتاب المقدس. ينظر: بوست، جورج، **فهرس الكتاب المقدس**، ط٢، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ج١، ص٣٣٤.

(٤) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٨٩.

(٥) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١١٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن المقصود بـ ﴿ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ هم طائفة من أسلافهم يسمعون التوراة، ثم يحرفونها كما حرفوا نعت النبي عليه السلام، وبدلوا آية الرجم، بينما يرى أبو السعود أن ذلك الرأي يأباه الجمعُ بينَ صيغتي الماضي والمستقبل، الدالِّ على وقوع السماعِ والتحريفِ فيما سلف، إلا إذا حُمل ذلك على تقدّمه على زمانِ نزولِ الآية الكريمةِ، لا على تقدمه على عهدِه عليهِ الصَّلاة والسَّلامُ.

التحقيق والدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ على أقوال:

- أنهم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات - وهذا القول نسبه الثعلبي(١)، والبغوي(٢)، لابن عباس(٣) - وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى، فلما رجعوا إلى قومهم أدى الصادقون منهم الكلام كما سمعوه، وزادت طائفة منهم أن الله يقول في آخر كلامه إن استطعتم أن تفعلوا فافعلوا، وإن شئتم فلا، وكان هذا تحريفهم(٤). إلا أن هذا القول يحتاج إلى دليل، ولعدم وجوده، فقد وُصِف بضعفه عند ابن عطية(٥)، وكذلك الحكيم الترمذي، حيث قال:"وإنما الكلام شيء خص به موسى عليه السلام من بين جميع ولد آدم عليه السلام فإن كان كلم قومه أيضا حتى أسمعهم كلامه فما فضل موسى عليه السلام حيث سمي كليم الله من بين رسله عليهم السلام"(٦).

- قيل إنهم جماعة من اليهود كانوا يسمعون الوحي إذا أنزل على النبي عليه السلام، فيحرفونه ليدخلوا في الدين ما ليس فيه قصدًا، ويغيروا أحكامه(٧)، وهذا الكلام يتنافى مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩]، هذا من جهة النقل، أما من

---

(١) ينظر: الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: ابن عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ، بيروت، ج١، ص٨٧.

(٢) ينظر: البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ، ج١، ص١١٣.

(٣) قال ابن عباس: "نزلت هذه الآية في السبعين المختارين"، رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٨/١ رقم (٧٧٠) وذكره الواحدي في أسباب النزول ص٢٧ والبغوي في تفسيره١١٣/١.

ينظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، **أسباب النزول**، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط٢، دار الإصلاح، ١٤١٢هـ، الدمام.

(٤) ينظر: الخازن، علاء الدين علي بن إبراهيم بن عمر الشيحي، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تصحيح: محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص٥٥-٥٦.

(٥) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص١٦٨.

(٦) الترمذي، محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم، **نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ج١، ص٢٦٩.

(٧) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٤٣٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

جهة العقل فلم ترد أي رواية أو حادثة تذكر محاولة واحدة من اليهود أو غيرهم في تحريف القرآن الكريم، ألبتة.

- أنهم طائفة من اليهود كانوا في زمن النبي عليه السلام، وقوله: ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[١] أي التوراة، لرجوع الضمير في ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿*أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ ﴾، ومن يطمع في إيمانه في المستقبل لا بد أن يكون معاصرًا لعهد النبي عليه السلام، وكان تحريفهم هو تبديلهم لصفة النبي عليه السلام، وآية الرجم في التوراة[٢]، وهذا القول هو الأقرب.

وقع إشكال في عبارة البيضاوي حين مثّل لتحريف اليهود؛ بتبديل آية الرجم، وتغيير صفاته عليه الصلاة والسلام، وهذا لا يكون إلا في عهده صلى الله عليه وسلم، مع ذكره بأن ﴿ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ تعني طائفة من أسلافهم، وبناء على ذلك؛ فقد وقع تناقض في ظاهر الكلام. ولم يلتفت أبو السعود إلى نقل البيضاوي لذلك بصيغة التضعيف، حيث قال: "وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور، ثم قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخره: إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا"[٣]، فإن عدم التقابل بين الاستطاعة والمشيئة شاهد على فساد هذا القول[٤]، ثم إن استعماله لهذه الصيغة أفاد استبعاد هذا المعنى، كما أن البيضاوي قد ذكر مثالي التحريف؛ أي كتحريف اليهود فيما بعد، وهذا يشير إلى أنه يطرح مثالًا يشبه ما قام به اليهود من تحريف في عهد النبي عليه السلام، وهذا كله يقوي رأيه ومقصده، وأنه لا يخلط بين الماضي والمستقبل، وعليه؛ فإن التناقض الظاهر في عبارته قد زال، ويؤيد ذلك كلامه في نفس الموضع، حيث قال: "ومعنى الآية: أن أحبار هؤلاء ومقدميهم

---

(١) نقل عن السدي أن كلام الله هو التوراة، ولا يلزم من سماع كلام الله السماع المباشر كما سمعه موسى الكليم عيه السلام، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦]، أي مبلغًا إليه. ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٢٤٦.

(٢) ينظر: الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج١، ص٥٥-٥٦. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١، ص٥٦٠.

(٣) عن ابن عباس. رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٨/١ رقم (٧٧٠) وذكره الواحدي في أسباب النزول ص٢٧ والبغوي في تفسيره١١٣/١.

(٤) ينظر: السيالكوتي، **حاشيته على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٣٧٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

كانوا على هذه الحالة، فما ظنك بسفلتهم وجهالهم، وأنهم إن كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك"[١].

والله تعالى أعلم.

الترجيح:

بعد النظر العميق في هذا الموضع، تجد الباحثة أن الظاهر في تفسير البيضاوي للآية الكريمة، أنه جمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في الآية الكريمة؛ فذكر أنها تتحدث عن طائفة اليهود التي حرفت التوراة في عهد موسى عليه السلام – أي في الماضي – ثم من تبعها من يهود عاشوا في عهد النبي عليه السلام، وحرفوا نعته عليه السلام وآية الرجم، لكونهم الطائفة التي يصح فيها الطمع في إيمانهم، فالطمع يصح في المستقبل، بمعنى لا يكون للخلف الجاهل المقلد إلا أن يتبع السلف المتعلم منهم، وهذا هو الاحتمال الأول، فانتقل السياق من تعداد قبائح أسلافهم، إلى تعداد قبائح المعاصرين منهم، إلا أن الباحثة بيّنت فيما سبق أن رأي البيضاوي هذا ذكره بصيغة التضعيف، وليس هو الراجح عنده أيضًا.

أما الاحتمال الثاني، وهو أن يكون المقصود بـ ﴿ فَرِيقٌ ﴾هم المعاصرون لزمن نزول الآية، وعليه، يكون المعنى: أفتطمعون أيها المؤمنون أن يؤمن اليهود الحاضرون بدعوتكم ويستجيبوا لها، وقد كان فريق منهم – أي ممن طمع بإيمانه - في عهد النبي عليه السلام، وفي زمن نزول الآية، يسمعون التوراة المنقولة إليهم، ويحرفون صفاته عليه السلام، ويبدلون أحكام الدين لأجل أغراضهم وغاياتهم، مع علمهم بصحة ما فيها، وقرينة التشبيه الموجودة في كلام البيضاوي – عند قوله كنعت النبي عليه السلام، وآية الرجم – خير دليل على ما يقصده.

وعليه، تجد الباحثة أن الاحتمال الثاني – وهو رأي أبي السعود ولربما البيضاوي أيضًا - أكثر دقة من الأول، وهو الراجح عندها؛ لصعوبة الجمعُ بينَ صيغتي المَاضِي والمستقبل من جهة، ولأن سياق الآية يدل عليه من جهة أخرى. فالضمير[٢] ﴿مِّنْهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ يعود لأقرب مذكور في سياق الآية؛ وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿*أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ ﴾، الذين تعلق الطمع بإيمانهم، وهم اليهود الذين عاصروا النبي عليه السلام.

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٨٩.

(٢) لمزيد من البحث، ينظر: الخفاجي، **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج٢، ص١٨٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ويؤيد هذا الترجيح السياق اللاحق للآية، وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ۖ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾، حيث يصف الله تعالى خداعهم للذين آمنوا، وهذا الوصف لا يكون إلا في عهد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام. والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٧٦) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ۖ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [البقرة: ٧٦].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾، **يعني منافقيهم**. قالُوا آمَنَّا بأنكم على الحق، وإن رسولكم هو المبشر به في التوراة، وَإِذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ قالُوا، أي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق"(١).

التعقب:

قال أبو السعود:"﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ﴾، جملةٌ مستأنفة سيقتْ إثرَ بيانِ ما صدر عن أشباههم، لبيان ما صدرَ عنهم بالذات من الشنائع المُؤيسةِ عن إيمانهم، من نفاق بعضٍ وعتابِ آخَرين عليهم، أو معطوفةٌ على ما سبق من الجملة الحالية، **والضميرُ لليهود لما ستقف على سره، لا لمنافقيهم خاصةً كما قيل، تحرّيًا لاتحاد الفاعل** في فعلي الشرط والجزاءِ حقيقة"(٢).

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن المقصود بالضمير في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ هم منافقو اليهود، وأن المقصود بضمير ﴿ قَالُوٓا۟ ﴾ في ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ ﴾، هم

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٨٩.
(٢) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١١٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

اليهود الذين لم ينافقوا، بينما يرى أبو السعود اتحاد الفاعل في الآية، وأن الضمير لليهود في الجملتين الشرطيتين، لا لمنافقيهم خاصة.

التحقيق والدراسة:

اختلف العلماء في عودة ضمير ﴿ وَإِذَا لَقُوٓاْ ﴾ على أقوال:

- أن الضمير في ﴿ لَقُوٓاْ ﴾ يعود إلى يهود بني إسرائيل، وهو قول الربيع بن أنس(١)، ويوافقه الطبري(٢)، والزمخشري(٣).

- أن الضمير في ﴿ لَقُوٓاْ ﴾ يعود إلى منافقي اليهود، وهو قول ابن عباس(٤)، ووافقه الثعلبي(٥)، والأصفهاني(٦)، والرازي(٧)، والسيوطي(٨).

- أن الضمير في ﴿ لَقُوٓاْ ﴾ يعود إلى ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا. وهو قول السدي(٩).

- أن الضمير في ﴿ لَقُوٓاْ ﴾ يعود إلى المنافقين أو اليهود، وهذا التخيير من وجهة نظر النسفي(١٠).

- أن الضمير في ﴿ لَقُوٓاْ ﴾ يعود إلى اليهود الذين أمرهم رؤساؤهم - من يهود بني قريظة - أن يدخلوا المدينة، ويتحسسوا أخبار النبي صلى الله عليه وسلم(١١).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٩/١ رقم (٧٧٨). وفي إسناده أبو جعفر الرازي عيسى بن عبد الله بن ماهان. قال ابن حجر في تقريب التهذيب ص٦٢٩: صدوق سيء الحفظ خصوصًا عن مغيرة. فالإسناد ضعيف.

ينظر: ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، تحقيق: محمد عوامة، ط١، دار الرشيد، ١٤٠٦هـ، سوريا.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٢٥٠/٢ رقم (١٣٣٦) وفي إسناده بشر بن عمارة، قال ابن حجر في تقريب التهذيب ص١٢٣: ضعيف.

(٣) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٥٦.

(٤) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٢٥٠.

وهناك رواية أخرى عن ابن عباس، يذكر فيها أنها نزلت في قوم من اليهود قالوا لبعض المؤمنين نحن نؤمن أنه نبي ولكن ليس إلينا، وإنما هو إليكم خاصة. لم تجد الباحثة لهذا الأثر إسنادًا، إنما ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ١٦٨/١. والثعالبي في الجواهر الحسان ٢٦٧/١، وأبو حيان في البحر المحيط ٤٣٨/١.

ينظر: الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ، بيروت، ج١، ص٢٦٧.

(٥) ينظر: الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ج١، ص٢٢٢.

(٦) ينظر: الأصفهاني، **تفسير الراغب الأصفهاني**، ج١، ص٢٣٧.

(٧) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٥٦٢.

(٨) ينظر: السيوطي، **الدر المنثور**، ج١، ص١٩٩.

(٩) أخرجه ابن جرير الطبري ٢٥٠/٢ رقم (١٣٣٨). وابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٩/١ رقم (٧٧٩) وإسناده لا بأس به.

(١٠) ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص١٠٢.

(١١) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٢٥٣. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٤٤٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ومن الواضح تداخل هذه الأقوال، ومآل ذلك يصير إلى أنهم جماعة من اليهود، خرج من بينهم النفاق بألوانه، وتغلغل بين صفوف المؤمنين.

وذكر الماوردي[١] قولين في عودة ضمير ﴿قَالُوٓاْ﴾ الذي في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ﴾، على النحو الآتي:

الأول: أنهم اليهود، إذا خلوا مع المنافقين، قال المنافقون لليهود: أتحدثون المؤمنين بما فتح الله عليكم. ووافقه الزمخشري على هذا الرأي[٢].

الثاني: أنهم اليهود، قال بعضهم لبعض: أتحدثون المؤمنين بما فتح الله عليكم.

الترجيح:

بعد النظر في هذا الموضع، تجد الباحثة أن هذه الجملة الشرطية تحتمل احتمالين؛ الأول: أنها جملة مستأنفة، وعلى هذا التقدير تكون كاشفة عن أحوال اليهود، ساردة لأعمالهم، وخداعهم.

والثاني: أنها جملة حالية معطوفة على الجملة الحالية قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ﴾، وعلى هذا التقدير يكون المعنى؛ كيف تطمعون أيها المؤمنون بإيمان هؤلاء، وحالهم هكذا؟

فالخلاف الذي وقع بين العالمين الجليلين لا يغير المعنى، بل يزيده دقة وشمولية، فقد ذكر البيضاوي أن الضمير في ﴿لَقُوٓاْ﴾ يعود إلى منافقي اليهود، وذكر أبو السعود أنه يعود على اليهود أنفسهم، لا لمنافقيهم خاصة، مع اشتمال اليهود على جماعة المنافقين يقينًا، بدليل ما وصفه الله من خداعهم للمؤمنين، وذلك بمجاهرتهم بالإيمان بالنبي المبعوث، عليه الصلاة والسلام، وقولهم ﴿ءَامَنَّا﴾، واعترافهم للمؤمنين بالسر الذي ورد في التوراة – وهو التحديث بالصفات الصحيحة للنبي عليه السلام– وعند خلوهم بأعوانهم، يقرون بكفرهم، ويعاتب الذين لم ينافقوا الذين نافقوا بما حدثوا، وهذا هو نهج المنافقين، وهذه هي أخلاقهم.

أما الخلاف الذي وقع في هذه الآية فإنه خلاف من جهة اللغة يكمن في عودة الضمير تخصيصًا، فقد رجح أبو السعود أن السبب في اتحاد الضمير هو اتحاد الفاعل – اليهود - في فعلي

---

(١) ينظر: الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، **النكت والعيون**، تحقيق: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص١٤٨.

(٢) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٥٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الشرط والجزاءِ حقيقة، وهذه لفتة دقيقة منه، وقد قاس العلماء[١] كلامه بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، لكون الضمير الأول عائدًا على الأزواج، والثاني عائدًا على الأولياء وهو راجع إلى جهة واحدة وهي جهة المخاطبين لاشتمالهم على الصنفين جميعًا.

كما أن سياق الآية[٢] السابق يدعم هذا الرأي ويقويه، إذ إن الضمير في قوله تعالى: ﴿لَقُوا۟﴾ عائد على الضمائر السابقة، في قوله: ﴿ أَن يُؤْمِنُوا۟ ﴾، ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾، ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

ومن هذا التتبع يظهر للباحثة أن كل هذه الضمائر تعود إلى اليهود، وهذا أحسن وأوفق لمراعاة النظم[٣]، مرجحةً لرأي أبي السعود، والله تعالى أعلم.

المطلب الرابع: التعقب في الآية (٧٦) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ۖ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [البقرة: ٧٦].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ إما من تمام كلام اللائمين، وتقديره: أفلا تعقلون أنهم يحاجونكم به فيحجونكم، **أو خطاب من الله تعالى للمؤمنين متصل بقوله:** ﴿* أَفَتَطْمَعُونَ ﴾، **والمعنى: أفلا تعقلون حالهم وأن لا مطمع لكم في إيمانهم**"[٤].

---

(١) ذكر أحمد بن المنير هذا القياس. ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٥٦. ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥٦٩.

(٢)﴿* أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[البقرة: ٧٥].

(٣) ينظر: السيالكوتي، **حاشيته على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٣٧٨.

(٤) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٨٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التعقب:

قال أبو السعود: "وأمَّا مَا قيلَ من أنه خطابٌ من جهة الله سبحانه للمؤمنين متصلٌ بقوله تعالى: ﴿* أَفَتَطْمَعُونَ ﴾ والمعنى: أفلا تعقلون حالَهم وأن لا مطْمَعَ لكم في إيمانهم، **فيأباه قولُه تعالى:** ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ ﴾، فإنه إلى آخره تجهيلٌ لهم من من جهته تعالى فيما حكى عنهم، فيكون إيرادُ خطاب المؤمنين في أثنائه من قبيل الفصل بين الشجرِ ولِحائِه، على أن في تخصيص الخطاب بالمؤمنين من التعسف، وفي تعميمِه للنبي أيضا صلى الله عليه وسلم كما في أفتطمعون من سوء الأدب مالا يخفى"[١].

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ إتمام لكلام اليهود اللائمين أتباعهم، أو أنه خطاب من الله تعالى للمؤمنين متصل بقوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ ﴾ في الآية التي تسبقها، بينما يرى أبو السعود أن هذا الخطاب إذا وجّه للمؤمنين يأباه قولُه تعالى: ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ ﴾، فيكون إيرادُ هذا الخطاب من قبيل الفصل بين الشجرِ ولِحائِه، وفيه إخلالٌ في المعنى سواء في تخصيصه، أو تعميمه.

التحقيق والدراسة:

اختلف العلماء في معنى قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ على قولين:

الأول: أنه خبر من الله تعالى عن اليهود اللائمين لأتباعهم، عند إخبارهم المؤمنين بما فتح الله عليهم، وإثبات الحجة على أنفسهم[٢]، والمعنى: أفلا تعقلون أيها اليهود أن إخباركم للمؤمنين بما في كتبكم، وأن محمدًا هو النبي المبعوث، حجة لهم عليكم عند ربكم، فكيف تفعلون ذلك؟

الثاني: أنه خطاب من الله تعالى للمؤمنين والمعنى: أفلا تعقلون أنه لا مطمع لكم في إيمانهم، لما ذكرته لكم من صفاتهم.

---

(١) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١١٨.

(٢) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٢٥٥. ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج١، ص١٥٩. ينظر: الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج١، ص٥٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ومن الجدير بالذكر أن الله تعالى ينكر على اليهود قيامهم بالأفعال المذكورة، بل ويوبخ عقولهم، فكيف يُقبل أن يُصرف هذا الإنكار والتوبيخ من جهة اليهود ليكون خطابًا للمؤمنين، والرسول عليه الصلاة والسلام بينهم؟!!

الترجيح:

بعد النظر في هذا الموضع يتبين للباحثة أن قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ من تمام كلام اليهود المعاتبين أتباعهم، كما ذكر البيضاوي في أحد آرائه، وكما رجح أبو السعود، وذلك لعدة أسباب:

الأول: أن ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ عتاب من اليهود لأتباعهم، توبيخًا لهم، وتعريضًا لفقدان عقولهم، على ما قاموا به من أعمال تتصف بالغباء حينًا، وبالخداع والنفاق حينًا أخرَ. ولا يصح أن يكون خطابًا من الله تعالى للمؤمنين – كما ذكر ابن عاشور[1]- تذييلًا لقوله تعالى: ﴿*أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾؛ لأن الخطاب موجه للمؤمنين، وفيهم الرسول عليه الصلاة والسلام، وهم ليسوا بجديرين بهذا التوبيخ، إنما كان المراد من الاستفهام هو النهي والتعجب من الطمع في إيمانهم.

الثاني: أن إيراد خطاب المؤمنين في وسط الحديث عن اليهود من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه، كما ذكر أبو السعود، وهذا الفصل لا يقبل بحال من الأحوال إلا إذا وُجدت قرينة تصرفه، وهي غير موجودة في هذه الآية.

الثالث: أن الضمير في ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يعود على أقرب مذكور؛ وهم اليهود في هذه الآية.

الرابع: سياق الآية اللاحق يؤيد هذا التوجيه، فقوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة: ٧٧]، هو إتمام لتوبيخ اليهود على جهلهم بعلم الله تعالى، وتهديد لهم على أفعال البغض والخداع، كما أنه تنبيه لهم من أن الإتيان بالمعصية مع علمهم بكونها معصية، وعلمهم بإحاطة علمه تعالى، أعظم وزرًا. فهم على يقين بأنهم يتعاملون مع علام الغيوب، فالسياق يؤيد تمام الحكاية عنهم، ولا يوجد قرينة تصرفه عنهم إلى غيرهم.

---

(١) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥٧٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الخامس: قرأ الجمهور ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ ﴾ بالياء، خطابًا لليهود، وهي القراءة العشرية المتواترة، وقرأها ابن محيصن بالتاء[١]، أي: (أولا تعلمون)، خطابًا للمؤمنين، وهي قراءة شاذة، وبما أن القراءة الثانية شذّت، فإن احتمال المعنى – وهو توجيه الخطاب للمؤمنين - صار بعيدًا. والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: الهذلي، يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده، **الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها**، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، ط١، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ١٤٢٨هـ، ج١، ص٤٨٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني

التعقبات من الآية (٧٨) إلى الآية (٨١) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (٧٨) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [البقرة: ٧٨].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴾ **جهلة لا يعرفون الكتابة،** فيطالعوا التوراة، ويتحققوا ما فيها. أو التوراة"(١).

التعقب:

قال أبو السعود:"﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴾ أي لا يعرِفون التوراةَ ليطالعوها، ويتحقَّقوا ما في تضاعيفها من دلائل النبوة فيؤمنوا، **وحَملُ الكتاب على الكتابة يأباه سباقُ النظم الكريم ولحاقه**"(٢).

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن معنى ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴾ أنهم جهلة لا يعرفون الكتابة، بينما يرى أبو السعود أن حمل الكتاب على الكتابة **يأباه** سباق النظم ولحاقه.

التحقيق والدراسة:

اختلف العلماء في معنى ﴿ الْكِتَابَ ﴾ على قولين:

الأول: أن معنى الكتاب هو التوراة(٣)، ولذلك أدخلت الألف واللّام فيه؛ لأنه معرفة مقصود به كتاب بعينه(٤).

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٨٩.

(٢) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١١٩.

(٣) وهو قول ابن زيد، والضحاك، وابن عباس. ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٢٦٠.
ينظر: مقاتل بن سليمان، **تفسيره**، ج١، ص١١٨. ينظر: القيسي، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج١، ص٣١٩. ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٥٧. ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص١٧٠. ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج١، ص٨١. ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص١٠٣. ينظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ج١، ص٣٣٧. ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥٧٤. ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص ٣٠٢.

(٤) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٢٦٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الثاني: أن معنى الكتاب هو: إما أن يكون اسمًا للمكتوب، ومعناه التوراة. وإما أن يكون مصدرًا للفعل كتب، أي لا يعلمون الكتابة، وهذا يبعده السياق، لقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [١].

يظهر للباحثة أن الخلاف بين القولين السابقين ليس خلافًا حقيقيًا، بل هو خلاف واقع بين المعنى اللغوي والمعنى السياقي، وذلك لإمكان الجمع بين المعنيين؛ حيث من المعروف عرفًا عند أهل اللغة والتفسير أن المعنى اللغوي لا ينفك عن المعنى الاصطلاحي، بل يُعد جزءًا منه، وعند ذلك يتلاشى الخلاف الظاهر في هذا الموضع.

الترجيح:

بعد النظر في هذا الموضع، يتبين للباحثة أن معنى ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ في المحصلة هو التوراة، وهو رأي أبي السعود، وهو أيضًا الراجح عندها، لعدة أسباب:

الأول: انقسم العلماء إلى فريقين؛ الأول: نظر إلى المعنى اللغوي، وفسر الكتاب بالكتابة نسبة إلى الجذر الثلاثي للكلمة، فهي ترجع إلى الفعل الماضي (كتب)، قال ابن فارس: "الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك الكتاب والكتابة"[٢]، وذكر زادة أن الكتاب مصدر كتب كتابة، أريد به المعنى المصدري، وهو الكتابة[٣].

أما الفريق الثاني: فقد نظر إلى المعنى الاصطلاحي للكتاب المعهود بينهم وهو التوراة.

فالكتاب هو مجموع لما كتب فيه، أي هو بمعنى المكتوب، ونفي العلم بالكتابة يستلزم نفي العلم بالمكتوب – التوراة – من باب أولى، فالمراد بالكتابة هي الحاصل منها وأثرها، وليست هي بذاتها. وعليه يكون المعنى الدقيق للآية كما بيّن الزمخشري، قائلًا: "وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يحسنون الكتب، فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها، لا يَعْلَمُونَ الْكِتابَ - التوراة - إِلَّا أَمانِيَّ"[٤]

الثاني: التعريف بالألف واللام هنا دلالة على أن الكتاب معروف ومقصود؛ فاللام لام العهد، لا لام الجنس.

الثالث: عند ذكر الكتاب، يتبادر إلى الذهن مباشرة أنه القرآن الكريم، وهو كثير، منه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ﴾، وإنه لا يخرج عن معناه المذكور إلا بقرينة يقتضيها السياق، فإنّ ذِكر أحوال اليهود، وأقوالهم، وأفعالهم، في هذا الموضع قرينة تصرف معنى الكتاب من القرآن إلى التوراة، ولا يحتمل غيره.

---

(١) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥٧٤.
(٢) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، كتاب الكاف، باب الكاف والتاء وما يثلثهما، ج٥، ص١٥٨.
(٣) ينظر: زادة، **حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٣٣٥.
(٤) الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٥٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الرابع: أن ثَمّة سؤالًا يتبادر إلى ذهن الباحثة حول الفائدة المرجوة من إعادة وصفهم بعدم معرفة الكتابة، بعد وصفهم بالأمية؟ بالرغم من أنه ليس من عادة القرآن أن يكرر معنى، دون أيّة إضافة.

فالأمّي في اللغة هو: "المنسوب إلى ما عليه جبلة الناس لا يكتب، فهو في أنه لا يكتب على ما ولد عليه"[١]. فبهذا الوصف يكون القرآن الكريم قد ذكر حال الأكثرية منهم، بأنهم قوم مقلدون، لا يقرؤون ولا يكتبون، لا يستطيعون مطالعة التوراة، ولا التعلم منها، ولا استخراج أحكامها، إنما تلقوا دينهم المزيف بالأمنيات المحرفة من قبل علمائهم وأحبارهم.

الخامس: ذكر ابن عاشور أن قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ في سياق الآية، والتي تدل على أن معنى ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ هو التوراة، وليس الكتابة. فعلى الوجه الأول – التوراة - يكون معنى قوله تعالى: ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أثرًا من آثار الأمية، فهم لا يعلمون التوراة إلا علمًا مختلطًا بتحريف وتكذيب، مما يسمعونه من أحبارهم المحرفين لها، المعطلين لأحكامها. أما على الوجه الثاني -الكتابة - تكون الجملة صفة كاشفة، ومبينة، وشارحة لمعنى الأميين[٢]، وهو غير مراد هنا، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٧٨) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [البقرة: ٧٨].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ استثناء منقطع. والأماني: جمع أمنية وهي في الأصل ما يقدره الإنسان في نفسه، من منى إذا قدر، ولذلك **تطلق على الكذب** وعلى ما يتمنى وما يقرأ، والمعنى لكن يعتقدون أكاذيب، أخذوها تقليدًا من المحرفين أو مواعيد فارغة. سمعوها منهم من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودًا، وأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة."[٣]

---

(١) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، كتاب الهمزة، باب الهمزة في الذي يقال له المضاعف، ج١، ص٢٨.
(٢) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥٧٤.
(٣) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٨٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التعقب:

قال أبو السعود: "وأما حملُ﴿ٱلْأَمَانِيُّ﴾ على الأكاذيبِ المختلقة على الإطلاق، من غير أن يكون لها ملابسةٌ بالكتاب، **فلا يساعدُه النظمُ الكريمُ**"(١).

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن ﴿ٱلْأَمَانِيُّ﴾ تطلق على الكذب، والمعنى أنهم يعتقدون أكاذيب أخذوها تقليدًا من المحرفين، بينما يرى أبو السعود أن حمل الأماني على الأكاذيب المختلقة على الإطلاق من غير أن يكون لها ملابسة بالكتاب، فلا يساعده النظم.

التحقيق والدراسة:

اختلف العلماء في معنى ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾، على أقوال:

الأول: أن معنى ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ هو: إلا أكاذيب، أو أقوالًا يختلقها(٢) اليهود، ويقولونها بأفواههم، وتكون كذبًا، هذا قول ابن عباس(٣)، وتبعه مجاهد(٤). والمعنى: أن يفتعل الرجل الأحاديث الكاذبة التي سمعها من كبراء اليهود، ويحدث بها الناس(٥).

الثاني: أن معنى ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ هو: أنهم يتمنون على الله الباطل، وما ليس لهم. وهذا قول قتادة(٦)، ومجاهد(٧)، وأبي العالية(٨). والمعنى أنهم لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم؛ منها: قَوْلهم: ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [البقرة:٨٠]، وقولهم: ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ [البقرة:١١١]، وقَوْلهم: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾[المائدة:١٨].

---

(١) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١١٩.

(٢) ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج١، ص١٥٩.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٦١/٢ رقم (١٣٦٥). وفي إسناده بشر بن عمارة ضعيف كما في تقريب التهذيب لابن حجر ص١٢٣.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٦١/٢ رقم (١٣٦٦) و (١٣٦٧).

(٥) ينظر: الفراء، **معاني القرآن**، ج١، ص٥٠.

(٦) رواه عبد الرزاق في تفسيره٢٧٨/١ رقم (٧٩) ومن طريقه أخرجه الطبري في تفسيره ٢٦١/٢ رقم (١٣٦٩). ينظر: عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، **تفسيره**، تحقيق: محمود محمد عبده، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ، بيروت.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٦١/٢ رقم (١٣٧١).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٢/١ رقم (٧٩٣). والطبري ٢٦١/٢ رقم (١٣٧٢).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الثالث: أن معنى ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾، أي: إلا تلاوة، لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]؛ أي: ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حدث وتكلم[١] - وهذا رأي باطل لضعف روايته - والمعنى أن اليهود لا يعلمون من التوراة إلا بقدر ما يتلى عليهم، دون فهم، ولا عمل[٢].

الرابع: أن يقول القائل ما لا يعلمه، فكأنه إنما يتمناه، وهذا مستعمل في كلام الناس[٣]. قال الحسن: "هؤلاء ناس من اليهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئًا كما قال الله، فكانوا يتكلمون بالظنون بغير ما في كتاب الله، ويقولون: هو من الكتاب، أماني يتمنونها"[٤].

الترجيح:

بعد النظر في هذا الموضع تجد الباحثة أن الله تعالى يلقي اليأس في قلوب المؤمنين، ويقطع الأمل من إيمان كافة الفرق اليهودية بأنواعها، فعلماؤهم وأحبارهم يحرفون كتاب الله، وعوامهم يتلقون هذا المحرف وهذه الأوهام على الرحب والسعة، دون سابق معرفة لما في كتابهم. وأمة هذا شأن علمائها وعوامها، لا ينتظر منها معرفة طريق الحق، ولا أدلة الهداية.

فالْأَمَانِيّ جَمعٌ، واحدتها الْأُمْنِيَّةُ[٥]، ولها معانٍ مشتركة في أصل واحد، فـ (تَمَنَّى) الشيء و (مَنَّى) غيره (تَمْنِيَةً). و(تَمَنَّى) الكتاب قرأهُ. ويقال: هذا شيء رَوَيْتَهُ أم شيء تَمَنَّيْتَهُ. وفلان يتمنى الأحاديث أي يفتعلها، وهو مقلوب من (المَيْنِ) وهو الكذب[٦]، فالتمني هو ما يقدره الإنسان في نفسه سواء كان مطابقًا للواقع، أم لا، ولذلك يعد الكذب أحد أفراده[٧]. فينحصر المعنى اللغوي بين التمني، والكذب، والقراءة.

---

(١) ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج١، ص١٥٩.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: "﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ يعني بالتمني: التلاوة والقراءة". أخرجه الطبري في تفسيره ٦٦٨/١٨، وشيخ الطبري هنا مبهم لم يسمّ، فالإسناد ضعيف.

(٢) ينظر: القيسي، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج١، ص٣٢٠.

(٣) ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج١، ص١٥٩. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، باب الواو والياء من المعتل، فصل الميم، ج١٥، ص٢٩٥.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٣/١ رقم (٧٩٧)، وإسناده لا بأس به.

(٥) ينظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، **غريب الحديث**، تحقيق: عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ، بغداد، ج٢، ص٧٣.

(٦) ينظر: الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ، بيروت، باب م ن ا، ج١، ص٣٠٠.

(٧) ينظر: القونوي، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، ج٣، ص٤٤٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وعليه، يكون المعنى على الأول؛ يتمنون أمانيهم الباطلة، التي ذكرتها الآيات، بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة:١١١]، ففي هذه الآية بيان صريح للمعنى المراد من الأماني، لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾، بالإضافة إلى أن هذا المعنى لا ينفي وجود المعاني الأخرى في الآية الكريمة، والله أعلم.

ويكون المعنى على الثاني – الكذب - أنهم لا يعلمون الكتاب، لكن يعلمون أكاذيب لا أصل لها، وبدع لا مستند يسندها.

ويكون المعنى على الثالث – القراءة - أنهم لا يعلمون الكتاب، إلا بقدر ما يقرأون، "فالظاهر أنه متصل"[(١)]،كما قال السيالكوتي.

وإذا نظرت الباحثة إلى المعاني الثلاثة السابقة للأماني، اللغوية منها، والسياقية، تجدها تنطبق على اليهود، بل وحصلت منهم يقينًا، وما دامت تصدق عليهم، فجميعها مرادة في الآية الكريمة.

استنادًا على ذلك، فلا حاجة لترجيح أحد المعاني على غيرها. بل من الأولى الجمع بينها، لبيان جميع الأعمال البشعة التي ارتكبها اليهود في حق أنفسهم خاصة، وفي حق المسلمين عامة، وبيان جميع الأحوال التي وصفها القرآن العظيم معهم، ولهم.

أما ما تعقبه أبو السعود على البيضاوي في هذا الموضع، فكان يدور حول ذكر المعنى السياقي للآية، وربطه بالكتاب، بدلًا من ذكر المعاني اللغوية مطلقة دون تقييد؛ خاصة الأكاذيب، إلا أن الباحثة لم تجد ثمة إشكال بارز في ذلك؛ لأن البيضاوي ذكر المعاني اللغوية مطلقة، ثم قيدها بالمعنى السياقي فيما بعد، وإن لم يربط المعنى بالكتاب، فإنه والله أعلم أراده.

إلا أن دقة أبي السعود، وحِدّة نظره، وعمق فهمه للمعاني، وأسلوبه في ربط النظم الكريم، يقود الباحثة إلى ترجيح رأيه في هذا الموضع، والله تعالى أعلم.

---

(١) السيالكوتي، **حاشيته على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٣٨١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٨١) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾ [البقرة: ٨١].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي:"﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ ﴾ ملازموها في الآخرة، كما أنهم ملازمون أسبابها في الدنيا، ﴿ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ دائمون، **أو لابثون لبثًا طويلًا**"[١].

التعقب:

قال أبو السعود: **"**ولا حاجة إلى حمل الخلودِ على اللُّبْث الطويل **على أن فيه تهوينَ الخطب في مقام التهويل"**[٢].

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن معنى ﴿ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾، أي دائمون فيها، أو لابثون لبثًا طويلًا، بينما يرى أبو السعود أنه لا حاجة إلى حمل الخلود على اللبث الطويل في مقام التهويل.

التحقيق والدراسة:

اختلف العلماء في معنى ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، على أقوال:

الأول: أن ﴿ خَٰلِدُونَ ﴾ بمعنى مقيمون، لا يخرجون منها أبدًا. وهذا قول ابن عباس[٣]، والسدي[٤]، واختاره الطبري[٥]،والزمخشري[٦]، والنسفي[٧]، وأبو حيان[٨]، وابن عاشور[٩]، وأبو زهرة[١٠]، والقاسمي[١١]، والألوسي[١٢].

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٩٠.

(٢) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٢٢.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٨٦/٢ رقم (١٤٤٣) وابن أبي حاتم ٩٤/١ رقم (٤٣٩). وإسناده ضعيف فيه محمد بن أبي محمد الأنصاري. قال ابن حجر في التقريب ص٥٠٥: مجهول.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٨٦/٢ رقم (١٤٤٤).

(٥) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٢٨٦-٢٨٧. ينظر: ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص١٥٩.

(٦) الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٥٨.

(٧) ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص ١٠٤.

(٨) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٤٥١.

(٩) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥٨١.

(١٠) ينظر: أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي، ج١، ص٢٨٧.

(١١) ينظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ج٥، ص٨.

(١٢) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٣٠٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الثاني: أن المراد بالخلود هو المكث الطويل. وهو قول السمين الحلبي[١].

الثالث: أن المراد بالخلود هو أحد القولين السابقين بالتخيير بينهما، أي أنه بمعنى التأبيد، أو اللبث الطويل. وهو قول البيضاوي[٢].

الرابع: أن المراد بالخلود هو التأبيد في الكفار، وهو كذلك مستعار بمعنى طول المكث في العصاة. وهو قول الثعالبي، إلا أنه رجح الأول في نهاية كلامه[٣].

وقد نشأ الإشكال السابق بسبب اختلاف العلماء في معنى ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾، فالسيئة عند المفسرين على قولين؛ الأول: أن السيئة هي الشرك والكفر، وهذا قول مجاهد[٤]، وقتادة[٥]، والربيع[٦]، أما القول الثاني: أن السيئة هي الكبيرة التي تحيط بصاحبها، كما يحيط العدو، حتى يموت مصرًّا عليها، دون توبة، فجزاؤه نار جهنم خالدًا فيها، هذا قول الزمخشري[٧]، ومن هنا نشأ الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة من العلماء.

ومن خلال تتبع الباحثة لهذا الموضع، تجد أن الخلاف الواقع بين المفسرين هنا ناتج عن خلاف عقدي بين الفريقين، حيث احتجت المعتزلة بأن هذه الآية دليل على خلود صاحب الكبيرة في النار[٨]- إن فسّرت السيئة بالكبيرة كما ذكر الزمخشري - فقام أهل السنة من المفسرين بتأويل الخلود بالمكث الطويل، هروبًا من قول المعتزلة آنذاك، وهو الإشكال الذي وقع فيه البيضاوي. حيث أجمعت الأمة على تخليد من مات كافرًا في نار جهنم، أما عصاة أهل التوحيد لا يخلدون في النار[٩]، بدليل من الكتاب، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾

(١) ينظر: الحلبي، **الدر المصون**، ج١، ص٤٥٧.

(٢) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٩٠.

(٣) ينظر: الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ج١، ص٢٧٠.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٨١/٢ رقم (١٤٢٢) و (١٤٢٣)، ورواته ثقات.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢٧٩/١ رقم (٨٢) ومن طريقه الطبري ٢٨١/٢ رقم (١٤٢٥)، ورجاله ثقات. وأخرجه الطبري ٢٨١/٢ رقم (١٤٢٤) من طريق آخر عن قتادة، ورجاله ثقات كذلك.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٨٢/٢ رقم (١٤٢٨)، ورجاله ثقات.

(٧) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٥٨.

(٨) ينظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، **الملل والنحل**، مؤسسة الحلبي، ج١، ص٤٨.

(٩) ينظر: بواسطة: الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ج١، ص٢٧٠.هو قول محمد اللخمي في مختصره للطبري.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

[النساء: ٤٨]، ودليل من السنة النبوية، فقد روى مسلم في صحيحه[١] حديث شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام لمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان، بل ويتعدى حتى يبلغ من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة. فسبحان من وسعت رحمته كل شيء.

الترجيح:

بعد النظر في هذا الموضع، والخلاف القائم بين العلماء، يتبين للباحثة أن معنى السيئة هنا ليس على إطلاقه بل هو مقيد بالكفر والشرك، وعليه يتوجب الخلود الأبدي للكافر في نار جهنم، فالخلود في الآية بمعنى التأبيد، لا بمعنى المكث الطويل.

وتذكر الباحثة السبب الرئيس الذي يؤيد المعنى السابق، وهو ما ذكره أبو السعود، من أن المقام مقام تهويل، لا مقام تهوين، حتى يعد المكث الطويل أحد معانيه. وهذا هو الراجح عند الباحثة، لعدة أسباب:

أولًا: المعنى السياقي: أن قول الله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ﴾[٢] هو تكذيب من الله للقائلين من اليهود: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، وإخبار منه لهم، أنه معذب من أشرك، ومن كفر به، بتخليده المطلق في النار.

---

(١) حدثنا أبو الربيع العتكي، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا معبد بن هلال العنزي، وحدثناه سعيد بن منصور، واللفظ له، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا معبد بن هلال العنزي، قال: انطلقنا إلى أنس بن مالك، وتشفعنا بثابت فانتهينا إليه وهو يصلي الضحى، فاستأذن لنا ثابت، فدخلنا عليه وأجلس ثابتًا معه على سريره، فقال: له يا أبا حمزة، إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة، قال :حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض، فيأتون آدم فيقولون له: اشفع لذريتك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام، فإنه خليل الله، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى عليه السلام، فإنه كليم الله، فيؤتى موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى عليه السلام-[183]- ، فإنه روح الله وكلمته، فيؤتى عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم، فأوتى، فأقول: أنا لها، فأنطلق فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن، يلهمنيه الله، ثم أخر له ساجدًا، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل: يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: رب، أمتي أمتي، فيقال: انطلق، فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة، أو شعيرة من إيمان، فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل".

رواه مسلم في صحيحه (١٩٣) (٣٢٦) كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، وأبو عوانة في المسند المستخرج على صحيح مسلم (٤٨٢)، والنسائي في الكبرى (١١٠٦٦) في كتاب التفسير باب قوله تعالى إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وأبو يعلى في مسنده (٤٣٥٠)، والبيهقي في البعث والنشور (٥٠٦)، ورواها ابن خزيمة في التوحيد (٦٠٦).

ينظر: أبو عوانة، يعقوب بن إسحاق الأسفرائني، **مسند أبي عوانة (مستخرج أبي عوانة)**، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، ط١، دار المعرفة، ١٤١٩هـ، بيروت.

ينظر: النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، **السنن الكبرى**، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ، بيروت.

ينظر: أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، **مسنده**، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ، دمشق.

ينظر: البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، **البعث والنشور**، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ط١، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، ١٤٠٦هـ، بيروت.

ينظر: ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، **التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل**، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، ط٥، مكتبة الرشد، ١٤١٤هـ، السعودية.

(٢) بلى: إقرار في كل كلام في أوله جحد، وأصلها (بل) التي هي رجوع عن الجحد المحض، كما في قولك: (ما قام عمرو بل زيد). ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٢٨٠-٢٨١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثانيًا: إن قول البيضاوي ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي: دائمون، بالنظر إلى قرينتين في السياق؛ الأولى: وهو كونه في شأن الكفرة، والثانية: تسليم كون الخلود بمعنى الدوام في شأن الكفار لما عُرِف من معنى الإحاطة. أما قوله لابثون لبثًا طويلًا، فهو بالنظر إلى أصل وضع الخلود[١].[٢]

ثالثًا: يدل التقسيم الوارد في سياق الآيات على أن المعنى الدقيق للخلود هو الخلود الأبدي، فكما أن الكفر والشرك هما السبب الرئيس للخلود في النار، كذلك الإيمان والعمل الصالح هما السبب الرئيس للخلود في الجنة. وعليه يكون المراد بالخلود في الآيات حقيقته.

رابعًا: إن التعبير بـ ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ مشعر بالملازمة. "ويعني بأصحاب النار الذين هم أهلها حقيقة، لا من دخلها ثم خرج منها"[٣].

خامسًا: إن تقديم الجار والمجرور – المسند – على المتعلق - المسند إليه، في قوله تعالى: ﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ تخصيص، بمعنى: إثبات خلودهم في النار، ونفي خروجهم منها إلى غيرها.

سادسًا: وجود عدة مؤكدات في الآية؛ كالجملة الإسمية، وضمير الفصل ﴿هُمۡ﴾، يثبت تأكيد خلودهم في النار.

سابعًا: أن معنى قوله تعالى: ﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ ينقسم إلى قسمين: فالسيئة هي الشرك، والخطيئة هي الكبائر. وربما أراد البيضاوي دوام الخلود لمن كسب سيئة الشرك، وطول المكث لمن أحاطت به خطيئة الكبيرة، والله أعلم.

وعليه يندفع الإشكال الواقع بين العلماء؛ ذلك لثبات الأدلة القرآنية، والسنن الناطقة بخلود أهل الكفر في النار، أما عصاة أهل التوحيد فلا يخلدون فيها. والله تعالى أعلم.

---

(١) معنى خالدون لغة: "(خلد) الخاء واللام والدال أصل واحد يدل على الثبات والملازمة، فيقال: خلد: أقام، وأخلد أيضًا. ومنه جنة الخلد" ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، كتاب الخاء، باب الخاء واللام وما يثلثهما، ج٢، ص٢٠٧. ووافقه الأزهري، فقال: "خلد: قال الليث: الخلود: البقاء في دار لا يخرج منها، والفعل: خلد يخلد. قال: وأهل الجنة خالدون مخلدون آخر الأبد، وأخلد الله أهل الجنة إخلادًا، والخلد: اسم من أسماء الجنان". أبو منصور الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م، بيروت، كتاب الثلاثي الصحيح من حرف الخاء، أبواب الخاء والقاف، ج٧، ص١٢٤.

(٢) ينظر: السيالكوتي، **حاشيته على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٣٨٦.

(٣) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٤٥١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثالث

التعقبات من الآية (٨٤) إلى الآية (١٠٢) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (٨٤) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [البقرة: ٨٤].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: **"وقيل**: معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم، وإخراجكم من دياركم، أو لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الأبدية، **فإنه القتل في الحقيقة، ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم، فإنه الجلاء الحقيقي"**(١).

التعقب:

قال أبو السعود: "وأمَّا ما قيل من أنَّ المعنى لا تباشروا ما يؤديّ إلى قتل أنفسِكم قِصاصًا، أو ما يبيح سفكَ دمائِكم وإخراجَكم من دياركم، أو لا تفعلُوا ما يُرديكم ويصرِفُكم عن الحياة الأبدية، فإنه القتلُ في الحقيقة، ولا تقترفوا ما تُحْرَمون به عن الجنة، التي هي دارُكم فإنه الجلاءُ الحقيقيُّ، **فممَّا لا يساعده سياقُ النظمِ الكريم"**(٢).

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن ما قيل من عدم ارتكاب اليهود مايبيح سفك دمائهم، وإخراجهم من ديارهم، وعدم فعل ما يصرفهم عن الحياة الأبدية؛ وهو القتل، وعدم اقتراف ما يمنعهم عن الجنة التي هي دارهم، هو معنى آخر محتمل، وإن نقله بصيغة التضعيف، بينما يرى أبو السعود أن هذا المعنى لا يساعده سياق النظم الكريم.

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٩١.

(٢) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٢٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التحقيق والدراسة:

اختلف العلماء في معنى ﴿ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ ﴾ على أقوال:

الأول: أن المعنى محمول على حقيقته، أي منعهم حقيقة من قتل أنفسهم[١]. فهم يقدرون على قتلها للتخلص من عالم الفساد، واللحاق بعالم النور والصلاح، بحسب اعتقادهم[٢].

الثاني: أن المعنى محمول على المجاز؛ أي لا يقتل بعضكم بعضًا بغير حق، جعل غير الرجل نفسه، إذا اتصل به أصلًا أو دينًا[٣]، وهو قول ابن عباس[٤]، وقتادة[٥]، وأبي العالية[٦]، والسدي[٧].

الثالث: ألا يَقتُل غيره، فيُقتل قصاصًا، فيكون بذلك قاتلًا نفسه[٨].

الرابع: ألا يقتلوا أنفسهم بارتكابهم ما يوجب ذلك؛ كالارتداد عن الدين، والزنى بعد الإحصان[٩].

الخامس: ألا يتعرضوا لمقاتلة من يقتلهم، فيكونوا بذلك قد قتلتوا أنفسهم[١٠].

كما اختلف العلماء أيضًا في معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ﴾ على أقوال:

الأول: ألا يخرج بعضكم بعضًا من داره[١١]. وهو قول قتادة[١٢]، وأبي العالية[١٣].

---

(١) ينظر: الجشمي، أبو سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي، **التهذيب في التفسير**، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان السالمي، ط١، دار الكتاب المصري، ١٤٣٩هـ، القاهرة، ج١، ص٤٦٩.

(٢) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٣٩١.

(٣) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٣٠١. ينظر: ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص١٦٣. ينظر: السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، **بحر العلوم**، ج١، ص٧٠. ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٦٠. ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص١٠٦. ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص١٧٣. ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج١، ص٨٥. ينظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، **فتح القدير**، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ج١، ص١٢٨. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٣٩١. ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥٨٦.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٠٢/٢ رقم (١٤٦٩) وفي إسناده محمد بن أبي محمد، وهو مجهول كما قال ابن حجر في تقريب التهذيب ص٥٠٥.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٠٠/٢ و٣٠١ رقم (١٤٦٤) و (١٤٦٦)، ورواته ثقات.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٠١/٢ رقم (١٤٦٥) وابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٢/١ رقم (٨٥١) وإسناده جيد.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٠٦/٢ رقم (١٤٧٢) وابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٣/١ رقم (٨٥٢) وإسناده جيد.

(٨) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٣٠١. ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٦٠. ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص١٠٦. ينظر: الأصفهاني، **تفسير الراغب الأصفهاني**، ج١، ص٢٤٩. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٣٩١.

(٩) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٤٦٥.

(١٠) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٣٩١.

(١١) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٣٠١. ينظر: ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص١٦٣. ينظر: السمرقندي، **بحر العلوم**، ج١، ص٧٠. ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٦٠. ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص١٠٦. ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص١٧٣. ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج١، ص٨٥. ينظر: الشوكاني، **فتح القدير**، ج١، ص١٢٨. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٣٩١. ينظر: البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج١، ص١٣٩. ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥٨٦.

(١٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٠٠/٢ و٣٠١ رقم (١٤٦٤) و (١٤٦٦)، ورواته ثقات.

(١٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٠١/٢ رقم (١٤٦٥) وابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٣/١ رقم (٨٥٣) وإسناده جيد.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الثاني: ألا يسيئوا جوار من جاورهم، فيلجئونهم إلى الخروج من ديارهم[١].

الثالث: ألا يفعلوا ما يخرجون به أنفسهم من الجنة التي هي دارهم[٢].

الرابع: ألا يفعلوا ما يستحقون بسببه أن يخرجوا من ديارهم[٣]، كأنه يشير إلى تغريب الجاني[٤].

الخامس: ألا يفسدوا ويشاقوا الأنبياء والمؤمنين، فيكتب عليهم الجلاء[٥].

أخذ الله ميثاقًا من بني إسرائيل بأن يقبلوا التوراة بأحكامها، فجاء التكليف في هذه الآية بصيغة الإخبار، ومعناه النفي، وهو أبلغ من النهي المباشر، ذلك للإشعار بأنه قانون يستوجب الامتثال الفوري به، وعلى الرغم من اختلاف الأقوال السابقة، إلا أنها تعد صحيحة باعتبار المعنى إذا نظرت الباحثة إليها منفردة، أما إذا نظرت إلى سياق الآيات، فهناك ثمة اعتبارات لابد من الأخذ بها، لتحري الدقة في اختيار المعنى الأرجح. **الترجيح:**

بعد النظر في هذا الموضع، والخلاف القائم بين العلماء، يتبين للباحثة أن السياق هو الحكم بين الأقوال المختلف فيها، كما رجح أبو السعود، حيث قال عن معنى النهي في الآية: " النهي الشديد عن تعرض بعض بنى إسرئيل لبعض بالقتل والإجلاء .....وإنما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين، بناء على تنزيل أنفسهم منزلتهم، لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع"[٦]، وهو أحد آراء البيضاوي[٧]، الذي ذكره في مقدمة كلامه، ثم ذكر رأيًا آخر بصيغة التضعيف. وعليه فإن الرأي الراجح عند الباحثة هو رأي أبي السعود، وذلك لعدة أسباب:

- أولًا: أن في ظاهر قوله تعالى: ﴿ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ ﴾ إشكال؛ وهو أن الإنسان بفطرته السليمة لا يقدم على قتل نفسه إلا إذا اختل فيه جانب ما، عندها يؤخذ حكم الآية على ظاهره، ذلك لا يكون عامًّا، بل في حالات خاصة.

أما الميثاق الذي أخذه الله تعالى على بني إسرائيل، فلا يُبنى على الحالات الخاصة النادرة، بل على الأساس الغالب العام، الذي ينتظم فيه غالبية الطبيعة البشرية، فالتكليف الرباني لا يكون

(١) ينظر: البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج١، ص١٣٩. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٤٦٦.
(٢) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٤٦٦. ينظر: الأصفهاني، **تفسير الراغب الأصفهاني**، ج١، ص٢٤٩.
(٣) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٣٩١.
(٤) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٤٦٦.
(٥) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٤٦٦.
(٦) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٢٤.
(٧) تعقب أبو السعود الرأي الثاني للبيضاوي المنقول بصيغة التضعيف. ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٩١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إلا ضمن الطاقات الممنوحة للبشر، والملائمة لفطرتهم التي فطرهم الله عليها، فلا فائدة إذًا من نهي المشرع عن أمر فطري.

- ثانيًا: أن هذا التعبير بهذه الكيفية مستخدم في القرآن الكريم في عدة مواضع، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨]. كذلك في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ [النور: ٦١]. فليس من المعقول أن يأكل الإنسان ماله بالباطل، وليس من المعقول أن يسلم على نفسه عند دخول البيوت، كذلك ليس المراد النهي عن أن يسفك المرء دم نفسه، أو أن يخرج نفسه أو ينفي نفسه من داره، إلا أن فائدة هذا التعبير هو الإشعار بأن الرابط الذي يربط الأمة هو رابط الدين والنسب، فجعل قتل المرء لغيره قتلًا لنفسه، وإخراجه له من داره هو إخراج لنفسه، لشدة الترابط.

- ثالثًا: أما ما قيل من أن المعنى لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم، وإخراجكم من دياركم، أو لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الأبدية، فإنه القتل في الحقيقة، ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم، فإنه الجلاء الحقيقي، فهو ضعيف؛ لأنه نُقل بصيغة التضعيف بداية، ثم لأنه ينص على أحكام القصاص -على هذا المعنى- وسياق الآيات بعيد كل البعد عن هذه الأحكام، فهو يتحدث عن سقطات بني إسرائيل، ونقضهم للمواثيق التي أخذها الله عليهم، الواحد تلو الآخر، فاستأهلوا بذلك غضب الله، وضربت عليهم الذلة والمسكنة، وباءوا بغضب من الله، وعليه فقد بات السلف عبرة للخلف.

- رابعًا: أن السياق هو الدليل الذي يصدر الحكم في الآيات؛ قال تعالى: ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ ﴾ بعد قوله: ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾؛ وبذلك يفسر القرآن بالقرآن.

- خامسًا: أن يحمل المعنى على المجاز؛ أي لا يقتل بعضكم بعضًا بغير حق، فجعل غير الرجل نفسه، إذا اتصل به أصلًا أو دينًا، كما ذكرت الباحثة بعض روايات الصحابة والتابعين فيما سبق، وهذا يقوي رأي أبي السعود. والله تعالى أعلم.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٩٠) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ [البقرة: ٩٠].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ (ما) نكرة بمعنى شيء، مميزة لفاعل بئس المستكن، واشتروا صفته، ومعناه باعوا، **أو اشتروا بحسب ظنهم**، فإنهم ظنوا أنهم خلصوا أنفسهم من العقاب بما فعلوا"(١).

التعقب:

قال أبو السعود: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ (ما) نكرة بمعنى شيء منصوبة مفسرة لفاعل بئس، واشتروا صفته، أي بئس شيئًا باعُوا به أنفسَهم، وقيل اشترَوْها به في زعمهم، حيث يعتقدون أنهم بما فعلوا خلّصوها من العقاب، **ويأباه** أنه لا بد أن يكون المذمومُ ما كان حاصلًا لهم، لا ما كان زائلًا عنهم"(٢).

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن معنى ﴿ٱشْتَرَوْا۟﴾ بحسب ظن اليهود؛ أنهم اشتروا أنفسهم، وخلصوها من العقاب بما فعلوا، بينما يرى أبو السعود أنه لا بد أن يكون المذمومُ ما كان حاصلًا لهم، لا ما كان زائلًا عنهم.

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٩٣.
(٢) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٢٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التحقيق والدراسة:

اختلف العلماء في معنى ﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ ﴾ على أقوال:

الأول: أن معنى ﴿ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ ﴾ باعوا أنفسهم، وهو قول السدي[١]، ووافقه الماوردي[٢]، والثعلبي[٣]، والأصفهاني[٤]، والزمخشري[٥]، وابن عطية[٦]، وابن الجوزي[٧]، والنسفي[٨]، والقرطبي[٩]، والخازن[١٠]، وأبو حيان[١١]، والطيبي[١٢].

الثاني: أن معنى ﴿ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ ﴾ ساء ما اشتروا به أنفسهم، وهو قول مجاهد[١٣]، ووافقه الطبري[١٤]، والزجاج[١٥]، وابن عاشور[١٦].

الثالث: أن المراد بـ ﴿ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ ﴾ باعوا أنفسهم بكفرهم، أو أن المكلف إذا خاف على نفسه من عقاب الله، يأتي بأعمال يظن أنها تخلصه من العقاب، وتوصله للثواب، فكأنه قد اشترى نفسه بتلك الأعمال، فذمهم الله على ذلك[١٧]. والأخير هو الأصح عند الرازي[١٨]. وكذلك ذكره السيوطي في حاشيته إلى جانب رأي أبي حيان، ولم يرجح بينهما[١٩].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٣٤٠/٢ رقم (١٥٣٤) وابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٢/١ رقم (٩٠٨) وإسناده لا بأس به.
(٢) ينظر: الماوردي، **النكت والعيون**، ج١، ص١٥٨.
(٣) ينظر: الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ج١، ص ٢٣٥.
(٤) ينظر: الأصفهاني، **تفسير الراغب الأصفهاني**، ج١، ص٢٥٩.
(٥) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٦٥.
(٦) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص١٧٨.
(٧) ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج١، ص٨٧.
(٨) ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص١٠٩.
(٩) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢، ص٢٨.
(١٠) ينظر: الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج١، ص٦٠.
(١١) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٤٨٩.
(١٢) ذكر الطيبي والسيالكوتي أن﴿ٱشۡتَرَوۡاْ﴾ على الاستعارة، لأن أنفسهم لا تُشترى بل تُباع. ينظر: الطيبي، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب**، ج٢، ص٥٧٦. ينظر: السيالكوتي، **حاشيته على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٣٩٧.
(١٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٤٠/٢ رقم (١٥٣٥) وابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٢/١ رقم (٩٠٩) ورجاله ثقات.
(١٤) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٣٣٨.
(١٥) ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج١، ص١٧٢.
(١٦) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٦٠٥.
(١٧) ينظر: زادة، **حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٣٥٠.
(١٨) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٦٠١.
(١٩) ينظر: السيوطي، **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار**، ج٢، ص٢٨٢-٢٨٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

نظر العلماء إلى هذا الموضع من جانبين اثنين:

الجانب الأول: نظروا إلى الفرق بين معنى (شرى) و (اشترى)؛ فهما كلمتان متقاربتان، أصلهما واحد، وبينهما اتحاد في الجذر اللغوي، لذلك ساوى ابن فارس وابن منظور بين الصيغتين، فذكر ابن فارس أن الشين والراء والحرف المعتل أصول ثلاثة - تذكر الباحثة ما يناسب الدراسة - وهو الأصل الأول، قوله: "شريت الشيء واشتريته، إذا أخذته من صاحبه بثمنه. وربما قالوا: شريت: إذا بعت. قال الله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠]"(١). بمعنى أنه لا فرق بينهما في المعنى من حيث اللغة.

وأضاف ابن منظور قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾، ناقلًا قول أبي إسحاق الزجاج(٢): "ليس هنا شراء ولا بيع، ولكن رغبتهم فيه بتمسكهم به كرغبة المشتري بماله ما يرغب فيه، والعرب تقول لكل من ترك شيئا وتمسك بغيره: قد اشتراه"(٣).

وكذلك ذكر الراغب الأصفهاني، أن البيع والشراء يتلازمان "إذا كانت المبايعة والْمُشَارَاةُ بناضّ(٤) وسلعة، فأمّا إذا كانت بيع سلعة بسلعة، صحّ أن يتصور كلّ واحد منهما مُشْتَرِيًا وبائعا"(٥)، ومن هذا الوجه صار لفظ البيع والشّراء يستعمل كلّ واحد منهما في موضع الآخر.

أما من جهة الاستعمال القرآني، فقد غاير القرآن بين دلالتي (شرى) و(اشترى)، وتبيَن للباحثة أنهما من الألفاظ المتضادة، حيث جاء كل منهما على الأغلب بمعنى يقابل المعنى الآخر، دون ترادف بينهما، فورد فعل (شرى) في الآيات(٦) بمعنى باع، أما (اشترى) جاءت في

---

(١) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، كتاب الشين، باب الشين والراء وما يثلثهما، ج٣، ص٢٦٦.

(٢) ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج١، ص٩٢.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، باب الواو والياء من المعتل، فصل الشين المعجمة، ج١٤، ص٤٢٧.

(٤) والنض: الدرهم، والناض من المتاع: ما تحول ورقا أو عينا، وهو اسم الدراهم والدنانير عند أهل الحجاز. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، باب الضاد المعجمة، فصل النون، ج٧، ص٢٣٧.

(٥) الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، كتاب الشين، ج١، ص٤٥٣.

(٦) ورد فعل (شرى) أربع مرات في القرآن الكريم، وكلها بمعنى باع، كقوله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ [يوسف:٢٠]. وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [البقرة:٢٠٧]. وقوله تعالى: ﴿ * فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ ﴾ [النساء:٧٤]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة:١٠٢]، ودخلت الباء على المشتَرَى المطلوب، لا على المبيع المتروك.

ينظر: بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، **الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق**، ط٣، دار المعارف، ج١، ص٤٩٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الآيات[١] بمعنى أخذ السلعة مقابل الثمن المدفوع.

الجانب الثاني: نظر العلماء إلى الباء المتصلة بالضمير (به)، فإذا دخلت على المباع المتروك دون المأخوذ، جاء الفعل (اشترى) على المعنى المعهود، أما إذا دخلت الباء على المأخوذ دون المتروك سميت باء البدل وجاء الفعل (شرى) بمعنى باع، وكانت خلافًا لما قرّر في كتب اللغة من أن الباء تدخل على المتروك.

الترجيح:

بعد النظر في هذا الموضع، تجد الباحثة أن فعل ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ﴾ بمعنى أخذ السلعة مقابل الثمن المدفوع كما بُيّن ذلك في الآيات الواردة سابقًا، إلا أن المعنى السياقي هو الذي يُقر هذا المعنى أو غيره بقرينة دالة، وقد ذكر أبو السعود سبب ترجيح معنى البيع على معنى الشراء في هذه الآية تحديدًا، ذلك لأنه لا بد أن يكون المذمومُ ما كان حاصلًا لهم، لا ما كان زائلًا عنهم، وهو الراجح عند الباحثة أيضًا، للأسباب الآتية:

أولًا: قال أبو جعفر: "وكلام العرب - فيما بلغنا - أن يقولوا: (شريت) بمعنى: بعت، و(اشتريت) بمعنى: ابتعت"[٢]، إلا أن أصحاب المعاجم ذهبوا إلى عدم التفريق بينهما في الاستعمال اللغوي، وفي ذلك تلبيس في اللغة، يحسن التخلص منه بترجيح ما رجح في الاستعمال الفصيح، استنادًا إلى ما جاء من شواهد في الذكر الحكيم، وإلى القاعدة اللغوية التي تبين أن الزيادة في المبنى، تدل على الزيادة في المعنى على الأغلب.

ثانيًا: عندما رفض اليهود الإيمان برسول الله عليه السلام، وطردهم الله من رحمته، بيّن أنهم ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾، وكلمة اشترى - سبق الحديث عنها – أنها من المعتاد أن يُدفع الثمن مقابل السلعة المطلوبة، ولكن الكافرين - في هذه الآية - قلبوا هذا رأسا على عقب، وجعلوا الثمن سلعة، وعليه فقد انقلب معنى ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ﴾ من الشراء إلى البيع.

---

(١) ورد فعل (اشترى) إحدى وعشرين مرة بالمعنى المعروف للفعل، منها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ [يوسف:٢١]. ومنها قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة:١١١]. ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [آل عمران:١٧٧]، ودخلت الباء على المبيع المتروك. ينظر: بنت الشاطئ، **الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق**، ج١، ص٤٩٤.

(٢) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٣٤١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثالثًا: ذكر البيضاوي أن معنى اشتروا بحسب ظنهم، أنهم ظنوا بأنهم خلصوا أنفسهم من العقاب بما فعلوا، وهذا معنى بعيد، يرده سياق الآية السابق، لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٨٩]، أي: فلما جاءهم محمد عليه السلام، كفروا به حسدًا، وبغيًا، وطمعًا في الرئاسة، فهم يعرفون الحق، ويستبدلونه بالباطل عنادًا عن قصد، واستكبارًا عن علم، فكيف ينتابهم الظن بعد وصفهم بالمعرفة؟

رابعًا: ذكر جمهور المفسرين أن معنى ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ﴾ في هذه الآية هو باعوا؛ لأن من المعروف أن تدخل الباء على الأثمان، وقد دخلت هنا على الأنفس، فالأنفس هنا مبيعة، والكفر مشترى، فظاهر المعنى أنهم باعوا أنفسهم واشتروا الكفر بدلها[١].

خامسًا: وجود كلمة ﴿بَغۡيًا﴾ في سياق الآية يبطل ظنهم المذكور، فقد باعوا أنفسهم على سبيل الحسد والبغي، فهي قرينة ظاهرة تقوي الرأي المختار، والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: التعقب في الآية (١٠٢) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢﴾ [البقرة: ١٠٢].

(١) ينظر: القونوي، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، ج٤، ص٢٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "وقيل: ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ **نفي** معطوف على ﴿وَمَا كَفَرَ﴾ سليمان تكذيب لليهود في هذه القصة.... ومن جعل ما نافية، أبدلهما من الشياطين بدل البعض، وما بينهما اعتراض. وقرئ بالرفع على (هما) ﴿هَٰرُوتَ وَمَرُوتَۚ﴾. ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ﴾ فمعناه على الأول، .... وعلى الثاني **ما يعلمانه حتى يقولا إنما نحن مفتونان فلا تكن مثلنا**"[١].

التعقب:

قال أبو السعود: "وأما ما قيل من أن (ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ الخ، نافيةٌ والجملةُ معطوفةٌ على قولِه تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾، جيء بها لتكذيب اليهودِ في القصة، أي لم يُنزَّل على الملكين إباحةُ السحر، وأن هاروتَ وماروتَ بدلٌ من الشياطين، على أنهما قبيلتان من الجن خُصتا بالذكر لأصالتهما، وكونِ باقي الشياطينِ أتباعًا لهما، وأن المعنى ما يعلّمان أحدًا حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر، فتكونَ مثلَنا، **فيأباه أن مقام وصف الشيطان بالكفر وإضلال الناس، مما لا يلائمه وصفُ رؤسائهم** بما ذكر من النهي عن الكفر، مع ما فيه من الإخلال بنظام الكلامِ، فإن الإبدالَ في حُكم تنحيةِ المبدَل منه"[٢].

تحرير محل النزاع:

ذكر البيضاوي - بصيغة التضعيف – أن ﴿ مَا ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾، نافية – لمن قال بذلك – والآية معطوفة على قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ﴾، وعليه يكون المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ﴾ – على اعتبار أن هاروت وماروت بدلًا من الشياطين - هو: ولا يعلمان أحدًا حتى

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٩٨.
(٢) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٣٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ينصحاه، ويقولا له إنما نحن فتنة فلا تكفر. أما على اعتبار أنهما مرفوعان، فيكون المعنى: ما يعلمانه حتى يقولا له إنما نحن مفتونان فلا تكن مثلنا. بينما يرى أبو السعود أن هذا المعنى لا يناسب مقام وصف الشيطان بالكفر وإضلال الناس، مما لا يلائمه وصفُ رؤسائهم بما ذكر من النهي عن الكفر، مع ما فيه من الإخلال بنظام الكلامِ، فإن الإبدالَ في حُكم تنحيةِ المبدَل منه.

التحقيق والدراسة:

اختلف العلماء في معنى ﴿ مَا ﴾ من قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾ على أقوال:

أولًا: أن معنى ﴿ مَا ﴾ هو الجحد، وهي بمعنى (لم)، معطوفة على ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ ﴾، وعليه يؤول المعنى إلى أن الله لم ينزل السحر على الملكين، وهو قول ابن عباس[١]، والربيع بن أنس[٢]، وابن عادل[٣]، والقاسمي[٤]والقرطبي[٥]. أو أن يكون المعنى: ما أنزل الله على جبريل وميكائيل[٦] السحر، وهو قول الربيع بن أنس[٧].

ثانيًا: أن ﴿ مَا ﴾ موصولة، بمعنى: (الذي)، معطوفة على ﴿ ٱلسِّحْرَ ﴾ أو على ﴿ مَا تَتْلُواْ ﴾، وهو قول قتادة، والزهري[٨]، والطبري[٩]، وابن أبي زَمَنِين[١٠]، ومكي بن أبي طالب[١١]

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٤١٩/٢ رقم (١٦٧٠) بإسناده المشهور حدثني محمد بن سعد حدثني أبي .... وهو مسلسل بالضعفاء.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٤١٩/٢ رقم (١٦٧١) وفي إسناده أبو جعفر الرازي عيسى بن أبي عيسى عبد الله بن ماهان. قال ابن حجر في تقريب التهذيب ص٦٢٩: صدوق سيء الحفظ خصوصًا عن مغيرة.

(٣) ينظر: ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج٢، ص٣٣٨.

(٤) ينظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ج١، ص٣٦٥.

(٥) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢، ص٥٠.

(٦) ذكر أن سحرة اليهود كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود، فأكذبها الله بذلك، وأخبر نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط، وبرأ سليمان مما نحلوه من السحر، فأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين، وأن هاروت وماروت رجلان يعلمان الناس السحر ببابل. ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٤٢٠.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ٤١٩/٢ رقم (١٦٧١) وفي إسناده أبو جعفر الرازي عيسى بن أبي عيسى عبد الله بن ماهان. قال ابن حجر في تقريب التهذيب ص٦٢٩: صدوق سيء الحفظ خصوصًا عن مغيرة.

(٨) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٥٣/١ ومن طريقه الطبري ٤٢٠/٢ رقم (١٦٧٢) قال معمر وقال قتادة والزهري عن عبيد الله بن عبد الله وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور ٢٤٣/١ لعبد بن حميد وابن المنذر، ورجاله ثقات.

(٩) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٤٢٤.

(١٠) ينظر: ابن أبي زَمَنِين، محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، ط١، الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ، مصر، ج١، ص١٦٥.

(١١) ينظر: القيسي، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج١، ص٣٧٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والسمعاني[١]، والزمخشري[٢]، وابن هشام[٣]، وابن عطية[٤]، والراغب الأصفهاني[٥]وابن الجوزي[٦]، والرازي[٧]، وأبي حيان[٨]، وابن عاشور[٩]، وعليه يكون المعنى: يعلمون الناس السحر، ويعلمون الناس الذي[١٠] أنزل على الملكين ببابل، من التفريق بين المرء وزوجه[١١].

ثالثًا: جائز أن تكون ﴿ مَا ﴾ بمعنى (لم)، وجائز أن تكون بمعنى (الذي)، وهو قول القاسم بن محمد[١٢]. لكن ترى الباحثة أنه ليس من الصحيح أن يجمع أحدهم بين النفي وعدمه -الاسم الموصول- لما فيه من تناقض ظاهر في المعنى الجزئي للآية، وخلل واضح في السياق الكلي لها.

نظر العلماء في هذا الموضع إلى جانبين:

جانب المعنى: فإن تقدير قول من جعل ﴿ مَا ﴾ للنفي، هو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير، وعليه يكون الترتيب: واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان، وما كفر سليمان، وما أنزل على الملكين[١٣]، ولكن الشياطين - هاروت وماروت - كفروا يعلمان الناس السحر ببابل[١٤].

---

(١) ينظر: السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغيره، ط١، دار الوطن، ١٤١٨هـ، السعودية، ج١، ص١١٦.

(٢) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٧٢.

(٣) "والأرجح في ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ أنها موصولة". ابن هشام، **مغني اللبيب**، ج١، ص٤١٥.

(٤) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص١٨٦.

(٥) ينظر: الأصفهاني، **تفسير الراغب الأصفهاني**، ج١، ص٢٧٨.

(٦) ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج١، ص٩٤.

(٧) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٦٣٠.

(٨) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٥٢٧.

(٩) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٦٣٠.

(١٠)﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾: الظاهر من العطف، أن ما أنزل عليهما هو غير السحر، ضم إليه؛ لأنه من جنسه في كون تعليمه سيئة مذمومة، أو هو لتغاير الاعتبار أو النوع. ينظر: رضا، محمد رشيد بن علي، **تفسير المنار**، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٠م، ج١، ص٣٣٢.

(١١) يكون تأويل الآية: "واتبعوا السحر الذي تتلو الشياطين في ملك سليمان، والتفريق الذي بين المرء وزوجه الذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت". الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٤٢١.

(١٢) سأل رجل التابعي القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي – أحد رواة الحديث النبوي، وأحد فقهاء المدينة السبعة من التابعين - عن قول الله: "﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ فقال الرجل: يعلمان الناس ما أنزل عليهما، أم يعلمان الناس ما لم ينزل عليهما؟ قال القاسم: ما أبالي أيتهما كانت". أخرجه الطبري في تفسيره ٤٢٣/٢ رقم (١٦٧٨) ورجاله ثقات.

(١٣) يكون معنيًا بـ ﴿ ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾: جبريل وميكائيل، لأن سحرة اليهود - فيما ذكر- كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود، فأكذبها الله بذلك، وأخبر النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط، وبرأ سليمان مما نحلوه من السحر، فأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين. ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٤٢٠.

(١٤) ينظر: القيسي، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج١، ص٣٧١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

جانب اللغة: إن من قال بأن ﴿ مَا ﴾ للنفي، يترتب عليه أن يكون هاروت وماروت بدلًا من الشياطين؛ إما بدل بعض من كل، ونص عليهما بالذكر لتمردهما، ولكونهما رأسًا في التعليم، أو بدل كل من كل، إما بناء على أن الجمع يطلق على الاثنين، أو على أنهما عبارة عن قبيلتين من الشياطين، لم يكن غيرهما بهذه الصفة[1]. فإذا جعلا بدلًا من الشياطين، أصبحا جزءًا منهم، أو هم الشياطين أنفسهم، فيجاء به على نية طرح المبدل منه وإحلال البدل محله، فلا يؤثر على بناء الجملة إذا ما حذف.

يترتب على هذا الكلام استفهام ما، وهو هل يقوم الشياطين الكفرة بتقديم النصح، والنذير من الكفر للناس؟ وهل يتناسب هذا المقام وقول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾؟

الترجيح:

بعد النظر في هذا الموضع تجد الباحثة أن معنى: ﴿ مَا ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ هو (الذي) كما ذكر جمهور العلماء، وعلى رأسهم البيضاوي وأبو السعود، ولا سبيل للقول بأنها نافية، كما بيّن أبو السعود، وهو الراجح عند الباحثة، للأسباب الآتية:

أولًا: على اعتبار من قال إن جبريل وميكائيل هما الملَكان، وإن هاروت وماروت بدل من الشياطين، فكيف يصف القرآن الشياطين بأنهم السبب في إضلال الناس في كافة المواطن، ويصفُ رؤساءهم بالنهي عن الكفر في هذا الموطن؟ فهو احتمال مرفوض، لتناقض المعنى.

ثانيًا: أما على اعتبار من قال إن هاروت وماروت هما الملَكان، ونفى نزول السحر عليهما، فمن المتعلَّم منه ما يفرق به بين المرء وزوجه؟ ومن المقصود بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾؟ بلا شك أن هذا الاحتمال مرفوض أيضًا؛ لإخلاله في معنى الآية.

(١) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٣٤١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثالثًا: عدم قبول المعنى الذي ذكره البيضاوي - في حال كون (ما) نافية، ورفع هاروت وماروت – وهو: "ما يعلمانه حتى يقولا إنما نحن مفتونان فلا تكن مثلنا"[١].وهذا الوصف غير لائق بشأن الملَكين، لأنهما لم يكفرا، بل كانا يعلمان الناس ذلك، حتى لَا يضلوا بالسحر، ويبينان لهم أنه فتنة، يُختبَرون به، وينصحانهم بعدم الأخذ به لأنه كفر، فيعلمان الناس طرق الوقاية منه، ولا يمكن أن تُعرف طرق الوقاية إلا بمعرفة طريقة التأثير، ليكون ذلك تنبيهًا لهم، ومحافظةً على اعتقادهم، وإنذارًا لهم من الوقوع في الكفر والضلال[٢].

إذًا يتبيَن مما سبق ضعف[٣] القول بوجه النفي في ﴿ مَا ﴾، وعليه فإن القول الراجح عند البيضاوي[٤]، وعند أبي السعود، وكذلك عند الباحثة - أن معنى ﴿ مَا ﴾ هو (الذي)، وأن "هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما"[٥]، بدليل فتح أواخرهما، فهما مجروران، ممنوعان من الصرف من جهة اللغة. وكذلك من جهة المعنى؛ فإن التناسب الواقع بين المعنى والمقام دليل على صحة هذا القول.

وعندما يقال إن هذين الملَكين يحذران الناس من السحر، ويقولان إنه فتنة تقود صاحبها إلى الكفر والضلال، يكون كلامًا معقولًا، لأن من شأن الملائكة تقديم النصح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. والله تعالى أعلم.

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٩٨.

(٢) ينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج١، ص٣٤٢.

(٣) "وقد ضعفوه بأن الثابت في الواقع أن بني إسرائيل كانوا يعلمون الناس السحر، وما أنزل على الملكين". رضا، **تفسير المنار**، ج١، ص٣٣٣.

(٤) "﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ ﴾ عطف على السحر، والمراد بهما واحد، والعطف لتغاير الاعتبار، أو المراد به نوع أقوى منه، أو على ﴿ مَا تَتْلُواْ ﴾. وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر، ابتلاء من الله للناس، وتمييزًا بينه وبين المعجزة". البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٩٧.

(٥) الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٧٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصل الثالث

تعقبات أبي السعود على أقوال البيضاوي التفسيرية من الآية (١٠٥) إلى نهاية سورة البقرة

المبحث الأول: التعقبات من الآية (١٠٥) إلى الآية(١٢٠) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (١٠٥) من سورة البقرة

المطلب الثاني: التعقب في الآية (١١٩) من سورة البقرة

المطلب الثالث: التعقب في الآية (١٢٠) من سورة البقرة

المبحث الثاني: التعقبات من الآية(١٢٤) إلى الآية(١٣٧) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (١٢٤) من سورة البقرة

المطلب الثاني: التعقب في الآية (١٣٤) من سورة البقرة

المطلب الثالث: التعقب في الآية (١٣٧) من سورة البقرة

المبحث الثالث: التعقبات من الآية (٢٤٩) إلى نهاية سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (٢٤٩) من سورة البقرة

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٢٥٩) من سورة البقرة

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٢٦٢) من سورة البقرة

المطلب الرابع: التعقب في الآية (٢٨٥) من سورة البقرة

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

التعقبات من الآية (١٠٥) إلى الآية (١٢٠) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (١٠٥) من سورة البقرة

قال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾ [البقرة: ١٠٥].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "وفسر الخير بالوحي. والمعنى أنهم يحسدونكم به، وما يحبون أن ينزل عليكم شيء منه، **وبالعلم وبالنصرة، ولعل المراد به ما يعم ذلك**"(١).

التعقب:

قال أبو السعود: "والخيرُ الوحيُ. وحملُه على ما يعمُّه وغيرَهُ من العلم والنُّصرة كما قيل، **يأباه وصفُه فيما سيأتي بالاختصاص، وتقديم الظرف** عليه مع أنَّ حقَّهُ التأخيرُ عنه، لإظهار كمال العنايةِ به لأنه المدارُ لعدم ودِّهم"(٢).

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن معنى ﴿خَيۡرٖ﴾ في الآية يعم كلًا من الوحي، والعلم، والنصرة، بينما يرى أبو السعود أن حمله على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة، يأباه وصفه بالاختصاص في سياق الآية اللاحق.

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص٩٩.

(٢) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٤٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التحقيق والدراسة:

اختلف العلماء في معنى ﴿خَيْرٌ﴾ في الآية على أقوال:

الأول: أن ﴿خَيْرٌ﴾ بمعنى الوحي[١]، وما يتضمنه من معاني ذكرها المفسرون؛ كدين الإسلام[٢]، والرسول عليه السلام أو النبوة[٣]، والقرآن الكريم[٤].

الثاني: أن ﴿خَيْرٌ﴾ هنا بمعناها العام، أي في جميع أنواع الخير[٥].

الثالث: من المفسرين من جمع بين نوعين من الخير نحو الوحي والنبوة[٦]. ومنهم من جمع بين أكثر من ذلك نحو النبوة، والإسلام، والعلم والفقه والحكمة[٧]. ومنهم من خيَر بين جميع ما سبق، فذكر أن ﴿خَيْرٌ﴾ بمعنى القرآن، أو الوحي، أو ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم من التعظيم، أو الحكمة والقرآن والظفر، أو النبوة والإسلام، أو العلم والفقه والحكمة، أو هنا عام في جميع أنواع الخير، ثم رجح الأخير[٨].

الترجيح:

بعد النظر في هذا الموضع، يتبين للباحثة أن معنى ﴿خَيْرٌ﴾ -على الوجه الظاهر- هو أي خير ينزل من الله عز وجل على رسوله عليه السلام، وعلى المؤمنين، لأن لفظ ﴿خَيْرٌ﴾ نكرة، والنكرة في سياق النفي - (ما) - تفيد العموم[٩]، فهو لفظ عام يشمل كل أنواع الخير، بالإضافة إلى

---

(١) ينظر: ابن أبي زَمَنين، **تفسير القرآن العزيز**، ج١، ص١٦٨. ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٧٥. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٦٣٦. ينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج١، ص٣٥٥.

(٢) ينظر: مقاتل بن سليمان، **تفسيره**، ج١، ص١٢٩.

(٣) ينظر: الماتريدي، **تفسيره**، ج١، ص٥٣٠. ينظر: السمعاني، **تفسير القرآن**، ج١، ص١٢٠. ينظر: البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج١، ص١٥٣. ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٦٥٣.

(٤) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص ٤٧٠. ينظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، بيروت، ج١، ص١٨٧.

(٥) ينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج١، ص٣٤٨. ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص١٩٠.

(٦) ينظر: الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج١، ص٦٧.

(٧) ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج١، ص٩٨.

(٨) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٥٤٥-٥٤٦.

(٩) ينظر: عوني، حامد، **المنهاج الواضح للبلاغة**، المكتبة الأزهرية للتراث، ج٤، ص١٣٩. ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٩٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مجيء (مِن) الاستغراقية[١]، التي بدورها تفيد التوكيد إلى جانب العموم، إلا إذا جاء في سياق الآيات ما يخصص المعنى العام، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾، وعليه يؤول المعنى إلى وحي السماء، وكل ما يتعلق به من إنزال القرآن الكريم، ورسالة خاتَم النبيين، كما رجح أبو السعود، ويبدو رجحان هذا الوجه، لعدة أسباب أهمها:

أولًا: زعم اليهود أن النبوة لا تليق إلا بهم؛ لكونهم أبناء الأنبياء[٢]، فأعظم النعم التي تهمهم، والتي يتنافسون عليها، ويحسدون الناس عليها؛ هي نعمة نزول الوحي على سيد الخلق عليه السلام، واصطفائه من دونهم لحمل الرسالة، بدليل سياق الآيات الذي يؤيد ذلك، ويبيّن اختصاصه عليه السلام بنزول الوحي، واختصاص المؤمنين بدين الإسلام.

ثانيًا: إلى جانب السياق، فإن نظم الآية مؤشر جيد على التخصيص؛ وذلك بتقديم المسند ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ على المسند إليه ﴿مِّنۡ خَيۡرٖ﴾، فإن تقديم الخبر على المبتدأ يفيد التخصيص[٣]، لا محالة. كما أن هذا التقديم يجعل المعنى يتمحور حول المسند ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾، ليكون السبب الرئيسي في انعدام الود.

ثالثًا: إن استعمال (على) في قول الله تعالى: ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾، يدل على أن الإنزال لا يكون إلا من علو، وهذا المعنى لا ينطبق إلا على وحي السماء، الذي نزل بالقرآن العظيم، ودين الحق.

رابعًا: أن ذِكر الرحمة بعد الخير بمثابة ذِكر المظهر بعد المضمر، وكأنه ذكر عموم الخير بداية، ثم خصصها بالرحمة، وقد فسرت الرحمة بالنبوة[٤] عند جمهور المفسرين، قال تعالى

---

(١) ينظر: السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري، **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، إعداد: أبو عبد المعز، ج١، ص٧٥٤.

(٢) ينظر: الجمل، **حاشية الجمل على الجلالين المسمّاة بالفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**، ج١، ص٩١.

(٣) ينظر: السبكي، بهاء الدين، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ، بيروت، ج١، ص٣٨٦.

(٤) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٤٧١. ينظر: ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص١٩٩. ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج١، ص١٨٩. ينظر: الماتريدي، **تفسيره**، ج٧، ص١٠٧. ينظر: ابن أبي زمنين، **تفسير القرآن العزيز**، ج١، ص١٦٨. ينظر: القيسي، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج١، ص٣٨٥. ينظر: السمعاني، **تفسير القرآن**، ج١، ص١٢٠. ينظر: البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج١، ص١٥٣. ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٧٥. ينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج١، ص٣٥٥. ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص١٩٠. ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج١، ص٩٨. ينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج١، ص٣٤٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مخاطبًا نبيه عليه السلام: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء:١٠٧]، وعليه يكون الخير بمعنى النبوءة، التي مصدرها الوحي الإلهي.

خامسًا: إن تخصيص بعض الناس بالخير دون غيرهم يناسب الألوهية، أما إنزال الخير على العموم فيناسب الربوبية[١].

إذًا يتبين مما سبق أن معنى ﴿خَيۡرٖ﴾ هو الوحي، أما القول بالعلم والنصرة والحكمة والفقه، فيأباه وصفُ (الخير) بالاختصاص في السياق اللاحق - كما سبق ذكره – وكذلك التقديم والتأخير الوارد في النظم الكريم، والذي بدوره يؤيد التخصيص في الآية الكريمة، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: التعقب في الآية (١١٩) من سورة البقرة

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾ [البقرة: ١١٩].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾، ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلّغت.

وقرأ نافع ويعقوب: ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ﴾[٢]، بالجزم، على **أنه نهي للرسول صلّى الله عليه وسلّم عن السؤال عن حال أبويه**. أو تعظيم لعقوبة الكفار، كأنها لفظاعتها لا يقدر أن يخبر عنها، أو السامع لا يصبر على استماع خبرها، فنهاه عن السؤال"[٣].

التعقب:

قال أبو السعود: "﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾، ما لهم لم يؤمنوا بعد ما بلّغْتَ ما أُرسلتَ به. وقرئ لن تسأل[٤]، وما تسأل[٥]، وقرئ لا تَسْأَلْ[٦]، على صيغة النهي، إيذانًا بكمال

(١) ينظر: السيالكوتي، **حاشيته على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٤١٩.
(٢) قراءة عشرية متواترة. ينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: علي الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، ج٢، ص٢٢١.
(٣) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص١٠٣.
(٤) قراءة شاذة. وهي قراءة عبد الله بن مسعود. ينظر: الفراء، **معاني القرآن**، ج١، ص ٢٢٥.
(٥) قراءة شاذة. وهي قراءة أبي بن كعب. ينظر: الفراء، **معاني القرآن**، ج١، ص ٢٢٥.
(٦) قراءة عشرية متواترة. ينظر: ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص٢٢١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

شدة عقوبة الكفار، وتهويلًا لها، كأنها لغاية فظاعتها لا يقدِرُ المخبِرُ على إجرائها على لسانه، أو لا يستطيع السامعُ أن يسمع خبرَها، **وحملُه على نهي النبيِّ صلَّى الله عليهِ وسلم عن السؤال عن حال أبويه مما لا يساعده النظمُ الكريمُ"**[١].

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن أحد معاني قراءة ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾ بالجزم على معنى النهي؛ هو أن الله تعالى نهى النبي عليه السلام عن السؤال عن حال أبويه، بينما يرى أبو السعود أن حمل الآية على هذا النهي، مما لا يساعده النظم الكريم.

التحقيق والدراسة:

اختلف العلماء في المعنى الذي تؤول إليه قراءة ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾ بالجزم، على عدة أقوال:

الأول: أن الله أمر نبيه عليه السلام بترك المسألة عن مصير الكافرين، وعليه يكون معنى الآية: إنا أرسلناك لتبليغ الحق؛ بشيرًا لمن اتبعك، ونذيرًا لمن كفر بك، لا لتسأل عن أصحاب الجحيم، ولا عن حالهم[٢].

الثاني: أن النهي في الآية على حقيقته، وأن الله تعالى نهى النبي عليه السلام عن السؤال عن حال أبويه[٣]، مستندين في ذلك إلى رواية محمد بن كعب القرظي، حيث قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليت شعري ما فعل أبواي؟ ليت شعري ما فعل أبواي؟ ليت شعري ما فعل أبواي؟ ثلاثًا، فنزلت: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾، فما ذكرهما حتى توفاه الله" [٤]، ولا يستند إلى حديث منكر، فحكمه الرد.

---

(١) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٥٢.

(٢) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٥٥٨. ينظر: الماتريدي، **تفسيره**، ج١، ص٥٥١.

(٣) ينظر: ابن أبي زمنين، **تفسير القرآن العزيز**، ج١، ص١٧٤.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٢٦) قال: نا الثوري، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليت شعري ما فعل أبواي.. ". فذكره. وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨٧٦)، من طريق عبد الرزاق، به. وأخرجه (١٨٧٥) من طريق أبي كريب، عن وكيع، عن موسى بن عبيدة، به. وأخرجه أبو إسحاق الحربي في غريب الحديث (١/ ١٤٤)، من طريق وكيع، عن موسى بن عبيدة، به. وأخرجه أبو عمر الدوري في جزء قراءات النبي - صلى الله عليه وسلم - (١/ ٧٢)، من طريق علي بن ثابت، وموسى بن محمد، عن موسى بن عبيدة، به. قال ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب (١/ ٣٦٩): وفي سنده موسى بن عبيدة وهو ضعيف. وزاد الشيخ أحمد شاكر في تخريجه لتفسير الطبري بيان الضعف فقال: هما حديثان مرسلان. فإن محمد بن كعب بن سليم القرظي: تابعي. والمرسل لا تقوم به حجة، ثم هما إسنادان ضعيفان أيضًا، بضعف راويهما: موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي: ضعيف جدًا، مترجم في التهذيب، والكبير للبخاري، وابن أبي حاتم، فقال البخاري: "منكر الحديث قاله أحمد بن حنبل. وقال علي بن المديني، عن القطان: كنا نتقيه تلك الأيام". وروى ابن أبي حاتم عن الجوزاني قال: "سمعت أحمد بن حنبل يقول: لا تحل الرواية عندي عن موسى بن عبيدة، قلنا: يا أبا عبد الله، لا يحل؟ قال: عندي، قلت: فإن سفيان وشعبة قد رويا عنه؟ قال: لو بان لشعبة ما بان لغيره ما روى عنه". وقال ابن معين: "لا يحتج بحديثه". وقال أبو حاتم: "منكر الحديث".

ينظر: الحربي، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، **غريب الحديث**، تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد، ط١، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ، مكة المكرمة.

ينظر: الدوري، أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان الأزدي القارئ، **جزء فيه قراءات النبي صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: حكمت بشير ياسين، ط١، مكتبة الدار، ١٤٠٨هـ، المدينة المنورة.

ينظر: ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني، **العجاب في بيان الأسباب**، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، الدمام.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الثالث: أن النهي ليس على حقيقته، بل هو نهي لفظي فقط، لتعظيم حالهم، وتفخيم شأنهم؛ فعندما يقال: لا تَسألْ عن فلان، بمعنى قد بلغ فوق ما تظن، فهو كناية عن شناعة أحوال الكافرين، فالمتفكر في مصيرهم يُنهى عن الاشتغال بذلك؛ لأن حالهم لا يحيط بها الوصف، ولا يبلغ إلى كنهه العقل في فظاعته وشناعته(١).

الرابع: الجمع بين القولين الأول والثالث؛ بمعنى أن الله نهى نبيه عليه السلام عن المسألة عن أحوال أصحاب الجحيم، أو أن يكون النهي لفظًا، بمعنى تفخيم ما أُعِدّ لهم من العذاب(٢).

الترجيح:

بعد النظر في هذا الموضع، يتبين للباحثة أن النهي في قراءة ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾ المجزومة، قد يكون نهيًا على الحقيقة في حق أهل الكفر والضلال، بمعنى أن الله تعالى نَهى نبيه عليه السلام عن السؤال عن أحوال الكافرين، لأن سياق الكلام يدل على تعداد جرائم اليهود، والنصارى، ومشركي العرب، الذين جحدوا نبوته عليه السلام، وكفروا به وبرسالته عنادًا، وأصروا على كفرهم استكبارًا. كما يحتمل أن لا يكون نهيًا على الحقيقة، بل جاء ذلك على سبيل تعظيم ما وقع فيه أهل الكفر من العذاب، إيذانًا بتهويل عقوبتهم، وبيانًا لتفظيع ما ينتظرهم من عذاب، وهو ما رجحه أبو السعود، ومن ثم الباحثة، ذلك للأسباب الآتية:

أولًا: ضعف الرواية الواردة في نهي النبي عليه السلام عن السؤال عن حال أبويه، وضعف الرواة المذكورين في السند، ذلك ما يقود إلى الكف عنها بمجملها، فهو أسلم الطرق وأحكمها.

ثانيًا: إن ذِكْر لفظ الجحيم(٣) يناسب أهل الكفر والعصيان، أكثر من مناسبته لأهل الفترة، كما أن ذِكْر السياق السابق واللاحق(٤) لقصص اليهود والنصارى، التي تبين تشابه قلوبهم في الكفر،

---

(١) ينظر: الإشبيلي، ابن أبي الربيع القرشي الأموي العثماني، **تفسير الكتاب العزيز وإعرابه**، تحقيق: علي بن سلطان الحكمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ج١، ص٣٥٩. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٥٨٩. ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٦٩٢. ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٣٦٩. ينظر: القيسي، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج١، ص٤١٧. ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص١٢٥. ينظر: ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج٢، ص٤٣٦.

(٢) ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج١، ص٢٠٠. ينظر: الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، **معاني القراءات**، ط١، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤١٢هـ، المملكة العربية السعودية، ج١، ص١٧١.

(٣) (جحم): الجيم والحاء والميم عظمها به الحرارة وشدتها، فالجاحم: المكان الشديد الحر، وبه سميت الجحيم جحيمًا.
ينظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، كتاب الجيم، باب الجيم والحاء وما يثلثهما، ج١، ص٤٢٩.
قال الراغب: "(جحم) الجُحْمَة: شدة تأجج النار، ومنه: الجحيم، وجَحَمَ وجهه من شدة الغضب، استعارة من جحمة النار، وذلك من ثوران حرارة القلب، وجَحْمَتَا الأسد: عيناه لتوقدهما".
الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، كتاب الجيم، ج١، ص١٨٧.

(٤) قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ ...﴾ [البقرة: ١٢٠]

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وقتلهم الأنبياء، وتطاولهم على الرسل، كفيلٌ بأن توجه المسألة إليهم، لا إلى والدي رسول الله عليه السلام.

ثالثًا: مساندة كل قراءة إلى الأخرى في المعنى، فعلى قراءة الجمهور - ولا تُسألُ – يكون المعنى: ولا تُسألُ يا محمد عن عدم إيمان الكفار، لأن ذلك ليس إليك، إن عليك فقط البلاغ، وإنك لا تهدي من أحببت، إنما أنت منذر، فلا يحزنك كفرهم، وفي ذلك تسلية له عليه السلام، وتخفيف ما كان يجده من ألم. وبما أنك لن تُسأل، فلا تَسألْ يا محمد عما يؤول إليه حالهم - وهي قراءة[١] نافع المدني ويعقوب الحضرمي – والله أعلم.

رابعًا: إن ما قيل في أن الآية نزلت في نهيه عليه السلام عن السؤال عن حال أبويه، هو استناد لرواية منكرة ضعيفة، ولو صحت – على سبيل الفرض – لكان حمل الآية على ذلك مجافيًا للبلاغة؛ لأن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ هو تسلية للنبي عليه السلام، فالإتيان بالمكدرات خروج عن الغرض، وهو مما يعبر عنه بفساد الوضع[٢]، كما ذكر ابن عاشور[٣].

خامسًا: إن الجزم إذا حمل على التعظيم لأمر من تقدم – من اليهود والنصارى - كان مردودًا على ما قبله فيصير مثل الرفع، ويزيد الجزم مزية، وهو أن يحمل على الخبر. فالجزم محتمل لمعنى الرفع وزيادة[٤].

سادسًا: تأييد الآيات الواردة في القرآن لهذا المعنى، والتي تدل على أنه هو الراجح على الأغلب، وهي: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ [فاطر: ٨]، وقوله: ﴿۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقوله: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [المائدة: ٩٩]، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ٤٠﴾ [الرعد: ٤٠]، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص٢٢١.

(٢) فساد الوضع: "وذلك بإبطال وضع القياس المخصوص في إثبات الحكم المخصوص، بأن يبين المعترض أن الجامع الذي ثبت به الحكم قد ثبت اعتباره بنص، أو إجماع في نقيض الحكم". الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**، تحقيق: أحمد عناية، ط١، دار الكتاب العربي، ١٤١٩هـ، دمشق، ج٢، ص١٥٩.

واختصر المناوي تعريف فساد الوضع، فقال: "فساد الوضع: أن لا يكون الدليل على الهيئة الصالحة لاعتباره في ترتيب الحكم". المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ط١، عالم الكتب، ١٤١٠هـ، ج١، ص٢٦٠.

(٣) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٦٩٢.

(٤) ينظر: القيسي، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج١، ص٤١٩. بتصرف بسيط.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثالث: التعقب في الآية (١٢٠) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠]

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾ مبالغة في إقناط الرسول صلّى الله عليه وسلّم من إسلامهم، فإنهم إذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم، فكيف يتبعون ملته. **ولعلهم قالوا مثل ذلك**، فحكى الله عنهم، ولذلك قال: قُلْ تعليمًا للجواب"[١].

التعقب:

قال أبو السعود: "وأما أنهم أظهروها للنبي صلى الله عليه وسلم، وشافهوه بذلك، وقالوا: لن نرضى عنك وإن بالغْتَ في طلب رضانا حتى تتبعَ مِلَّتنا، كما قيل، **فلا يساعدُهُ النظمُ الكريمُ، بل فيه ما يدل على خلافه**، فإنَّ قولَه عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ﴾ صريح في أن ما وقع هذا جوابًا عنه، ليس عين تلك العبارة، بل ما يستلزم مضمونها، أو يلزمه من الدعوة إلى اليهودية والنصرانية، وادعاء أن الاهتداء فيهما"[٢].

تحرير محل النزاع:

ذكر البيضاوي – بصيغة الترجي لعلهم - أن مشافهة اليهود والنصارى للنبي عليه السلام، وتصريحهم له بعدم الرضى عنه - عليه السلام، حتى يتبع ملتهم، حكاه الله تعالى في الآية الكريمة لتعليم نبيه عليه السلام كيفية الجواب والرد على قولهم، بينما يرى أبو السعود أن كل الكلام السابق مما لا يساعده النظم الكريم، بل فيه ما يدل على خلافه.

التحقيق والدراسة:

اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾ على قولين:

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص١٠٣.

(٢) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٥٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الأول: أنها ابتداء إخبار من الله تعالى؛ بعدم رضاهم عن النبي عليه السلام حتى يتبع ملتهم، وأن قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ ليس جوابًا عن عين ما سبقها، بل جوابًا عمّا يستلزم مضمون هذه الآية. وهذا قول مقاتل بن سليمان(١)، والطبري(٢)، والسمرقندي(٣)، ومكي القيسي(٤)، والبغوي(٥)، وابن عطية(٦)، والرازي(٧)،

الثاني: أنها ليست ابتداء إخبار من الله تعالى، وأن قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، حكاية لمعنى كلامهم، وكلامهم هو: لن نرضى عنك يا محمد حتى تتبع ملتنا، ثم أمر نبيه عليه السلام بأن يجيبهم على ذلك، بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾، قالوا ذلك بطريق التكلم، ليطابقه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ على طريق الجواب عن مقالهم(٨)، وهذا قول الزمخشري(٩)، وتبعه في ذلك الألوسي(١٠).

الترجيح:

بعد النظر الدقيق في هذا الموضع، يتبين للباحثة أن الرأي الراجح هو رأي أبي السعود، لأن قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ عام في الجواب عن كل ما يستلزم مضمون هذه الآية؛ وذلك عند دعوة النبي عليه السلام والمسلمين إلى دين الهدى في كل وقت وحين، وليست جوابًا على وجه الخصوص لهذا الموقف دون غيره، للأسباب الآتية:

أولًا: أن الآية من قبيل إقناط الرسول عليه السلام من إسلام اليهود والنصارى، ولذلك قال الزمخشري عند تفسيره لها: "كأنهم قالوا"(١١)، "لأن قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، حكاية لمعنى كلامهم، وأن كلامهم هو: لن نرضى عنك ولا نتبع ملّتك

---

(١) ينظر: مقاتل بن سليمان، **تفسيره**، ج١، ص١٣٥.
(٢) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٥٦٢-٥٦٣.
(٣) ينظر: السمرقندي، **بحر العلوم**، ج١، ص٨٩.
(٤) ينظر: القيسي، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج١، ص٤١٩.
(٥) ينظر: البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج١، ص١٦١.
(٦) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص٢٠٤.
(٧) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٤، ص٢٩.
(٨) ينظر: السيالكوتي، **حاشيته على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٤٤٤.
(٩) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٨٢-١٨٣.
(١٠) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٣٦٩-٣٧٠.
(١١) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٨٢-١٨٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

حتى تتبع ملّتنا، وإلا فقوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، بظاهره غير مطابق لقوله: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾، ووجه المطابقة مع المقدر هو أنهم ما قالوا: لا نتبع ملّتك حتى تتبع ملّتنا، إلا وزعموا أن دينهم حق ودين الإسلام باطل، فأجيبوا بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾، على القصر القلبي(١)"(٢).

ثانيًا: إن ما ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾، مبالغة من وجوه؛ كـ: اسمية الجملة بعد ﴿قُلْ﴾ ، وإضافة هدى إلى الله تعالى، وتأكيدها بإنّ، وإعادة الهدى في الخبر، وجعله نفس الهدى المصدري، وتوسيط ضمير الفصل (هو)، وتعريف الخبر(٣)، كلها مؤشرات على تقعيد قاعدة عامة في الرد على ملتي اليهود والنصارى.

ثالثًا: إن استعمال (لن) في سياق الآية، الدالة على إرادة توكيد النفي(٤) في المستقبل، والتي بمعنى التأبيد على الأغلب، في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، يلزم منه الإخبار بأن الأمر ثابت، لا يعتريه أي تغيير في المستقبل.

رابعًا: استعمال الجملة الفعلية في السياق في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، يفيد التجديد وأن هذه القاعدة متجددة لكل زمان ومكان، مع استحالة تغييرها.

خامسًا: إذا سلمت الباحثة بأن مضمون الآية قام على الحوار بين اليهود والنصارى من جهة، والنبي عليه السلام وأمته من جهة أخرى، فإن فيه من التناقص ما يرده؛ لعدم اتفاق اليهود والنصارى على ملة واحدة، ففي الآية إيجاز، والمعنى: لن ترضى عنك اليهود حتى تتبع ملتهم، ولن ترضى عنك النصارى حتى تتبع ملتهم، وهذا مستحيل؛ لأن كل ملة عكس الأخرى، فكيف تجتمعان في ملة واحدة مقابل النبي عليه السلام وأمته؟

---

(١) تعريف قصر القلب: "إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي تثبته، نحو: ما سافر إلا علي، ردًا على من اعتقد أن المسافر خليل لا علي، فقد قلبت وعكست عليه اعتقاده". الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ج١، ص١٧٣ ذكر هذا المصطلح شيخ زادة في حاشيته. ينظر: زادة، **حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٤٠٣.

(٢) الطيبي، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب**، ج٣، ص٦٨.

(٣) لمزيد من البحث، ينظر: زادة، **حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٤٠٣.

(٤) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٢، ص١٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

سادسًا: إن من قال بأن الآية حكاية عن اليهود والنصارى هو الزمخشري، لكنه عبّر عن ذلك على سبيل التشبيه، لتقريب الصورة في الأذهان، قائلًا: "كأنهم قالوا: لن نرضى عنك وإن أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا"[١]، لا على سبيل الجزم بذلك، ثم تبعه البيضاوي، وعبّر عنها بصيغة الترجي، قائلًا: "ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم"[٢]، لا على سبيل الجزم أيضًا.

سابعًا: إن التمييز بين الهدى الرباني، والهوى الشيطاني، وتعليم المسلمين طرق الرد الصحيحة على أهل الكتاب، من أهم أساسيات الدعوة التي تقود المسلمين إلى تأسيس ركائز بناء الدولة الإسلامية السليمة الأسس، فإن إقامة الدولة الإسلامية السليمة هو المحور الرئيس لسورة البقرة. والله تعالى أعلم.

(١) الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٨٢.
(٢) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص١٠٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني

التعقبات من الآية (١٢٤) إلى الآية (١٣٧) من سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (١٢٤) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿* وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: ١٢٤].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات، كلفه بأوامر ونواه، والابتلاء في الأصل التكليف بالأمر الشاق من البلاء،.....والكلمات قد تطلق على المعاني، فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة، المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾[١] الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾[٢] إلى آخر الآية، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾[٣]، إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾﴾[٤] كما فسرت بها في قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[٥]، وبالعشر التي هي من سننه، وبمناسك الحج وبالكواكب، والقمرين، والختان، وذبح الولد، والنار، والهجرة. على أنه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن، **وبما تضمنته الآيات التي بعدها**"[٦].

التعقب:

قال أبو السعود: "واختُلف في الكلمات، فقال مجاهد: هي المذكورة بعدَها، ورُدَّ بأنه **يأباه الفاء في فأتمهن، ثم الاستئناف**"[٧].

---

(١) التوبة: ١١٢.
(٢) الأحزاب: ٣٥.
(٣) المؤمنون: ١.
(٤) المؤمنون: ١٠.
(٥) البقرة: ٣٧.
(٦) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص١٠٤.
(٧) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٥٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن الله تعالى عامل إبراهيم عليه السلام معاملة المختبر بالكلمات، وبما تضمنته الآيات التي بعدها، بينما يرى أبو السعود أنه اختُلف في الكلمات، وهي المذكورة بعدَها كما قيل، ورُدّ بأنه يأباه الفاء في ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾، ثم الاستئناف.

التحقيق والدراسة:

ذكر المفسرون[١] أقوالًا عديدة في معنى الكلمات، معتمدين في ذلك على ما روي عن الصحابة والتابعين، أذكر منها:

أولًا: أن الكلمات عشر؛ خمسة في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس. وخمسة في البدن: تقليم الأظفار، وحلق العانة، والختان، ونتف الإبط، وغسل أثر الغائط والبول بالماء. هذا فيما روي عن ابن عباس[٢]. وروت عائشة[٣] أنها عشر من الفطرة؛ إلا أنها ذكرت إعفاء اللحية بدل الفرق، وغسل البراجم[٤]بدل الختان.

ثانيًا: أن الكلمات ثلاثون سهمًا من خصال الإيمان: عشر في براءة[٥]، وعشر في سورة الأحزاب[٦]،وعشر في أول سورة المؤمنون[٧].هذه رواية الحاكم عن ابن عباس[٨].

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص٧-١٧. ينظر: ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٢٢٠-٢٢١. ينظر: القيسي، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج١، ص٤٢٤-٤٢٧. ينظر: الماوردي، **النكت والعيون**، ج١، ص١٨٢-١٨٤. ينظر: الأصفهاني، **تفسيره**، ج١، ص٣٠٩. ينظر: البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج١، ص١٦٢.

استعمل الزمخشري صيغة التضعيف (قيل) في ذكر الأقوال الواردة. ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٨٤. ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص٢٠٦. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٤، ص٣٤-٣٥. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٦٠٠-٦٠١. ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٣٧٢-٣٧٣.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢٨٩/١ رقم (١١٦) ومن طريقه الطبري في تفسيره٩/٢ رقم (١٩١٠) وابن أبي حاتم ٢١٩/١ رقم (١١٦٥) والحاكم في المستدرك ٢٩٣/٢ رقم (٣٠٥٥) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والبيهقي في السنن الكبرى ٢٣١/١ رقم (٦٨٥).

ينظر: الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ، بيروت.

ينظر: البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، بيروت.

(٣) لكن الرواية الواردة في مسلم ليست تفسيرًا لمعنى (كلمات)، ولا علاقة لها في هذا الموضع، بل جاءت في موضوع آخر وهو الطهارة. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة ٢٢٣/١، حديث رقم (٢٦١).

(٤) البراجم: هي العقد التي في ظهور الأصابع يجتمع فيها الأوساخ، والواحدة بُرجمة.

ينظر: ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ، بيروت، ج١، ص١١٣.

(٥) سورة التوبة: آية ١١٢.

(٦) سورة الأحزاب: آية ٣٥.

(٧) سورة المؤمنون: من آية ١-١٠.

(٨) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥٢٥/١٦ رقم (٣٢٤٨٩) والطبري في تفسيره ٨/٢ رقم (١٩٠٨) (١٩٠٩) وابن أبي حاتم ٢٢٠/١ رقم (١١٦٦) والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ٤٣٠/١ رقم (٤٣١) والحاكم في المستدرك ٥١١/٢ رقم (٣٧٥٣) و٦٠٢/٢ رقم (٤٠٢٧) وصححه الحاكم، وأحمد شاكر في تعليقه على الطبري.

ينظر: ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، **المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ، الرياض.

ينظر: المروزي، محمد بن نصر بن الحجاج، **تعظيم قدر الصلاة**، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط١، مكتبة الدار، ١٤٠٦هـ، المدينة المنورة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثالثًا: أن الكلمات بمعنى أن الله ابتلاه بالكواكب، والقمر، والشمس، والهجرة، والإلقاء في النار[١]، وذبح الولد[٢]. وكلاهما قول الحسن.

رابعًا: بمعنى أن الله ابتلى إبراهيم عليه السلام بالمناسك. وهذا قول ابن عباس[٣].

خامسًا: بمعنى أن الله ابتلى إبراهيم عليه السلام بالآيات التي بعدها: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾. وهذا قول مجاهد[٤]. هنا وقع الإشكال بين العلماء.

الترجيح:

بعد النظر في هذا الموضع، يتضح للباحثة أن القرآن الكريم لم يفصل في معنى الكلمات، ولم يفصح عنها، وتركها على إجمالها، إذ ليس الغرض هو تبيين شريعة إبراهيم عليه السلام، ولا بسط لقصتة، وإنما الغرض بيان فضل إبراهيم بإبراز عزمه، وامتثاله للتكاليف المأمور بها، فأداها كاملة، وأتمها على أكمل وجه، فَجوزِيَ بعظيم الجزاء، وهذه عادة القرآن في إجمال ما ليس بمحل الحاجة[٥].

وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره المفسرون، وجائز أن تكون بعضها، لأن إبراهيم عليه السلام قد امتحن فيما بلغنا من آيات الله بكل ذلك، فعمل به، قال الطبري: "وإذ كان ذلك كذلك، فغير جائز لأحد أن يقول: عنى الله بالكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم شيئًا من ذلك بعينه دون شيء، ولا عنى به كل ذلك، إلا بحجة يجب التسليم لها، من خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو إجماع من الحجة. ولم يصح في شيء من ذلك خبر عن الرسول بنقل الواحد، ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته"[٦].

وبناءً على المعطيات السابقة، يتبيّن للباحثة عدم وجود دليل ثابت من النقل أي الكتاب والسنة يجزم بمعنى معيّن للكلمات التي ابتُلِيَ بها إبراهيم عليه السلام، سوى أدلة من العقل تم

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/٢ رقم (١٩٣٣). وابن أبي حاتم ٢٢١/١ رقم (١١٧٠) كلاهما من طريق إسماعيل بن عليّه، عن أبي رجاء – محمد بن سيف الحداني-عن الحسن وسنده صحيح، رجاله ثقات.
ينظر: البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج١، ص١٤٥. ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص٣٤٨. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٦٠٠.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٤/٢ رقم (١٩٣٥) وفي إسناده الراوي الذي لم يُسمَّ.

(٣) أخرجه الطبري ١٣/٢ رقم (١٩٢٨) وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٢١/١ رقم (١١٦٩) بإسناد آخر عن ابن عباس. كلاهما من طريق قتادة، عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف لانقطاعه، لأن قتادة لم يسمع من أصحاب النبي عليه السلام إلا من أنس بن مالك كما ذكر الإمام أحمد. ينظر: العلائي، **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**، ج١، ص٢٥٥.

(٤) رواه الطبري في تفسيره ١١/٢ رقم (١٩١٧) وابن أبي شيبة في مصنفه ١٦/ ٥٢٥ رقم (٣٢٤٨٧)، ورواته ثقات.

(٥) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٧٠٣.

(٦) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢، ص١٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

استنتاجها استنادًا إلى اللغة العربية، مؤيدة بذلك ما ذكره أبو السعود في تفسيره، وهو ما ترجحه الباحثة، للأسباب الآتية:

أولًا: إن استعمال الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ، دلالة على أن الله تعالى امتحنه بالكلمات، وسرعان ما امتثل إبراهيم عليه السلام لأوامره تعالى، وأتمها على أكمل وجه قبل بعثته بالنبوة – لأن معنى الفاء الترتيب والتعقيب - ثم إنه تعالى قال له بعد ذلك: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.

ثانيًا: أن الفاء سببية[١] في قوله تعالى: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ، فإتمام إبراهيم لما كُلِّف به من أوامرٍ ونواهٍ سببٌ في نيل المكافأة العظيمة، والدرجة الرفيعة؛ وهي تولي إمامة الناس جميعًا، وفوزه بالنبوة؛ فالسبب مقدم على المسبب.

ثالثًا: أن قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ استئناف بياني[٢]؛ بمعنى أن هناك من يوجه سؤالًا؛ كأن يُقال: فماذا قال له ربه حين أتمّ الكلمات؟ فأجابه تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.

رابعًا: تأييدًا لما ذُكِر، ذكر القونوي أن المقام مقام جواب؛ لذا أُكِّد بمؤكدات، هي: إيراد (إن)، وإسمية الجملة، وتقديم المسند إليه على المسند المشتق المفيد للتقوية دائمًا، وللتخصيص غالبًا، كما هو المناسب لهذا المقام[٣]. والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: التعقب في الآية (١٣٤) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤].

(١) ينظر: القونوي، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، ج٤، ص٢٠٦.

(٢) إذا أضمر عامل إذ في الكلام وهو: واذكر الحادث وقت ابتلائه. ينظر: القونوي، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، ج٤، ص٢٠٦.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ج٤، ص٢٠٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي:"﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾؛ أي **لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم**"[١].

التعقب:

قال أبو السعود:" أي لا تؤاخَذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم، ولا ريب في أنه مما **لا يليق بشأن التنزيلِ**، كيف لا؟ وهم منزّهون من كسب السيئاتِ، فمن أين يُتصوَّر تحميلُها على غيرهم حتى يُتصَدَّى لبيان انتفاعِه"[٢].

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن معنى قوله تعالى:﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ أي لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم، بينما يرى أبو السعود أن هذا المعنى لا يليق بشأن التنزيل.

التحقيق والدراسة:

اختلف المفسرون في المقصود من قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ على قولين:

أولًا: أن المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ هم الأنبياء المذكورون فيما تقدم من السياق، وهم: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط[٣]، وهذا قوْل أبي العالية[٤]، وقتادة[٥]، والربيع بن أنس[٦].

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص١٠٨.

(٢) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٦٥.

(٣) ينظر: مقاتل بن سليمان، **تفسيره**، ج١، ص١٤٠-١٤١. الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٣، ص١٢٩. ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٩٤. ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص٢١٤. ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج١، ص١١٥. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٤، ص٦٨. ينظر: الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج١، ص٨٤. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٦٤٤. ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٧٣٥.

(٤) رواه ابن أبي حاتم ٢٤٠/١ (١٢٨٢) حدثنا عصام بن رواد ثنا آدم ثنا أبو جعفر عن الربيع عنه. وإسناده فيه مقال، أبو جعفر هو عبد الله بن ماهان الرازي، قال عنه ابن حجر في التقريب: صدوق سيء الحفظ، وقال الذهبي في الكاشف: قال أبو زرعة: يهم كثيرًا، وقال النسائي: ليس بالقوي. ووثقه أبو حاتم.
ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، ١٤١٣هـ، جدة.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري ١٢٨/٣ (٢١٤٠) وإسناده صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري ١٢٨/٣ (٢١٤١) حدثني المثنى ثنا إسحاق ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، وفيه أبو جعفر الرازي عبد الله بن ماهان، قال عنه ابن حجر في التقريب: صدوق سيء الحفظ، وقال الذهبي في الكاشف: قال أبو زرعة: يهم كثيرًا، وقال النسائي: ليس بالقوي.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثانيًا: أن المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ عام في معنى الأمة، غير مخصص بالأنبياء المذكورين في السياق السابق[١].

كما اختلف المفسرون في المقصود من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ على أقوال:

أولًا: أن يجري السؤال على ظاهره، ويكون المقصود بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ هو: ولا تُسألون عما كانت تعمل الأمم المتقدمة، فلا تؤاخذون بسيئاتهم، ولا تنتفعون بحسناتهم[٢].

ثانيًا: أن يختص السؤال بالأنبياء المذكورين في السياق، وهم منزّهون من كسب السيئاتِ كما ذكر أبو السعود[٣].

ثالثًا: أن يجري السؤال على عموم السبب أي العمل؛ فلهم ما عملوا، ولكم ما تعملون، واليوم ينظر إلى أعمالكم، ولا ينفعكم من أعمالهم شيء[٤].

الترجيح:

بعد النظر في هذا الموضع، يتبين للباحثة أن المفسرين نظروا إلى السياق القرآني في بيان معنى ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ إلا الألوسي، فقد نظر إلى المعنى العام لها دون تخصيص. وتلحظ الباحثة دقة التعبير القرآني في استعمال اسم الإشارة ﴿تِلْكَ﴾؛ حيث أشير بها إلى إبراهيم عليه السلام وبنيه، ويعقوب عليه السلام وبنيه، أي أنهم أمة مضت، وانقرضت، لا ينتفع الناس بانتسابهم لهم، إنما ينتفعون باتباعهم إياهم في العمل الصالح، والخالص لوجه الله تعالى.

---

(١) قال الألوسي: "هذا ومن الغريب حمل الإشارة على كل من إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وأن المعنى كل واحد منهم أمة". الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٣٨٩.

(٢) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٩٤. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٦٤٥. ينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج١، ص٤٠٩. ينظر: حقي، **روح البيان**، ج١، ص٢٤٠.

(٣) ينظر: أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٦٥.

(٤) ينظر: السمرقندي، **بحر العلوم**، ج١، ص٩٦. ينظر: البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج١، ص١٧١. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٤، ص٨٦. ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢، ص١٣٩. ينظر: الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج١، ص٨٤. ينظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ج١، ص٤٠٦. ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٣٩٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ولا بد للباحثة من الإشارة إلى بعض النقاط، حتى يتسنى لها الترجيح من خلالها:

أولًا: من خلال سياق الآيات السابق؛ يتضح أن ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ إشارة إلى إبراهيم عليه السلام وبنيه، وإلى يعقوب وبنيه. وإلى ذلك ذهب أكثر المفسرين، كما وضحت الباحثة فيما سبق.

ثانيًا: لا شك أن الباحثة توافق أبا السعود في تنزيه الأنبياء عن كسب السيئات، كيف لا؟ وقد عصمهم الله تعالى عنها، ليكونوا أئمة يُقتدى بهم. إلا أن السياق القرآني لم يذكر الأنبياء فحسب، بل ذكر بنيهم وذريتهم، ولا بد لهؤلاء من الوقوع في الزلات التي توجب السيئات، فهم بشر غير معصومين. إذًا فالأمة عامة لبني الأنبياء، وليست مختصة بهم. قال البيضاوي: " تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ يعني إبراهيم ويعقوب وبنيهما، والأمة في الأصل المقصود، وسمي بها الجماعة، لأن الفِرق تؤمها"[١].

ثالثًا: أن قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ من تمام التفصيل لقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ﴾، ومعطوفة عليها[٢]، بمعنى: لكل نفس ما كسبت من خير أو شر[٣]، لذا عُقِّب الكلام بـ: لا تؤاخذون بسيئاتهم، كما لا تثابون بحسناتهم.

رابعًا: ليس المقصود من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ مجرد السؤال؛ فلا وجه لنفيه، إنما المقصود نفي مؤاخذتهم بسيئات الأمم الماضية؛ فالسؤال هنا للعتاب، لا للاستفهام، والثواب.

خامسًا: إذا تم تخصيص الآية بالأنبياء - كما ذكر أبو السعود – فلا تكون الجملة على هذا المعنى تقريرًا لسنة من سنن الله العامة في خلقه، كما لا تكون تتميمًا لما قبلها من الآيات.

بناءً على ما سبق ترى الباحثة أن الآية عامة بالأنبياء وبنيهم، وهي قضية كلية، وقانون ثابت، وسنة عامة من سنن الله تعالى في خلقه، وليست خاصة بالأنبياء فحسب، لذا تبقى الآية على عمومها لعدم وجود مخصص. وانطلاقًا من هذا المعنى، يظهر رجحان هذا الوجه، وهو ما رجحه البيضاوي لعمومه، والله تعالى أعلم.

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص١٠٨.

(٢) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٧٣٥.

(٣) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص٢١٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثالث: التعقب في الآية (١٣٧) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "وقيل: الباء للآلة دون التعدية، والمعنى: إن تحروا الإيمان بطريق يهدي إلى الحق مثل طريقكم، **فإن وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق**"(١).

التعقب:

قال أبو السعود: "﴿فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ﴾ إلى الحق وأصابوه، كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحادُ والاتفاق، وأما ما قيل من أن المعنى: فإن تحرَّوُا الإيمان بطريق يهدي إلى الحق مثلِ طريقِكم فقد اهتدوا فإن وَحدَة المقصِد لا تأبي تعدد الطريق، **فيأباه** أن مقام تعيين طريق الحقِّ وإرشادُهم إليه بعينه، لا يلائم تجويزَ أن يكون له طريقٌ آخرُ وراءه"(٢).

تحرير محل النزاع:

ذكر البيضاوي - بصيغة التضعيف - معنى الآية - لمن اعتبر الباء باء الاستعانة أو الآلة - في قوله تعالى: ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾، وهو: إن تحرّى أهل الكتاب الإيمان بطريق يهدي إلى الحق مثلِ طريقِ المؤمنين فقد اهتدوا، فإن وَحدَة المقصِد لا تأبي تعدد الطرق، بينما يرى أبو السعود أن مقام تعيين طريق الحقِّ، وإرشادهم إليه بعينه، لا يلائم تجويزَ أن يكون له طريقٌ آخر.

التحقيق والدراسة:

ذكر العلماء معاني (الباء) و (مثل) في قوله تعالى: ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾، على النحو الآتي:

أولًا: أن تكون الباء في قوله تعالى: ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ للتعدية(٣)، وعليه يكون فعل ﴿ءَامَنُواْ﴾ متعديًا، ويكون المعنى على سبيل التعجيز، والتبكيت الذي يلجئهم إلى الإذعان، والاعتراف بدين الحق.

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص١٠٩.

(٢) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٦٧.

(٣) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٩٥. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص٦٥٣. ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٣٩٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثانيًا: أن تكون الباء في قوله تعالى: ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ للآلة والاستعانة[١]، وعليه يكون فعل ﴿ءَامَنُواْ﴾ لازمًا، ويكون المعنى: فإن تحروا الإيمان المقبول باستعانة طريق يوصل إليه، مماثل لطريقكم فقد اهتدوا إلى الدين الحق، مع جواز تعدد الطرق شريطة اشتراكها في الإيصال إلى المقصد نفسه[٢]، أو فإن دخلوا في الإيمان بشهادةٍ مثلِ شهادتكم[٣]، أو فإن آمنوا هم بكتابكم كما آمنتم أنتم بكتابهم[٤] فقد اهتدوا.

ثالثًا: أن تكون الباء في قوله تعالى: ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ بمعنى (على)، أي: فإن آمنوا على مثلِ إيمانكم بالله فقد اهتدوا[٥].

رابعًا: أن تكون الباء في قوله تعالى: ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ للملابسة[٦]، أي: للمماثلة والمساواة في العقيدة[٧]، بمعنى: فإن آمنوا ملتبسين بمثل ما آمنتم ملتبسين به، من الانقياد والإذعان لأوامر الله دون إنقاص أو تفريق.

خامسًا: أن تكون الباء في قوله تعالى: ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ زائدة للتأكيد[٨]، و﴿مَآ﴾ مصدرية، وضمير ﴿بِهِۦ﴾ لله تعالى؛ بمعنى: إيمانًا مثل إيمانكم بالله عز وجل.

سادسًا: أن لفظ (مثل) مقحم[٩]؛ والمعنى: فإن آمنوا بما آمنتم به، أو بالذي آمنتم به، ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهما[١٠].

---

(١) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص١٩٥. ينظر: أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٦٧.

(٢) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص١٠٩.

(٣) ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص١٣٤. ينظر: الحلبي، **الدر المصون**، ج٢، ص١٤٠. ينظر: أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٦٧.

(٤) ينظر: الواحدي، **الوسيط**، ج١، ص٢٢١.

(٥) ينظر: الحلبي، **الدر المصون**، ج٢، ص١٤٠.

(٦) ينظر: أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٦٧. ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٧٤١.

(٧) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٧٤١.

(٨) ينظر: أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٦٧.

(٩) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٤، ص٧٣. ينظر: الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج١، ص٨٥. ينظر: أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٦٧. ينظر: حقي، **روح البيان**، ج١، ص٢٤٢.

(١٠) قراءة شاذة، لا يؤخذ بها إلا من جهة التفسير. ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ، ج١، ص١١٣. ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص٢١٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والقول بالتناوب أو بالزيادة، أو الإقحام في القرآن مرفوض من قبل الباحثة، فلكل حرف، ولكل كلمة معنى مراد، لا تصح الآية دونه، تنزيل من حكيم حميد[١].

الترجيح:

بعد النظر في هذا الموضع، يظهر للباحثة أن المقام في هذه الآية مقام تعيين الدين الحق، حتى لا يكون للخصم حجة في ذلك، وليس مقام تعيين الوسائل، والطرق التي توصل إليه، فلا تجد الباحثة داعيًا لترك تعيين الهدف، والانتقال منه إلى تعيين الوسائل، كما وجّه المفسرون ذلك في الدراسة السابقة.

فقد ظن أهل الكتاب أن الاهتداء عندهم فقط، لقول الله تعالى عنهم في السياق السابق: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ [البقرة:١٣٥]، ، فأجابهم الله على لسان نبيّه عليه السلام، قائلًا: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة:١٣٥]، ثم بيّن الله تعالى المنهج الصحيح للدين السليم، فقال تعالى:﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]، بدأ بالتوحيد وسلامة الاعتقاد، وأتبعه بقوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، أي الإيمان بما أنزل من الكتب، والرسالات بوساطة الوحي الإلهي، ثم عقبه بقوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦]، بمعنى الإيمان بالأنبياء وما أنزل إليهم، دون تفريق أو انحياز، لقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وختمها بقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦]، الانقياد والاستسلام الكامل لأوامر الله تعالى دون نقاش أو جدال أو اعتراض.

وبعد هذا البيان الواضح، بتفاصيل الدين الدقيقة، أرخى الله لهم العنان، وخاطبهم على قدر عقولهم، وأراد إثبات الحجة بدليل عملي عقلي برهاني، وبطريق الاستدراج، فأمرهم بالبحث العميق، فإن وجدوا دينًا آخرَ مثل دين الإسلام؛ مساويًا له في الصحة والسداد، دون أي تناقض، أو

(١) ناقشت الباحثة موضوعي التناوب، والزيادة في مواضع سابقة، ينظر: المطلب الأول من المبحث الثاني في الفصل الأول.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

نقص، فقد قُبِل منهم، لكن لما استحال وجود دين آخر يساوي الدين الحق، استحال الاهتداء بغيره. فالدين الصحيح واحد، لا مثيل له، ولا منافس له، وهو دين الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

أما القول الذي تعقبه أبو السعود على البيضاوي، ففيه أوجه:

أولًا: ذكر البيضاوي هذا القول بصيغة التضعيف (قيل)، ولم يتبنّه، ولم يعترض عليه صراحة.

ثانيًا: وجّه القونوي كلام البيضاوي في معنى تعدد الطرق؛ مبيّنًا أن للإيمان طريقان مغايران هما: القول، والاعتقاد، إلا أنهما متحدان في النوع، ومعنى (المثل) هو الاتحاد في النوع، ولا مساغ لاعتبار تعدد الطرق اختلاف في النوع لعدم مطابقته لواقع التعبير بلفظ (المثل)[١].

ثالثًا: ذكر شيخ زادة في حاشيته أنه لا إشكال من تعدد الطرق إذا اشتركت في الإيصال إلى المقصد الحق، موجّها معنى الطرق في كلام البيضاوي إلى طريقين: طريق النظر والاستدلال، وطريق التصفية والمجاهدة، وكل واحد من الطريقين على وجوه مختلفة، بحسب اختلاف المبادئ، ووجوه المجاهدات[٢].

رابعًا: إن استعمال القرآن لكلمة (إن) دليل على وجود فرضية، كما تُفرض الحالات[٣]، وكذلك تفيد الشك، الذي يوجه العقول للبحث عن اليقين[٤].

وكل من التوجيهات السابقة تعليل محتمل وممكن في حال كون الباء للاستعانة، وفي حال تبني البيضاوي لهذا الرأي صراحة. والله أعلم.

مما سبق يظهر للباحثة أن المحور الرئيسي الذي تمحورت حوله الآيات، هو تعيين الدين الصحيح، بأسلوب برهاني للوصول إلى التعجيز والتبكيت، ومن عادة القرآن استخدام مثل هذا الأسلوب في أكثر من موقع، قال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

بينما اعتمدت الوسائل التي ذكرها المفسرون في كلامهم على تعدد معاني الباء في اللغة، واجتهاد كل منهم بحسب المعنى المناسب للآية.

---

(١) ينظر: القونوي، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، ج٤، ص٢٨٢.
(٢) ينظر: زادة، **حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٤٣٨.
(٣) ينظر: السيالكوتي، **حاشيته على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٤٧٣.
(٤) ينظر: الطيبي، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب**، ج٣، ص١١٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فالباء في قوله: ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ هي للملابسة، كما ذكر أبو السعود في أحد الأوجه[١]، وكما رجح ابن عاشور، وهو ما ترجحه الباحثة أيضًا، حيث قال: "والباء في قوله: بمثل ما آمنتم به للملابسة وليست للتعدية أي إيمانًا مماثلًا لإيمانكم، فالمماثلة بمعنى المساواة في العقيدة، والمشابهة فيها، باعتبار أصحاب العقيدة، وليست مشابهة معتبرًا فيها تعدد الأديان، لأن ذلك ينبو عنه السياق، وقيل لفظ مثل زائد، وقيل الباء للآلة والاستعانة، وقيل: الباء زائدة، وكلها وجوه متكلفة"[٢]، وعليه، فإن حصلتم دينًا آخر، مساويًا لهذا الدين في الصحة والسداد فقد اهتديتم، ومقصودنا هدايتكم كيف ما كانت، والخصم إذا نظر بعين الإنصاف في هذا الكلام، وتفكّر فيه، علم أن دين الحق هو دين الإسلام، لا غير[٣]. والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص١٦٧.

(٢) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٧٤١.

(٣) ينظر: الطيبي، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب**، ج٣، ص١١٩. ينظر: السيالكوتي، **حاشيته على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٤٧٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثالث

التعقبات من الآية (٢٤٩) إلى نهاية سورة البقرة

المطلب الأول: التعقب في الآية (٢٤٩) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة:٢٤٩]

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. بالنصر **والإثابة**"[١].

التعقب:

قال أبو السعود: "﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فإن المراد به معية نصره وتوفيقه حتمًا، وحملها على المعية بالإثابة كما فعل[٢]، **يأباه** أنهم إنما قالوه تتميمًا لجوابهم، وتأكيدًا له بطريق الاعتراض التذييلي، تشجيعًا لأصحابهم، وتثبيتًا لهم على الصبر المؤدي إلى الغلبة، ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالإثابة قطعًا"[٣].

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن الله مع الصابرين بالنصر والإثابة، بينما يرى أبو السعود أن حمل المعية على الإثابة يأباه السياق.

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص١٥٢.

(٢) على الأغلب أنه يقصد البيضاوي، لأن الزمخشري لم يتطرق إلى هذا المعنى، والله أعلم. ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص١٥٢.

(٣) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص٢٤٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التحقيق والدراسة:

اختلف العلماء في المراد من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على قولين:

الأول: أن المراد من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ هو المعونة والنصرة[١]، بمعنى: أن الله يعين الصابرين على طاعته، وعلى الجهاد في سبيله، حتى يتمكنوا من النصر على العدو، بأمر من الله، وتأييد منه تعالى، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ من تمام كلامهم، ويحتمل أن يكون استئنافًا من كلام الله عز وجل[٢]. فالمصاحبة الكريمة التي منّ الله بها على عباده هي مصاحبة النصرة والتأييد والتوفيق.

الثاني: أن المراد من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ هو النصر والإثابة[٣]، حدثنا أبي، ثنا عبدة بن سليمان المروزي، ثنا ابن المبارك ابنا بن لهيعة، عن عطاء بن دينار، أن سعيد بن جبير، قال: "الصبر اعتراف العبد لله، بما أصاب منه، واحتسابه عند الله، ورجاء ثوابه وقد يجزع الرجل وهو متجلد، لا يرى منه إلا الصبر"[٤].

الترجيح:

بعد النظر في هذا الموضع يتبيّن للباحثة أن المراد بالمعية في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ هو معية نَصرِهِ وتوفيقِهِ حتمًا، وحملها على المعية والإثابة بعيد كل البعد، في حال

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٥، ص٣٥٣. ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج١، ص٣٣٢. ينظر: الماتريدي، **تفسيره**، ج٢، ص ٢٢٨. ينظر: الماوردي، **النكت والعيون**، ج١، ص٣١٨، ينظر: السمرقندي، **بحر العلوم**، ج١، ص١٦٤. ينظر: الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ج٢، ص ٢١٧. ينظر: القيسي، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج١، ص٨٣١. ينظر: الواحدي، **الوسيط**، ج١، ص٣٦٠. ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص٣٣٦. ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج١، ص٢٢٦. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٦، ص٥١٤. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٢، ص٥٩٢. ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢، ص ٤٩٩. ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج١، ص٥٦٣.

(٢) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٢، ص٥٩٢. ينظر: الحلبي، **الدر المصون**، ج٢، ص٥٣٣. ينظر: ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج٤، ص٢٨٧.

(٣) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص١٥٢.

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد ٢٨/٢ ومن طريقه ابن ابي حاتم في تفسيره ١٠٢/١ (٤٨٥) وابن أبي الدنيا في الصبر والثواب عليه عن ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير. وعطاء بن دينار قال ابن حجر في التقريب: صدوق إلا أن روايته عن سعيد بن جبير صحيفة، ففي السند انقطاع. وابن لهيعة قال فيه ابن حجر: صدوق، خلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما.

ينظر: ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التركي ثم المرْوزي، **الزهد والرقائق**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

ينظر: ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، **الصبر والثواب عليه**، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ط١، دار ابن حزم، ١٤١٨هـ، بيروت.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

اعتبار الآية تتميمًا لكلامهم، تشجيعًا لهم على القتال في سبيل الله، تقويةً لعزائمهم، تثبيتًا لهم في ساحة المعركة، كما رجح أبو السعود، ومن ثم الباحثة، للأسباب الآتية:

أولًا: عندما يتصور القارئ لكتاب الله الأحداث المتتالية في هذه المعركة، فإنه يدرك مدى حاجة المسلمين آنذاك لسلاح معنوي، يُشَد به أزرهم، وتثبت به أقدامهم، في وقت فقدوا فيه العدد والعدة، وانقطعت بهم الأسباب المادية، وتجردوا من كل وسائل النصر، وخوفًا على المسلمين من التراجع والفرار يوم الزحف، أنار القرآن بصيرتهم، ووجههم إلى ما ينفعهم، وهو اللجوء إلى الله تعالى، متضرعين إليه، متمسكين بسلاح الصبر، طلبًا للعون على الجهاد في سبيله، رغبةً في النصر والتوفيق لأمره.

ثانيًا: السياق اللاحق للآيات يفسر المراد بالمعية المرجوة، في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ويؤيد أنها معية نَصرٍ، وتثبيته، وتوفيقِهِ، لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠]. وهذا كل ما احتاجه المسلمون آنذاك.

ثالثًا: أن الإثابة هي ثمرة العمل الصالح، والنتيجة النهائية له، وهي مبتغى كل مسلم بلا شك، إلا أنه ما احتاجه المسلمون في ذلك الوقت العصيب هو السبيل المؤدي إلى النصر، وأسباب العون والتثبيت الموصلة إليه، فطلبوا النصر بسلاح الصبر، لكونهم على يقين بمعية الله للصابرين.

رابعًا: أما على اعتبار أن يكون قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، استئنافًا[1]، من كلام الله تعالى، يُحتمل أن تُحمل المعية على التشجيع، والوعد بالنصر والإثابة لمن تحلى بالصبر والثبات، لكونها صادرة من قبل الله عز وجل، عندها يكون لكلام البيضاوي وجه. والله تعالى أعلم.

(١) ترجح الباحثة الرأي الأول؛ وهو: أن الآية تكملة لكلامهم، والقرينة في ذلك السياق. إلا أنها تعرض جميع الاحتمالات الممكنة نصرة للحق. والله أعلم.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثاني: التعقب في الآية (٢٥٩) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾، تقديره: (**أو أرأيت مثل الذي**)، فحذف؛ لدلالة (ألم تر) عليه"[(١)].

التعقب:

قال أبو السعود: " وأما جعل الهمزة لمجرد التعجيب على أن يكون المعنى في الأول: (ألم تنظر إلى الذي حاج) الخ، أي انظر إليه وتعجب من أمره، وفي الثاني: (أو أرأيت مثل الذي مر) الخ، إيذانًا بأن حاله وما جرى عليه في الغرابة، بحيث لا يرى له مثل، كما استقر عليه رأي الجمهور، **فغير خليق** بجزالة التنزيل، وفخامة شأنه الجليل، فتدبر"[(٢)].

محل النزاع:

يرى البيضاوي أن قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾، تقديره: (أو أرأيت مثل الذي مرّ)، فحذف؛ لدلالة (ألم تر) عليه، بينما يرى أبو السعود أن حال (أو أرأيت مثل الذي مرّ) الخ، وما جرى عليه في الغرابة، بحيث لا يرى له مثل، كما استقر عليه رأي الجمهور، فغير خليق بجزالة التنزيل، وفخامة شأنه الجليل.

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص١٥٦.

(٢) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص٢٥٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التحقيق والدراسة:

ذكر العلماء أربعة أوجه في قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِى﴾، على النحو الآتي:

أولًا: أنه عطف على المعنى[١]، وتقدير الكلام: هل رأيتَ كالذي حاجَّ إبراهيم، أو كالذي مَرَّ على قرية. فإن من شأن العرب العطف بالكلام على معنى نظير له قد تقدمه، وإن خالف اللفظ، وإليه نحا الكسائي[٢] والفراء[٣] ومكي[٤].

ثانيًا: أنه منصوب على إضمار فعل[٥]، قال الزمخشري: "أو كالذي: معناه: أو رَأَيْتَ مثلَ الذي"[٦]، فحذفت لدلالة (ألم تر) عليها في الآية المتقدمة، فإن إضمار الفعل لدلالة المعنى عليه، أسهل من العطف على المعنى[٧].

ثالثًا: أن الكاف زائدة[٨]، وتقديره: ألم تَرَ إلى الذي حاجَّ، أو إلى الذي مَرَّ على قريةٍ. وهو مردود؛ لأنَّ الأصلَ عدمُ القول بالزيادةِ في كتاب الله.

رابعًا: أن الكاف اسم لا حرف[٩]، بمعنى مثل، وتقديره: ألم تَر إلى الذي حاجَّ، أو إلى مثْل الذي مرَّ.

الترجيح:

بعد النظر في هذا الموضع يتبين للباحثة أن ما ذكره أبو السعود هو الرأي الدقيق والراجح عندها، للتفصيل الآتي:

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٥، ص٤٣٨. ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج١، ص ٣٤٢. ينظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط١، دار القلم، ١٤١٥هـ، دمشق، ج١، ص١٨٥. ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج١، ص٣٤٧. ينظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج١، ص٢٣٣. ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص٢١٣. ينظر: ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج١، ص١٣٣. ينظر: الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج١، ص١٩٣. ينظر: الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ج١، ص٥٠٨. ينظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ج٢، ص١٩٧. ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣، ص٣٤. ينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج٢، ص٩٦٠. ينظر: النحاس، **معاني القرآن**، ج١، ص٢٧٩. ينظر: ابن جني، **الخصائص**، ج٢، ص٤٢٥.

(٢) لم يُعثر على كلام الكسائي في كتبه التي توصلت إليها، ووجدته منقولًا في كتب التفسير. ينظر: القيسي، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج١، ص٨٦٢. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٧، ص٢٦. ينظر: الحلبي، **الدر المصون**، ج٢، ص٥٥٦. ينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج٢، ص٢٤. ينظر: النحاس، **معاني القرآن**، ج١، ص٢٧٩. ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج٢، ص٢٠.

(٣) ينظر: الفراء، **معاني القرآن**، ج١، ص١٧٠.

(٤) ينظر: القيسي، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج١، ص٨٧٠.

(٥) ينظر: الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب، **السراج المنير**، مطبعة بولاق، ١٢٨٥هـ، القاهرة، ج١، ص١٧٢. ينظر: الحلبي، **الدر المصون**، ج٢، ص٥٥٧.

(٦) الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص٣٠٦.

(٧) ينظر: ابن هشام، **مغني اللبيب**، ج١، ص٦٢٤.

(٨) ينظر: الأخفش، **معاني القرآن**، ج١، ص١٩٧.

(٩) ينظر: الحلبي، **الدر المصون**، ج٢، ص٥٥٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أولًا: أن القول بعطف ﴿كَٱلَّذِى مَرَّ﴾ على ﴿ٱلَّذِى حَآجَّ﴾ لا يستقيم، لسببين[١]: الأول: أن عطفه عليه يستلزم دخول (إلى) على (الكاف) في قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِى﴾، ولا يجوز دخول حرف جر عليها، إن كانت حرف جر، وإن كانت اسمًا فهي شبيهة بالحرفية في عدم التصرف، فلا يدخل عليها الحروف إلا ما ثبت دخوله عليها في كلام العرب، وهو (عن)، على قلة ذلك. والسبب الثاني: أن عطف ﴿كَٱلَّذِى مَرَّ﴾ على ﴿ٱلَّذِى حَآجَّ﴾ يستلزم وقوعه في حيز (ألم تر) كالمعطوف عليه، وهو قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ﴾، وذلك لا يستقيم من حيث المعنى؛ لأن (ألم تر) و(أرأيت) إن كانا مستعملين بمعنى التعجب، فإن الأول يتعلق بالمتعجب منه، والثاني يتعلق بمثل المتعجب منه، وهذا لا يصح من جانب المعنى؛ فيقال: أرأيت مثل الذي صنع كذا، بمعنى أنه من الغرابة، بحيث لا يرى له مثل، كما ذكر أبو السعود.

ولما لم يستقم عطف ﴿كَٱلَّذِى مَرَّ﴾ على ﴿ٱلَّذِى حَآجَّ﴾ احتاج المفسرون إلى تأويلات عدة، سواء من جهة المعطوف، كجعله متعلقًا بمحذوف (أرأيت)، ويكون من باب عطف الجملة على الجملة، وحذف العامل لدلالة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ عليه، أو جعله من باب عطف المفرد فقالوا بزيادة الكاف، وهذا مردود، أو أن يحمل على المعنى دون اللفظ كما ذكر الزمخشري[٢]، أو عدم القول بالعطف مطلقًا، إنما هو من تتمة كلام إبراهيم عليه السلام، وهذا بعيد أيضًا، للفصل وكثرة التقدير[٣].

ثانيًا: تعد (ألم تر) كلمة يقف عليها المخاطب على أمر يتعجب منه، بمعنى: ألم تر إلى فلان كيف صنع هذا، أي انظر إليه وتعجب منه، كذلك (أرأيت) تعد كلمة تعجب، لكن إذا قيل: أرأيت فلانًا كيف يصنع هذا، معناه: ما رأيته فتعجب منه. لذلك لا يستقيم القول بعطف ﴿كَٱلَّذِى مَرَّ﴾ على ﴿ٱلَّذِى حَآجَّ﴾، لأن معناه: أنظر إلى مثل الذي مر وتعجب من الذي مر، وهذا المعنى غير صحيح[٤].

---

(١) ينظر: زادة، **حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٥٧٢-٥٧٣.
(٢) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص٣٠٦.
(٣) ينظر: زادة، **حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٥٧٢-٥٧٣.
(٤) ينظر: القونوي، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، ج٥، ص٤١٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثالثًا: قد تكون الآيات من قبيل التمثيل والتشبيه[١]، بمعنى: أرأيت كالذي حاج أو كالذي مر[٢].

رابعًا: لا شك أن استعمال (ألم تر) في الكلام يعد أسلوبًا من أساليب التعجب في العربية، إلا أنه لا بد من نكتة بلاغية عند إظهاره أو إضماره أو عدم استعماله، وهذا ما لمسته الباحثة في سياق الآيات؛ فقد استعمله القرآن في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ظاهرة دالة على التعجب من حال الكافر، والسبب المبالغة في إنكاره للحق، ومجادلته في الباطل، بينما أضمره في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] حين تعجب من أمر المؤمن -على أغلب الأقوال – لأنه لم يكن متعجبًا من قدرة الله في إحياء القرية؛ بمعنى استبعاده لذلك كحال الكافر، فهو مؤمن بالبعث، بل تعجب من باب استعظامه لهذا الأمر الذي في غاية البعد بالنسبة لمجاراة العادات، لكنه في غاية اليسر بالنسبة إلى الله تعالى بلا شك. أما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى﴾[البقرة: ٢٦٠] لم يستعمل القرآن أسلوب التعجب عند حواره مع نبي؛ وهو إبراهيم عليه السلام، لبلوغ النبي أعلى درجات اليقين بقدرة الله تعالى، وهذا ليس بأمر عجيب بالطبع.

ومن هنا يظهر للباحثة لمسات الإعجاز البياني في أسلوب القرآن ونظمه الذي يرسم للقارئ صورة المتعجِب بدرجات متفاوتة، تتناسب وحاله في كونه كافرًا أو مؤمنًا أو نبيًا، مبينًا مراتب الإيمان، حاثًّا للوصول إلى أعلاها، بأدلة عينية قامت على المشاهدة، والتي بدورها تقود القارئ إلى بلوغ عين اليقين في معرفة قدرته تعالى. والله أعلم.

(١) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣، ص٣٤.
(٢) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص٣٠٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثالث: التعقب في الآية (٢٦٢) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢ ﴾ [البقرة: ٢٦٢]

القول المتعقب عليه:

قال البيضاوي: "﴿لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢﴾، لعله لم يدخل الفاء فيه، وقد تضمن ما أسند إليه معنى الشرط **إيهامًا بأنهم أهل لذلك، وإن لم يفعلوا، فكيف بهم إذا فعلوا**"(١).

التعقب:

قال أبو السعود: "وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها؛ للإيذان بأن ترتب الأجر على ما ذكر من الإنفاق، وترك إتباع المن والأذى، أمر بيّن لا يحتاج إلى التصريح بالسببية، وأما إيهام أنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا، فكيف بهم إذا فعلوا، **فيأباه** مقام الترغيب في الفعل والحث عليه"(٢).

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي أن عدم دخول فاء السببية على قوله تعالى: ﴿لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾، للإيهام بأنهم أهلٌ لذلك الأجر، وإن لم يفعلوا، فكيف بهم إذا فعلوا، بينما يرى أبو السعود أن هذا التعليل يأباه مقام الترغيب في الفعل، والحث عليه.

التحقيق والدراسة:

ذكر العلماء عدة أقوال عند اقتران الفاء وعدمه بقوله تعالى: ﴿لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾، على النحو الآتي:

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص١٥٨.

(٢) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص٢٥٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أولًا: عدم اقتران الفاء المفيدة للسببية بقوله تعالى: ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، لأن الموصول لم يضمن هاهنا معنى الشرط. وضمنه ثمة[١]، وكان عدم التضمين هنا لأن هذه الآية مفسرة للآية التي قبلها[٢].

ثانيًا: إن مقتضى الظاهر أن تدخل الفاء في حيز الموصول لتضمنه معنى الشرط عند فريق من العلماء، لكنه عدل عن ذلك إيهامًا بأن هؤلاء المنفقين مستحقون للأجر لذواتهم، بحسب استعدادهم الفطري لاكتساب الخيرات، لا لوصف الإنفاق[٣]، "فإن الاستحقاق استحقاق وصفي"[٤].

ثالثًا: إن تخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها، للإيذان بأن ترتيب الأجر على ما ذكر من الإنفاق وترك اتباع المنّ والأذى- أمر بيّن لا يحتاج إلى التصريح بالسببية[٥].

الترجيح:

بعد النظر في هذا الموضع يتبين للباحثة أن لرأي أبي السعود وجهة نظر مقبولة، من جهة، وأخرى غير مقبولة.

فإذا نظرت الباحثة إلى كلامه، توافقه على أن تخلية الخبر عن فاء السببية للإيذان بأن ترتب الأجر على الإنفاق في سبيل الله، وترك إتباع المن والأذى، أمر بيّن لا يحتاج إلى التصريح بالسببية، إلا أنها لا توافقه في قوله: "وأما إيهام أنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا، فكيف بهم إذا فعلوا يأباه مقام الترغيب في الفعل والحث عليه"، بل فيه ترغيب دقيق من خلال استعمال أسلوب مؤثر في الإقناع والتشجيع، إلا إذا أُخِذَ الكلام على ظاهره كما بدا للباحثة للوهلة الأولى فلا اعتراض عليه، لذا تقوم الباحثة بسرد بعض التفصيلات التي توضح مقصدها السابق، على النحو الآتي:

أولًا: لم تضمن الآية معنى الشرط؛ لأنها مفسرة للآية المتقدمة، التي أخرجت مخرج الثابت المفروغ منه، وهو نسبة إنفاقهم بالسنبلة الموصوفة، وهي كناية عن حصول الأجر الكثير، فجاءت هذه الآية، وأخرج المبتدأ والخبر فيهما مخرج الشيء الثابت المستقر، الذي لا يكاد خبره يحتاج إلى تعليق استحقاق بوقوع ما قبله، بخلاف ما إذا دخلت الفاء فإنها مشعرة بترتب الخبر على المبتدأ، واستحقاقه به[٦].

---

(١) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص٣١٢.

(٢) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٢، ص٦٥٩.

(٣) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج٢، ص٣٤. ينظر: القونوي، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، ج٥، ٤٢٩.

(٤) زادة، **حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي**، ج١، ص٥٧٧.

(٥) ينظر: أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص٢٥٨. بتصرف يسير. ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج٢، ص٣٤. ينظر: حقي، **روح البيان**، ج١، ص٤١٩.

(٦) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٢، ص٦٥٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثانيًا: لا شك أن مطلق الإنفاق يوجب الأجر كما بينت بعض الآيات في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة:٢٧٤]، فكيف بمن أنفق ماله في سبيل الله لنصرة دينه أولًا، ولم يلحق هذا الإنفاق بالمن والأذى ثانيًا؟ استحق مباشرةً الأجر المذكور دون أي تعقيب، فالمقام ليس مقام شرط وجزاء، بل مقام نيل الأجر العظيم مباشرة للمستحق الذي بلغ أعلى درجات الإنفاق.

ثالثًا: لمّا كان المراد في الآية إنفاقًا خاصًّا، بوصفٍ خاصٍ - وهو سلامته من المن والأذى - كان ترتيب الأجر عليه كالمعلوم بالبديهة، وكالمستفاد من اللفظ، لم يحتج إلى الفاء لتحقق الارتباط، لكونه بيّنًا، ولا يحتاج إلى التصريح بالسببية، كما ذكر أبو السعود.

رابعًا: تلحظ الباحثة في كلام البيضاوي أسلوبًا تربويًا في ترغيب المخاطب، يفتقر إليه الأغلبية، وهو: إذا بلغك أن فلانًا بخيل -على سبيل المثال- يقوم الشخص بالمقابل بتبديل الوصف السيء بنقيضه وإقناعه فيه، وذلك بوصفه بالكرم، ومدحه أمام الجميع، بل والادعاء بأنه أول المبادرين إلى الإنفاق والعطاء، فإن ذلك من شيمه التي يُعرف بها بين الناس، وأن الكرم متأصل من أجداده إلى أن وصل إليه.

والنتيجة، يسرع الموصوف في الاستجابة، والامتثال لهذا السلوك الطيب، ولا يكون منه إلا أن يصدق ذلك الوصف على نفسه، ويلتزم به.

يعتبر هذا الأسلوب التربوي غير المباشر من أنجح الأساليب في محاولة تقويم الآخرين، ومساعدتهم في التغلب على حظ النفس، فالنفس مجبولة على حب المال، والمحافظة عليه، لذلك كان لهذا الأسلوب وقعٌ على المخاطبين، فهم مختلفون في الطباع، وفي رغبة الإنفاق، لذا ذكر البيضاوي أن هؤلاء المنفقين مستحقون للأجر لذواتهم، وما ركز في نفوسهم من نية الخير، لا لوصف الإنفاق، فإن الاستحقاق به استحقاق وصفي. وعليه يظهر رجحان هذ الوجه، وهو الراجح عند البيضاوي، والله تعالى أعلم.

المطلب الرابع: التعقب في الآية (٢٨٥) من سورة البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥]

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول المتعقب عليه:

قـــال البيضـــاوي: "﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾، **لا يخلو من أن يعطف المؤمنون على** ﴿ٱلرَّسُولُ﴾، فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعًا إلى الرسول والمؤمنين، أو يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين. وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ، ويكون إفراد الرسول بالحكم، إما لتعظيمه، أو لأن إيمانه عن مشاهدة وعيان، وإيمانهم عن نظر واستدلال"[١].

التعقب:

قال أبو السعود: "وقد جُوِّز أن يكون قوله تعالى﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ معطوفًا على الرسول، فيوقف عليه، والضمير الذي عُوِّض عنه التنوين راجعٌ إلى المعطوفيْنِ معًا، كأنه قيل: آمن الرسول والمؤمنون بما أنزل إليه من ربه، ثم فَصّل ذلك، وقيل: كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله إلخ، خلا أنه قدم المُؤمَن به على المعطوف؛ اعتناءً بشأنه، وإيذانًا بأصالته، عليه السلام في الإيمان به، ولا يَخفى أنه مع خلوه عما في الوجه الأول من كمال إجلال شأنه، عليه السلام، وتفخيم إيمانه، **مخل بجزالة النظم الكريم**؛ لأنه إن حمل كل من الإيمانين على ما يليق بشأنه عليه السلام، من حيث الذات، ومن حيث التعلق بالتفاصيل، استحال إسنادهما إلى غيره عليه السلام، وضاع التكرير، وإن حملا على ما يليق بشأن آحاد الأمة كان ذلك حطًا لرتبته العلية، عليه السلام، وأما حملهما على ما يليق بكل واحد ممن نسبا إليه من الآحاد ذاتًا وتعلقًا، بأن يحملا بالنسبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم على الإيمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل، وبالنسبة إلى آحاد الأمة على الإيمان المكتسب من جهته عليه السلام، اللائق بحالهم في الإجمال والتفصيل، **فاعتساف** بيّن، ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله"[٢].

تحرير محل النزاع:

يرى البيضاوي جواز عطف ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ على ﴿ٱلرَّسُولُ﴾، في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، بينما يرى أبو السعود أن المعنى المترتب على هذا العطف، مخل بجزالة النظم الكريم، وفَصّل ذلك في كلامه.

---

(١) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص١٦٦.

(٢) أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص٢٧٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التحقيق والدراسة:

ذكر العلماء احتمالات في إعراب قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، والمعاني المترتبة على ذلك، على النحو الآتي:

أولًا: أن يتم الكلام عند قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، وهي معطوفة على ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ عليه السلام، ويكون التنوين في ﴿كُلٌّ﴾ نائبًا عن الضمير، راجعًا إلى الرسول عليه السلام والمؤمنين، وعليه يكون المعنى: آمن الرسول عليه السلام والمؤمنون بما أنزل إليه من ربه، ثم يستأنف بقوله تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ...﴾، على الابتداء، والمعنى: كل واحد من المذكورين آمن؛ أي الرسول عليه السلام، والمؤمنون(١).

ثانيًا: أن يتم الكلام عند قوله تعالى: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾، ثم يستأنف بقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ...﴾، على الابتداء، ويكون التنوين في ﴿كُلٌّ﴾ نائبًا عن الضمير، راجعًا إلى المؤمنين، وعليه يكون المعنى: آمن الرسول عليه السلام بما أنزل إليه من ربه، أما المؤمنون فقد آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله(٢).

ثالثًا: ذكر العلماء الاحتمالين السابقين، مع ترجيح الاحتمال الأول(٣).

رابعًا: ذكر العلماء الاحتمالين السابقين، مع ترجيح الاحتمال الثاني(٤).

خامسًا: ذكر العلماء الاحتمالين السابقين، دون ترجيح أحدهما على الآخر(٥).

---

(١) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣، ص١٣٢. ينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج٢، ص١٠٨٧.

(٢) ينظر: أبو السعود، **الإرشاد**، ج١، ص٢٧٤. ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٧، ص١٠٦. ينظر: القونوي، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، ج٥، ص٤٩٩-٥٠٠.

(٣) ينظر: ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج١، ص١٤٢. ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٢، ص٧٥٦. ينظر: الكواشي، موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف الموصلي، **التلخيص في تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محيي هلال السرحان، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٨هـ، بغداد، ج٢، ص٤٢٨. ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج٢، ص٦٥.

(٤) ينظر: ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج٤، ص٥٢٤. ينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج٢، ص٨٦.

(٥) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص٣٣١. ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، ص١٦٦. ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص٢٣٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الترجيح:

بعد النظر في هذا الموضع يتبيّن للباحثة دقة أبي السعود في تفصيل الآية، وتقديمه المعنى الأصح على أوجه الإعراب الجائزة لغة، كما اتضح ذلك من خلال كلامه، فقد جوز العلماء عطف قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ على ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ في الآية، والوقف عليها، ويكون الضمير الذي عُوض عنه التنوين في ﴿كُلٌّ﴾ راجعًا إليهما معًا، كأنه قيل: آمن الرسول والمؤمنون بما أنزل إليه من ربه، ثم فصل ذلك؛ بأن كل واحد من الرسول عليه السلام والمؤمنين آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، ويقوي هذا الوجه ما يأتي:

أولًا: قراءة علي بن أبي طالب، وهي: ما أخرجه أبو داود في المصاحف عن علي رضي الله عنه، أنه قرأ: وآمن المؤمنون[١].

ثانيًا: أن يكون الرسول عليه السلام أصلًا في حكم الإيمان بما أنزل إليه، والمؤمنون تابعون له، ويا فخرهم بذلك[٢].

بينما يُضعف هذا الوجه ما ذكره أبو السعود، على النحو الآتي:

أولًا: خلو المعنى من إجلال شأنه عليه السلام، وتفخيم إيمانه؛ لأنه قرن إيمان المؤمنين -بما يتخلله من تفاوت- بإيمان النبي عليه السلام، وشتان بين الإيمانين.

ثانيًا: إنْ حُمِل كل من الإيمانين على ما يليق بشأنه عليه السلام، من حيث الذات، ومن حيث التعلق بالتفاصيل، يستحيل إسنادهما إلى غيره عليه السلام.

ثالثًا: إنْ حُمِل كل من الإيمانين على ما يليق بشأن آحاد الأمة، كان ذلك حطًا لرتبته العلية، عليه السلام.

رابعًا: إنْ حُمِل كل من الإيمانين على ما يليق بكل واحد ممن نسبا إليه من الآحاد ذاتًا وتعلقًا، بأن يحملا بالنسبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم على الإيمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل، وبالنسبة إلى آحاد الأمة على الإيمان المكتسب من جهته عليه السلام، اللائق بحالهم في الإجمال والتفصيل، فاعتساف بيّن، ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله[٣].

---

(١) حدثنا: عبد الله، حدثنا: محمد بن عبد الله المخرمي، حدثنا: مسهر بن عبد الملك، حدثنا: عيسى بن عمر، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن، عن علي أنه قرأ «وآمن الرسول بما أنزل إليه وآمن المؤمنون». أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ص١٦٤ وهذا إسناده ضعيف، فيه مسهر بن عبد الملك قال فيه ابن حجر في التقريب: ليّن الحديث.

ينظر: ابن أبي داود، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، **كتاب المصاحف**، تحقيق: محمد بن عبده، ط١، الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ، مصر، ج١، ص١٦٤. وهي قراءة شاذة، لا يستدل بها على الحكم.

(٢) ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج٢، ص٦٥.

(٣) هذه الأسباب التي ذكرها أبو السعود. بتصرف يسير.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

خامسًا: إن هذا الوجه يشعر بأن الرسول عليه السلام ما كان مؤمنًا بربه، ثم صار مؤمنًا[١]، وهذا الكلام غير مقبول؛ لأنه عليه السلام كان عارفًا بربه قبل الرسالة، وسيرته العطرة عليه السلام أكبر دليل على ذلك.

بناء على ما سبق، تتضح الأسباب التي دفعت أبا السعود إلى عدم ترجيح وجه العطف، والقيام بترجيح وجه الابتداء بقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾، وهو الوجه الراجح عند الباحثة كذلك، للأسباب الآتية:

أولًا: أن إيمان الرسول عليه السلام بما أنزل إليه من ربه كان عن طريق الوحي، وهو خاص بالرسول عليه السلام؛ لأن غيره لا يتمكن من الإيمان به[٢].

ثانيًا: أن هذا الوجه إشعار بأن الذي حدث هو إيمانه بالشرائع التي نزلت عليه، لقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]، أما إيمانه على الإجمال، فقد كان حاصلًا منذ خلق من أول الأمر[٣].

ثالثًا: أن المقام مقام مدح وتعظيم للرسول عليه السلام، وإن إفراد إيمانه عليه السلام عن غيره من المؤمنين، يفي بهذا الغرض.

رابعًا: التنبيه على أن إيمانه عليه السلام من جهة الكيف لا يماثله إيمان أحد على الإطلاق، وكأنهما نوعان.

خامسًا: أن الضمير في ﴿كُلٌّ﴾ يعود على الرسول عليه السلام، وعلى المؤمنين – على وجه العطف - وليس من عادة القرآن أن يذكر الرسول عليه السلام بهذا الأسلوب، لما فيه من تقليل شأنه عليه السلام، إنما يذكره دائمًا بإضافته إلى الربوبية، كما بينت الآية في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾، وفيه ما لا يخفى من التعظيم لقدره الشريف، والتنويه برفعة محله المنيف. والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٧، ص١٠٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) ينظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج٢، ص٨٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الخاتمـــة

أولاً: نتائج الدراسة

بعد الانتهاء من هذه الدراسة المتواضعة، تسجل الباحثة ما توصلت إليه بإيجاز:

- دقة أبي السعود في تتبع أقوال البيضاوي، وتعقبه لها بأدب جم.
- تعقَّب أبو السعود أقوال البيضاوي المنقولة بصيغة التضعيف، مما يلفت النظر إلى أنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وتتبعها، وذكر علتها، والرأي الراجح فيها.
- اهتم أبو السعود بجانب المعنى، واعتمد عليه في قبول أي وجه من الأوجه اللغوية الجائزة، أو التفسيرية التي تناسبه، والتي تساعد على ثرائه.
- لاختلاف المعاني أثر في اختلاف وجوه الإعراب، إذ الإعراب فرع المعنى، وهذا يبيّن دقة فهم أبي السعود، وعمق إدراكه.
- عدم القول بتناوب الحروف، في كتاب الله، وأن لكل حرف من حُرُوف المعاني وجهًا هو به أولى من غيره، كما رجح أبو السعود.
- لا يكتفي أبو السعود بصحة الإعراب من جهة الصناعة فحسب، بل يشترط سلامته من جهة المعنى
- اعتمد أبو السعود على سباق الآية ولحاقها في ترجيحاته.
- يرد أبو السعود كل ما لا يليق بشأن التنزيل من معاني، كما بينت الدراسة.
- ذكر أبو السعود قرينتي النظم والمقام في تعقباته، وكلها ترجع إلى معنى السياق عنده.
- تأثر أبو السعود بشكل واضح بأهل اللغة، والمفسرين المتقدمين، خاصة الزمخشري، والبيضاوي.
- بروز أقوال أبي السعود عند من جاء بعده من المفسرين، وبيان أثره في تفاسيرهم.
- مما تميز به أبو السعود هو عنايته بالمرجحات المتعلقة بعلم اللغة، وبترتيب النظم، والمقام، والسياق، وغيرها، لما تحمله هذه المرجحات من لطائف بيانية، وأسرار بلاغية.
- وُفِّق أبو السعود في أغلب تعقباته على كلام البيضاوي للصواب كما بيّنت الدراسة، لكنّ الأمر محصور في سورتي الفاتحة، والبقرة، لا غيرهما.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- أكثر ترجيحات أبي السعود تتعلق بالمعنى، والإعراب، وقلَّما يرجح في مسألة فقهية، أو عقدية.
- يتبين من الدراسة، أن أبا السعود لم يكن ناقلًا مقلدًا للبيضاوي، بل كان عالمًا محققًا، وإمامًا مجتهدًا.

ثانيًا: التوصيات

توصي الباحثة طلبة العلم بما يأتي:

- الاعتناء بدراسة التفاسير بدقة وجدية، والمقارنة بين أقوال المفسرين، وبيان سبب اختلافهم، وبيان الراجح من أقوالهم، ليتم الوصول إلى أقرب المعاني، وأدقها في فهم كتاب الله عز وجل.
- الاعتناء بالحواشي عامة، وحاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي خاصة، وذلك بترتيبها، وذكر الآيات في مواقعها، وفهرستها، حتى يسهل على القارئ الوصول إلى المعلومة، بأقل وقت وجهد ممكن.
- البحث عن مخطوطات لحواشي أبي السعود، وتحقيقها، فتفسيره بحاجة إلى حاشية علمية توضح ما أُشكِل فَهمُه.
- القيام بعمل الأبحاث العلمية في كتاب الله، بأساليب منهجية، وإعمال العقول فيما يثري تفسيره.

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يكسو هذا البحث حُلَّة الإخلاص والقبول، وأن يجعل عملي في ميزان حسناتي، وسبباً في نجاتي يوم الجزاء؛ إنه سميع قريب مجيب الدعوات. وصلى الله وسلم على نبينا ورسولنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾ [يونس: ١٠]

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فهرس المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم.

٢) ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ.

٣) أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، **مسنده**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ.

٤) الأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء البلخي (ت ٢١٥هـ)، **معاني القرآن**، تحقيق: هدي قراعة، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤١١هـ.

٥) الأدنه وي، أحمد بن محمد (ت ق. ١١هـ)، **طبقات المفسرين**، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ١٤١٧هـ.

٦) الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت ٣٧٠هـ)، **معاني القراءات**، ط١، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعودية، ١٤١٢هـ.

٧) الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن (ت ٦٨٦هـ)، **شرح الرضي على الكافية**، تعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ليبيا، ١٣٩٨هـ.

٨) الإشبيلي، ابن أبي الربيع القرشي الأموي العثماني (ت ٦٨٨هـ)، **تفسير الكتاب العزيز وإعرابه**، تحقيق: علي بن سلطان الحكمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية.

٩) الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق: محمد بسيوني، ط١.

١٠) الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان الداودي، ط١، دار القلم، دمشق، سوريا، ١٤١٢هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١١) الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (ت ٢١٦هـ)، **الأصمعيات**، أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط٧، دار المعارف، مصر، ١٩٩٣م.

١٢) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.

١٣) ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري (ت ٥٧٧هـ)، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين**، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ.

١٤) الآيديني، علي بن بالي (ت ٩٩٢هـ)، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)**، تصحيح: سيد محمد طباطباني بهبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ.

١٥) البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد، **الحماسة**، تحقيق: محمد إبراهيم حوَّر وأحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٨هـ.

١٦) البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، **الأدب المفرد**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، باب من لم يشكر الناس، رقم (٢١٨)، ط٣، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

١٧) البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المشهور بصحيح البخاري**، تحقيق: محمد بن زهير ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

١٨) ابن بري، عبد الله (ت ٥٨٢هـ)، **شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي**، تحقيق: عيد مصطفى درويش، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، ١٤٠٥هـ.

١٩) البغدادي، إسماعيل باشا (ت ١٣٣٩هـ)، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٣٨٧هـ.

٢٠) البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤١٨هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢١) البغوي، الحسين بن مسعود (ت ٤٦٢هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ.

٢٢) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت ٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.

٢٣) بوست، جورج، **فهرس الكتاب المقدس**، ط٢، المطبعة الأمريكانية، بيروت.

٢٤) البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٦٩١هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ.

٢٥) البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٦٩١هـ)، **الغاية القصوى في دراية الفتوى**، تحقيق: علي محي الدين القره داغي، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٤٢٩هـ.

٢٦) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت ٤٥٨هـ)، **الأسماء والصفات**، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، ط١، مكتبة السوادي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ.

٢٧) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت ٤٥٨هـ)، **البعث والنشور**، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ط١، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ.

٢٨) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت ٤٥٨هـ)، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ.

٢٩) الترمذي، محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم، **نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان.

٣٠) الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، **سننه**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط٢، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٣١) تقي الدين، عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي (ت ٦٠٠هـ)، **عمدة الأحكام من كلام خير الأنام صلى الله عليه وسلم** - كتاب الحدود – تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار الثقافة العربية.

٣٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت ٧٢٨هـ)، **شرح كتاب مقدمة في أصول التفسير**، شرح: محمد بن عمر بازمول، ١٤٢٤هـ.

٣٣) الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت ٨٧٢هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ.

٣٤) الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: ابن عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ.

٣٥) الجدعاني، مجمول بنت أحمد بنت حميد، **الاستدراك الفقهي تأصيلًا وتطبيقًا**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

٣٦) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي (ت ٤٧١هـ)، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٣، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ١٤١٣هـ.

٣٧) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت ٨١٦هـ)، **التعريفات**، تصحيح: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ.

٣٨) الجرجاويّ، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الأزهري زين الدين المصري (ت ٩٠٥هـ)، **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ.

٣٩) ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ)، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: علي الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

٤٠) ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٤١) الجشمي، أبو سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي (ت ٤٩٤هـ)، **التهذيب في التفسير**، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان السالمي، ط١، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، ١٤٣٩هـ.

٤٢) الجمل، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي (ت ١٢٠٤هـ)، **حاشية الجمل على الجلالين المسمّاة بالفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**، مطبعة التقدم العلمية، مصر.

٤٣) ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، **الخصائص**، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤٤) ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ.

٤٥) الجوزجاني، إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي (ت ٢٥٩هـ)، **أحوال الرجال**، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البَستوي، حديث أكادمي، باكستان.

٤٦) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ.

٤٧) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.

٤٨) ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط٣، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ١٤١٩هـ.

٤٩) ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت ٦٤٦هـ)، **الأمالي**، تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار، الأردن، ١٤٠٩هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٥٠) ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت ٦٤٦هـ)، **الإيضاح في شرح المفصل**، تحقيق: موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، العراق.

٥١) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (ت ١٠٦٨هـ)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، ١٩٤١م.

٥٢) الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ.

٥٣) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي (ت ٣٥٤هـ)، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ.

٥٤) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي (ت ٣٥٤هـ)، **الثقات**، راقبه: محمد عبد المعيد خان، ط١، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٩٣هـ.

٥٥) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي أبو حاتم، الدارمي البُستي (ت ٣٥٤هـ)، **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط١، دار الوعي، حلب، سوريا، ١٣٩٦هـ.

٥٦) ابن حبنكة، عبد الرحمن بن حسن (ت ١٤٢٥هـ)، **البلاغة العربية**، ط١، دار القلم، دمشق، سوريا، ١٤١٦هـ.

٥٧) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، **تقريب التهذيب**، تحقيق: محمد عوامة، ط١، دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦هـ.

٥٨) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٩٢هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٥٩) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، **العجاب في بيان الأسباب**، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، الدمام.

٦٠) الحربي، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق (ت ٢٨٥هـ)، **غريب الحديث**، تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ١٤٠٥هـ.

٦١) حقي، إسماعيل بن مصطفى الإستانبولي الخلوتي (ت ١١٢٧هـ)، **روح البيان**، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٦٢) الحلبي، السمين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت ٧٥٦هـ)، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، سوريا.

٦٣) الحلبي، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت ٧٥٦هـ)، **عمدة الحفاظ في تفسير أشهر الألفاظ**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ.

٦٤) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ)، **معجم البلدان**، ط٢، دار سلطان، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

٦٥) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ.

٦٦) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، **تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب**، تحقيق: سمير المجذوب، ط١، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.

٦٧) الخازن، علاء الدين علي بن إبراهيم بن عمر الشيحي (ت ٧٤١هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تصحيح: محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦٨) ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت ٣١١هـ)، **التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل**، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، ط٥، مكتبة الرشد، السعودية، ١٤١٤هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٦٩) الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت ١٠٦٩هـ)، **حاشيته على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي**، دار صادر، بيروت، لبنان.

٧٠) الخوانساري، محمد باقر الموسَوي، **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**، ط١، الدار الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ.

٧١) الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي (ت ٣٨٥هـ)، **السنن**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ.

٧٢) ابن أبي داود، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، **كتاب المصاحف**، تحقيق: محمد بن عبده، ط١، الفاروق الحديثة، مصر، ١٤٢٣هـ.

٧٣) درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (ت ١٤٠٣هـ)، **إعراب القرآن وبيانه**، ط٤، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سوريا، ١٤١٥هـ.

٧٤) ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي (ت ٢٨١هـ)، **الصبر والثواب عليه**، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ط١، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ.

٧٥) الدوري، أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان الأزدي القارئ (ت ٢٤٦هـ)، **جزء فيه قراءات النبي صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: حكمت بشير ياسين، ط١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٠٨هـ.

٧٦) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت ٧٤٨هـ)، **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة، السعودية، ١٤١٣هـ.

٧٧) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت ٧٤٨هـ)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٨٢هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٧٨) الذهبي، محمد السيد حسين (ت ١٣٩٧هـ)، **التفسير والمفسرون**، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

٧٩) الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ.

٨٠) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب**، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ.

٨١) رضا، محمد رشيد بن علي (ت ١٣٥٤هـ)، **تفسير المنار**، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٩٠م.

٨٢) زادة، طاشكيري (ت ٩٦٨هـ)، **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ويليه العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ.

٨٣) زادة، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي (ت ٩٥١هـ)، **حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي**، مكتبة الحقيقة، اسطنبول، تركيا، ١٤١٩هـ.

٨٤) الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل (ت ٣١١هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، ط١، عالم الكتاب، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ.

٨٥) الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت ١٣٦٧هـ)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر.

٨٦) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت ٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ.

٨٧) الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، **الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة**، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٣٩٠هـ.

٨٨) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت ١٣٩٦هـ)، **الأعلام**، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.

٨٩) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٩٠) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.

٩١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ)، **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقيق: علي بو ملحم، ط١، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

٩٢) ابن أبي زَمَنِين، محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري (ت ٣٩٩هـ)، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، ط١، الفاروق الحديثة، مصر، ١٤٢٣هـ.

٩٣) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت ١٣٩٤هـ)، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي.

٩٤) السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري، **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، إعداد: أبو عبد المعز.

٩٥) السبكي، بهاء الدين (ت ٧٧٣هـ)، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ.

٩٦) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد، ط٢، هجر للطباعة والنشر، الجيزة، مصر، ١٤١٣هـ.

٩٧) ابن السراج، محمد بن السري بن سهل (ت ٣١٦هـ)، **الأصول في النحو**، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٩٨) سعد، محمود توفيق محمد، **الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن**.

٩٩) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٠٠) السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي (ت ٦٢٦هـ)، **مفتاح العلوم**، علق عليه: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١٠١) سليمان، علي حافظ السيد، **التعقبات العلمية: دلالاتها آفاقها آثارها**، مقالات متعلقة، الألوكة الثقافية، تاريخ الإضافة: ١٤-١٢-٢٠١٧.

١٠٢) السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، **بحر العلوم**.

١٠٣) السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغيره، ط١، دار الوطن، السعودية، ١٤١٨هـ.

١٠٤) السيالكوتي، عبد الحكيم، **حاشيته على تفسير البيضاوي**، مصر.

١٠٥) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤٠٨هـ.

١٠٦) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية، ١٣٩٤هـ.

١٠٧) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، **الأشباه والنظائر في النحو**، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٠٨) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.

١٠٩) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، **الدر المنثور**، دار الفكر، بيروت، لبنان.

١١٠) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، **شرح شواهد المغني**، تعليق: محمد محمود ابن التلاميد التركزي الشنقيطي، لجنة التراث العربي، ١٣٨٦هـ.

١١١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار**، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

١١٢) بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، **الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق**، ط٣، دار المعارف، مصر.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١١٣) ابن شاه، محمد عبد الحق الهندي الحنفي (ت ١٣٣٣هـ)، **الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي**، ضبط: محيي الدين البيرقدار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١١٤) الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب (ت ٩٧٧هـ)، **السراج المنير**، مطبعة بولاق، القاهرة، مصر، ١٢٨٥هـ.

١١٥) شقيرات، أحمد صدقي (٢٠٠٢)، **تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني**، إربد، الأردن.

١١٦) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت ١٣٩٣هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.

١١٧) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨هـ)، **الملل والنحل**، مؤسسة الحلبي.

١١٨) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت ١٢٥٥هـ)، **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**، تحقيق: أحمد عناية، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا، ١٤١٩هـ.

١١٩) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت ١٢٥٥هـ)، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٢٠) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت ١٢٥٥هـ)، **فتح القدير**، ط١، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ١٤١٤هـ.

١٢١) ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، **المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ١٤٠٩هـ.

١٢٢) شيرازي، معين الدين أبو القاسم جنيد (ت ١٥٠٠م)، **شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار**، تصحيح: محمد قزويني وعباس إقبال، طهران، إيران.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١٢٣) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ.

١٢٤) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت ٣٦٠هـ)، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.

١٢٥) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت ٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

١٢٦) طنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ط١، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م.

١٢٧) الطيبي، الحسين بن عبد الله (ت ٧٤٣هـ)، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب**، تحقيق: إياد محمد الغوج، ط١، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ.

١٢٨) ابن عادل، سراج الدين عمر بن علي (ت ٧٧٥هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ.

١٢٩) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.

١٣٠) ابن عاشور، محمد الفاضل (ت ١٣٩٠هـ)، **التفسير ورجاله**، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، مصر، ١٣٠٩هـ.

١٣١) عباس، فضل حسن، **أثر اللغة العربية في تذوق معاني القرآن الكريم**، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد (١)، ١٤٢٦هـ.

١٣٢) عباس، فضل حسن، **لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن**، ط١، دار النور، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ.

١٣٣) عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ)، **تفسيره**، تحقيق: محمود محمد عبده، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١٣٤) أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي (ت ٢٠٩هـ)، **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٣٨١هـ.

١٣٥) العسكري، أبو هلال (ت ٣٩٥هـ)، **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر.

١٣٦) عضيمة، محمد عبد الخالق، **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، مصر.

١٣٧) ابن عطية، عبد الحق بن غالب (ت ٥٤٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ.

١٣٨) ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت ٧٦٩هـ)، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢٠، دار التراث، القاهرة، مصر، ١٤٠٠هـ.

١٣٩) العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت ٦١٦هـ)، **إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن**، مطبعة التقدم العلمية، مصر.

١٤٠) العكري، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد (ت ١٠٨٩هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ١٤٠٦هـ.

١٤١) العلائي، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي (ت٧٦١هـ)، **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.

١٤٢) عواد، محمد حسن (١٤٠٢هـ)، **تناوب حروف الجر في لغة القرآن**، ط١، دار الفرقان، عمان، الأردن.

١٤٣) أبو عوانة، يعقوب بن إسحاق الأسفرائني، **مسند أبي عوانة (مستخرج أبي عوانة)**، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ.

١٤٤) عوني، حامد، **المنهاج الواضح للبلاغة**، المكتبة الأزهرية للتراث.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١٤٥) العَيْدَرُوس، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت ١٠٣٨هـ)، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.

١٤٦) العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥هـ)، **المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية**، تحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، ط١، دار السلام، القاهرة، مصر، ١٤٣١هـ.

١٤٧) الغزي، محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ)، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، تحقيق: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ.

١٤٨) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥هـ)، **مجمل اللغة**، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ.

١٤٩) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ.

١٥٠) الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت ٣٧٧هـ)، **الحجة للقراء السبعة**، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، ط٢، دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا، ١٤١٣هـ.

١٥١) الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت ٢٠٧هـ)، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد النجاتي وآخرون، ط١، دار المصرية، مصر.

١٥٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت ١٧٠هـ)، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، إربد، الأردن.

١٥٣) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت ١٣٣٢هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ.

١٥٤) ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي (ت٨٥١هـ)، **طبقات الشافعية**، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١٥٥) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٥٦) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، **غريب الحديث**، تحقيق: عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، بغداد، العراق، ١٣٩٧هـ.

١٥٧) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ١٣٨٤هـ.

١٥٨) القزويني، عمر بن عبد الرحمن (ت ٧٤٥هـ)، **حاشية الكشف عن مشكلات الكشاف**، تحقيق: عمار الطائي، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، كلية الإمام الأعظم، بغداد، العراق، ١٤٣١هـ.

١٥٩) قلعجي، محمد رواس (١٤٠٨هـ)، **معجم لغة الفقهاء**، ط٢، دار النفائس.

١٦٠) القونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (ت ١١٩٥هـ)، **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد**، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود محمد عمر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ.

١٦١) القيرواني، أبو على الحسن بن رشيق الأزدي (ت ٤٥٦هـ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، ١٤٠١هـ.

١٦٢) القيسي، مكي بن أبي طالب القيرواني (ت ٤٣٧هـ)، **مشكل إعراب القرآن**، تحقيق: حاتم الضامن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.

١٦٣) القيسي، مكي بن أبي طالب القيرواني (ت ٤٣٧هـ)، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، تحقيق: مجموعة رسائل في جامعة الشارقة، ط١، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٩هـ.

١٦٤) الكازروني، أبو الفضل القرشي الصديقي (ت ٩٤٥هـ)، **حاشيته على أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الفكر، بيروت، لبنان.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١٦٥) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت١٣٧٣)، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ.

١٦٦) ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي البصري (ت ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي سلامة، ط٢، دار طيبة، ١٤٢٠هـ.

١٦٧) كحالة، عمر رضا (ت ١٤٠٨هـ)، **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

١٦٨) الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، دار القبلة الثقافة الإسلامية، جدة، السعودية.

١٦٩) الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي (ت ١٠٩٤هـ)، **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

١٧٠) الكواشي، موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف الموصلي (ت ٦٨٠هـ)، **التلخيص في تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محيي هلال السرحان، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، العراق، ١٤٢٨هـ.

١٧١) لاشين، موسى شاهين (ت ١٤٣٠هـ)، **اللآلئ الحسان في علوم القرآن**، ط١، دار الشروق، القاهرة، مصر، ١٤٢٣هـ.

١٧٢) اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي (ت ٤١٨هـ)، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة**، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط٨، دار طيبة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.

١٧٣) اللكنوي، محمد عبد الحي (ت ١٣٠٤هـ)، **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، تصحيح: محمد بدر الدين النعاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر.

١٧٤) الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود (ت ٣٣٣هـ)، **تفسيره**، تحقيق: مجدي باسلوم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١٧٥) مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ)، **الموطأ**، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط١، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٥هـ.

١٧٦) المالكي، شريفة أحمد (١٤٣٠هـ)، **البيضاوي آراؤه الاعتقادية عرض ونقد من خلال تفسيره**، رسالة ماجستير مقدمة في قسم العقيدة، إشراف: ابتسام جمال، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

١٧٧) الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ)، **النكت والعيون**، تحقيق: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٧٨) ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (ت ١٨١هـ)، **الزهد والرقائق**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٧٩) المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي (ت ٢٨٥هـ)، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

١٨٠) مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة.

١٨١) المراغي، عبد الله مصطفى (ت ١٩٦٥م)، **الفتح المبين في طبقات الأصوليين**، مطبعة أنصار السنة المحمدية، مصر، ١٩٤٧م.

١٨٢) المروزي، محمد بن نصر بن الحجاج (ت ٢٩٤هـ)، **تعظيم قدر الصلاة**، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٠٦هـ.

١٨٣) مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٨٤) مقاتل بن سليمان، ابن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠هـ)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ظ١، دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ، بيروت، لبنان.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١٨٥) مقشر، منير حسين أحمد، **تعقبات أبي السعود العمادي على من سبقه من المفسرين في ضوء دلالة السياق القرآني من بداية الجزء السادس إلى نهاية الجزء العاشر من القرآن جمعًا ودراسةً**، رسالة دكتوراه، بإشراف: الأمير الجزولي، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان.

١٨٦) المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ط١، عالم الكتب، ١٤١٠هـ.

١٨٧) ابن منده، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدي (ت ٣٩٥هـ)، **التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد**، تحقيق: علي بن محمد الفقيهي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٢٣هـ.

١٨٨) ابن منده، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدي (ت ٣٩٥هـ)، **الرد على الجهمية**، تحقيق: علي محمد ناصر الفقيهي، المكتبة الأثرية، باكستان.

١٨٩) أبو منصور الأزهري، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.

١٩٠) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط٣، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ.

١٩١) النحاس، أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ)، **معاني القرآن**، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩هـ.

١٩٢) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت ٣٠٣هـ)، **السنن الكبرى**، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ.

١٩٣) النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت ٧١٠هـ)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١٩٤) النسفي، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد الحنفي (ت ٥٣٧هـ)، **التيسير في التفسير**، تحقيق: ماهر أديب حبوش، ط١، دار اللباب، اسطنبول، تركيا، ١٤٤٠هـ.

١٩٥) النيسابوري، محمود بن علي بن الحسين الغزنوي (ت بعد ٥٥٣هـ)، **إيجاز البيان عن معاني القرآن**، تحقيق: حنيف القاسمي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.

١٩٦) النيسابوري، محمود بن علي بن الحسين الغزنوي (ت بعد ٥٥٣هـ)، **باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن**، تحقيق: سعاد بنت صالح بابقي، رسالة علمية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ١٩٩٨م.

١٩٧) النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت ٨٥٠هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميران، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ.

١٩٨) الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت ١٣٦٢هـ)، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، تحقيق: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.

١٩٩) الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت ١٣٦٢هـ)، **جواهر البلاغة في البيان والمعاني والبديع**، تدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

٢٠٠) الهذلي، يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده (ت ٤٦٥هـ)، **الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها**، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، ط١، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ١٤٢٨هـ.

٢٠١) الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي (ت ١٤٤١هـ)، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**.

٢٠٢) الهروي، علي بن محمد النحوي، **الأزهية في علم الحروف من النحو والصرف**، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ١٤٤٣هـ.

٢٠٣) ابن هشام، جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عيد الله (ت ٧٦١هـ)، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، دار الطلائع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢٠٤) ابن هشام، جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله (ت ٧٦١هـ)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ.

٢٠٥) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، **أسباب النزول**، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط٢، دار الإصلاح، الدمام، السعودية، ١٤١٢هـ.

٢٠٦) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط١، دار القلم، دمشق، سوريا، ١٤١٥هـ.

٢٠٧) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.

٢٠٨) اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، وضع الحواشي: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧ هـ.

٢٠٩) أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت ٣٠٧هـ)، **مسنده**، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا، ١٤٠٤هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

The World Islamic Science & Education University

Faculty of Graduate Studies

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الدراسات العليا

إقـــرار

أنا الطالبة: أماني جمال عبد القادر حجير

كلية: الدعوة وأصول الدين قسم: أصول الدين

تخصص: التفسير وعلوم القرآن الرقم الجامعي: ٦١٦٠١٠٧٠٣١

الرقم الوطني: ٩٧٦٢٠٢٣٦١٥ رقم جواز السفر (لغير الأردني): ---

أقر بالتزامي بجميع القوانين والأنظمة والتعليمات والقرارات في جامعة العلوم الإسلامية العالمية المتعلقة بإعداد وكتابة/رسالة/أطروحة والتي تحمل العنوان:

تحقيق أبي السعود على الأقوال التفسيرية التي أوردها البيضاوي في تفسير سورتي الفاتحة والبقرة

وبما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في إعداد وكتابة الرسائل العلمية، وأقر وأعترف بأن هذه الأطروحة غير منقولة أو مستلة بجميع الطرق والوسائل من كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في الوسائل الإعلامية أو أي وسيلة أخرى.

المقرّ بما فيه

هاتف:5600230 فاكس: 5600235، ص.ب 1101، الرمز البريدي 11947 عمان – الأردن، بريد الكتروني: President@wise.edu.jo
Tel: 5062895, Fax: 5063042, P.O.Box 1101 Postal code: 11947 Amman- Jordan, email: President@wise.edu.jo

ملاحظة: تحتوي هذه الورقة على آيات قرآنية كريمة

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية